بسم الله الرحمن الرحيم

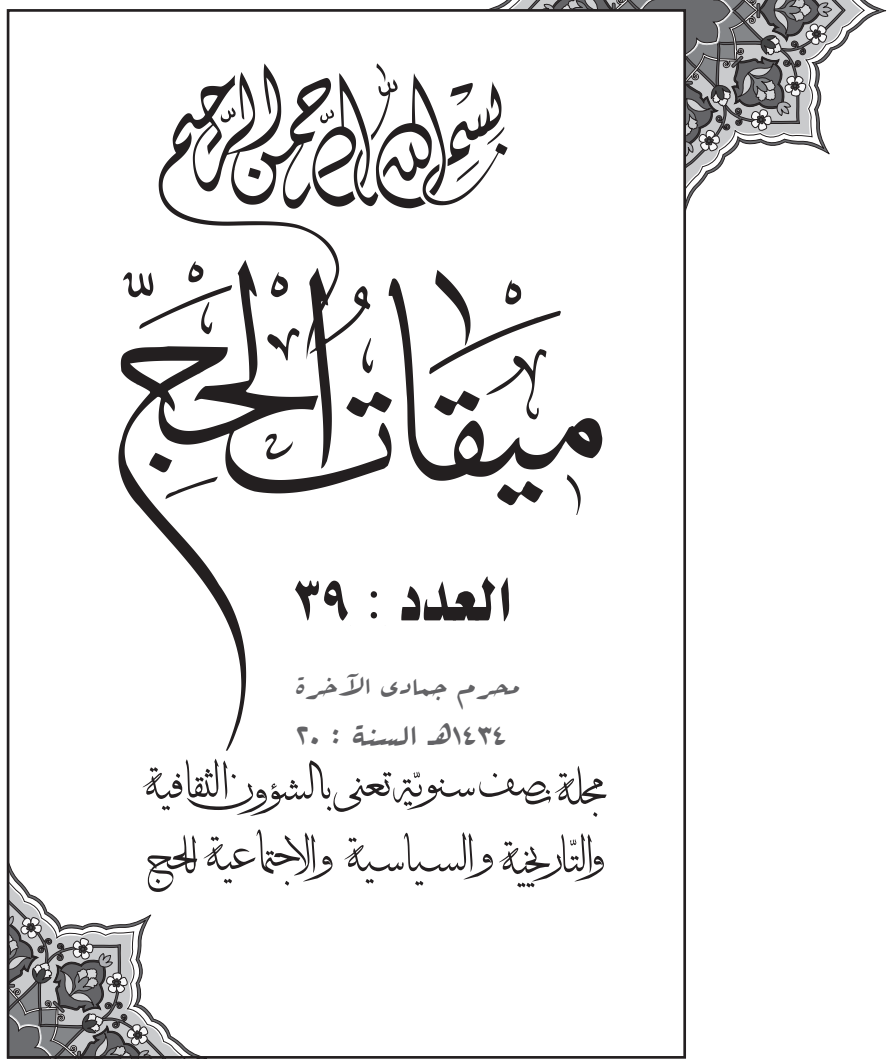

العدد : ٣٩

محرم جمادى الآخرة

السنة : ٣٠ ١٤٣٤هـ

مجلة نصف سنويّة تعنى بالشؤون الثقافية
والتّاريخية والسياسية والاجتماعية للحج

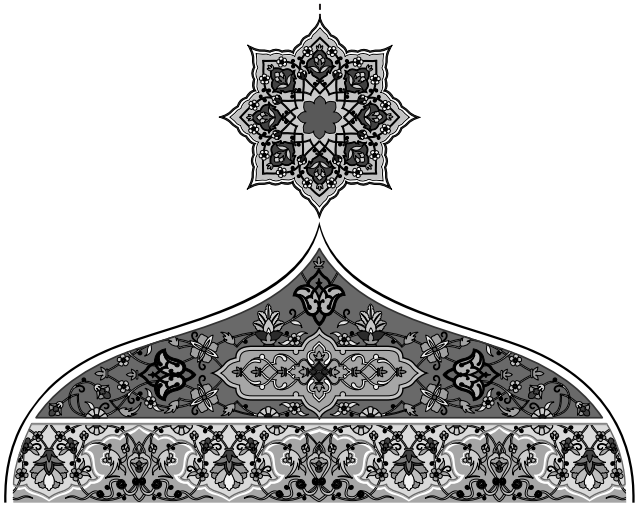

المدير المسؤول: السيّد علي قاضي عسكر

مدير التحرير: محمّد علي المقدادي

إيران، طهران، صندوق البريد: ٥٨٥٦ / ١٤١٥٥

www.hajj.ir

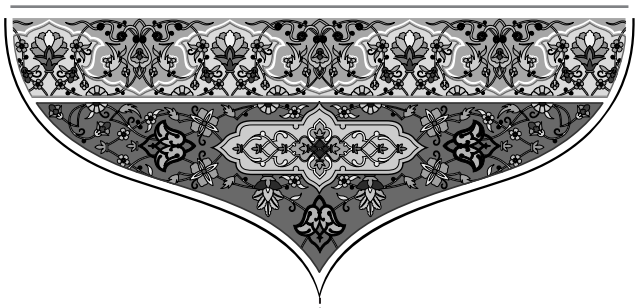

الفهرس:

العصمة حقيقتها وعللها ٥

آية الله الشيخ جعفر السبحاني

صفوة (مواقيت) الأحكام في مواقيت الإحرام ٣٥

العلامة السيد مصطفى النقوي (م ١٣٢٣ هـ)

تحقيق: الشيخ علي الفاضلي

مطارحات في العقيدة (٤) ١٠٣

سماحة العلامة السيد كمال الحيدري ـ إعداد : حسن الحاج

الصدُّ والإخراجُ ١٢٧

محسن الأسدي

فضائل الحرمين الشريفين في تراث أهل البيت عليهم السلام (٣) ١٦١

محمّدعلي المقدادي

شخصيات من الحرمين الشريفين (٣٣)

أبوالهيثم مالك بن التيهان ٢٠٩

محمد سليمان

حصون المدينة المنوّرة فأسوارها وأبوابها ٢٣٣

حسن محمد

أخبار من الحرمين الشريفين ٢٧١

ملاحظات:

يرجى من العلماء والمحققين الأفاضل الذين يرغبون في التعاون مع المجلة أن يراعوا عند إرسال مقالاتهم النقاط التالية:

١ أن تقترن المقالات بذكر المصادر والهوامش بدقّة وتفصيلٍ.

٢ أن لا تتجاوز المقالة ٤٠ صفحة وأن تكون مضروبة على الآلة الكاتبة إن أمكن أوأن تكتب بخط اليد على وجه واحد من كلّ ورقة.

٣ أن تكون المادّة المرسلة للنشر في المجلة غير منشورة سابقاً وغير مرسلة للنشر إلى مجلة أخرى.

٤ تقوم هيئة التحرير بدراسة وتقييم البحوث والدراسات المقدمة إلى المجلة، ولهاالحقّ في صياغتها وتعديلها بما تراه مناسباً مع مراعاة المضمون والمعنى.

٥ يعتمد ترتيب البحوث والمقالات في المجلة على أسس فنيّة وليس لأسباب أخرى.

٦ تعتذر هيئة التحرير عن إعادة المقالات إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر.

٧ المقالات والبحوث التي تنشر على صفحات المجلة تمثل وجهات نظر وآراءكتّابها.

٨ ترسل جميع البحوث والمقالات على عنوان المجلة في طهران.

٩ ترحّب هيئة التحرير في مجلة ميقات الحج بملاحظات القرّاء الكرام ومقترحاتهم.

العصمة حقيقتها وعللها

آية الله الشيخ جعفر السبحاني

من زار الديار المقدسة (**أعني مكّة المكرمة والمدينة المنورة**) يقف على أنّ تلك الديار هي مهبط الوحي ومنزل الأنبياء الذين اختارهم الله سبحانه لتبليغ دينه وبيان شريعته.

ومن المعلوم أنّ من صفات أنبياء الله، عصمتهم من الزلات والهفوات، وطهارتهم عن الرذائل والذنوب.

ولذا فقد صرنا بصدد بيان حقيقة العصمة، التي اتفق المسلمون على كونها من صفات نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وغيره.

ثم انتقلنا إلى دراسة عصمة أهل البيت عليهم السلام الذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى في كتابه وطهّرهم تطهيراً.

ولذلك فسندرس هذا الموضوع في فصلين:

الأوّل: حقيقة العصمة

إنّ حقيقة العصمة عن اقتراف المعاصي ترجع إلى أحد أمور ثلاثة على وجه مانعة الخلو، وإن كانت غير مانعة الجمع.

١. العصمة الدرجة القصوى من التقوى

العصمة ترجع إلى التقوى، لكنّها ترجع إلى درجة أعلى منها، فما توصف به التقوى وتعرف به، تعرف وتوصف به العصمة.

لا شكّ أنّ التقوى حالة نفسانية تعصم الإنسان عن اقتراف كثير من القبائح والمعاصي، فإذا بلغت تلك الحالة إلى نهايتها تعصم الإنسان عن اقتراف جميع قبائح الأعمال، وذميم الفعال على وجه الإطلاق، بل تعصم الإنسان حتى عن التفكير في المعصية، فالمعصوم ليس خصوص مَن لا يرتكب المعاصي ويقترفها، بل هو من لا يحوم حولها بفكره.

إنّ العصمة ملكة نفسانية راسخة في النفس لها آثار خاصّة كسائر الملكات النفسانية من الشجاعة والعفّة والسخاء، فإذا كان الإنسان شجاعاً وجسوراً، وسخياً وباذلاً، وعفيفاً ونزيهاً، يطلب في حياته معالي الأُمور، ويتجنّب عن سفاسفها، فيطرد ما يخالفه من الآثار، كالخوف والجبن والبخل والإمساك، والقبح والسوء، ولا يُرى في حياته أثرٌ منها.

ومثله العصمة، فإذا بلغ الإنسان درجة قصوى من التقوى، وصارت تلك الحالة راسخة في نفسه، يصل الإنسان إلى حدّ لا يُرى في حياته أثرٌ من العصيان والطغيان، والتمرّد والتجرّي، وتصير ساحته نقية عن المعصية.

وأمّا أنّ الإنسان كيف يصل إلى هذا المقام؟ وما هو العامل الذي يمكّنه من هذه الحالة؟ فهو بحث آخر لا يسع المقال لبيانه.

فإذا كانت العصمة من سنخ التقوى والدرجة العليا منها، يسهل لك تقسيمها إلى العصمة المطلقة والعصمة النسبية.

فإنّ العصمة المطلقة وإن كانت تختصّ بطبقة خاصة من الناس، لكن العصمة النسبية تعمّ كثيراً من الناس من غير فرق بين أولياء الله وغيرهم، لأنّ الإنسان الشريف الذي لا يقل وجوده في أوساطنا وإن كان يقترف بعض المعاصي، لكنّه يجتنب عن بعضها اجتناباً تامّاً بحيث يتجنّب حتى التفكير بها فضلاً عن الإتيان بها.

مثلاً الإنسان الشريف لا يتجوّل عارياً في الشوارع والطرقات مهما بلغ تحريض الآخرين له على ذلك الفعل، كما أنّ كثيراً من الناس لا يقومون بقتل الأبرياء ولا بقتل أنفسهم وإن عُرضت عليهم مكافآت مادية كبيرة، فإنّ الحوافز الداعية إلى هذه الأفعال المنكرة غير موجودة في نفوسهم، أو أنّها محكومة ومردودة بالتقوى التي تحلّوا بها، ولأجل ذلك صاروا بمعزل عن تلك الأفعال القبيحة حتى أنّهم لا يفكّرون فيها ولا يحدّثون بها أنفسهم أبداً.

والعصمة النسبية التي تعرفت عليها تُقرِّب حقيقة العصمة المطلقة في أذهاننا، فلو بلغت تلك الحالة النفسانية الرادعة في الإنسان مبلغاً كبيراً ومرحلة شديدة بحيث تمنعه من اقتراف جميع القبائح، يصير معصوماً مطلقاً، كما أنّ الإنسان في القسم الأوّل صار معصوماً نسبياً.

وعلى الجملة: إذا كانت حوافز الطغيان والعصيان والبواعث على المخالفة محكومة عند الإنسان، منفورة لديه لأجل الحالة الراسخة، يصير الإنسان معصوماً تامّاً منزّهاً عن كلّ عيب وشين.

***

٢. العصمة: نتيجة العلم القطعي بعواقب المعاصي

قد تعرّفت على النظريّة الأُولى في حقيقة العصمة، وأنّها عبارة عن الدرجة العليا من التقوى، غير أنّ هناك نظرية أخرى في حقيقتها، لا تنافي النظرية الأُولى، بل ربّما تعدّ من علل تحقّق الدرجة العليا من التقوى التي عرّفنا العصمة بها، ولتكوّنها في النفس، وحقيقة هذه النظرية عبارة عن «وجود العلم القطعي اليقيني بعواقب المعاصي والآثام» لا يُغلب ولا يدخله شكّ، ولا يعتريه ريب، وهو أن يبلغ علم الإنسان درجة يلمس في هذه النشأة لوازم الأعمال وآثارها في النشأة الأُخرى وتبعاتها فيها، ويصير على حد يدرك بل يرى درجات أهل الجنة ودركات أهل النار، وهذا العلم القطعي هو الذي يزيل الحجب بين الإنسان وتوابع الأعمال، ويصير الإنسان مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿**كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ**﴾؛[1] وصاحب هذا العلم هو الذي يصفه الإمام علي عليه السلام بقوله: «فهم والجنة كمن قد رآها، فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون».[2]

فإذا بلغ العلم إلى هذه الدرجة من الكشف يصد الإنسان عن الاقتراب من المعاصي واقتراف المآثم، بل لا يجول حولها فكره.

ولتوضيح تأثير هذا العلم في صيرورة الإنسان معصوماً من اقتراف الذنب

١. التكاثر: ٥ ـ ٦.

٢. نهج البلاغة: ٢: الخطبة ١٨٨، ص ١٨٧، طبعة عبده.

نأتي بمثال:

إنّ الإنسان إذا وقف على أنّ في الأسلاك الكهربائية طاقة من شأنها قتل الإنسان إذا مسّها من دون حاجز أو عائق بحيث يكون المسّ والموت مقترنين، أحجمت نفسه عن مسّ تلك الأسلاك والاقتراب منها دون عائق.

أو أنَّ الطبيب العارف بعواقب الأمراض وآثار الجراثيم، إذا وقف على ماء اغتسل فيه مصاب بالجذام أو البرص أو السل، لم يقدم على شربه والاغتسال منه ومباشرته مهما اشتدت حاجته إلى ذلك؛ لعلمه بما يَجُرُّ عليه الشرب والاغتسال بذلك الماء الموبوء، فإذا وقف الإنسان الكامل على ما وراء هذه النشأة من نتائج الأعمال وعواقب الأفعال ورأى بالعيون البرزخية تبدّل الكنوز المكتنزة من الذهب والفضة إلى النار المحماة التي تُكوى بها جباه الكانزين وجنوبهم وظهورهم، امتنع عن حبس الأموال، والإحجام عن إنفاقها في سبيل الله.

قال سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذاب أَلِيم * يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها في نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هذا ما كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ**﴾.[1]

إنّ ظاهر قوله سبحانه: ﴿**هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ**﴾ هو أنّ النار التي تُكوى بها جباه الكانزين وجنوبهم وظهورهم، ليست إلاّ نفس الذهب والفضة، لكن بوجودهما الأُخرويّين، وأنّ للذهب والفضة وجودين أو ظهورين في النشأتين، فهذه الأجسام الفلزية، تتجلّى في النشأة الدنيوية في صورة الذهب والفضة، وفي النشأة الأُخروية في صورة النيران المحماة.

فالإنسان العادي اللامس لهذه الفلزات المكنوزة، وإن كان لا يحسّ فيها الحرارة، ولا يرى فيها النار ولا لهيبها، إلاّ أنّ ذلك لأجل أنّه يفقد حين المس،

---

١ . التوبة : ٣٤ ٣٥.

الحسَّ المناسب لدرك نيران النشأة الآخرة وحرارتها، فلو فرض إنسان كامل يمتلك هذا الحسّ إلى جانب بقية حواسّه العادية المتعارفة ويدرك بنحو خاص الوجه الآخر لهذه الفلزات، وهو نيرانها وحرارتها، يجتنبها، كاجتنابه النيران الدنيوية، ولا يقدم على كنزها وتكديسها.

وهذا البيان يفيد أنّ للعلم مرحلة قويّة راسخة تصد الإنسان عن الوقوع في المعاصي والآثام، ولا يكون مغلوباً للشهوات والغرائز.

قال جمال الدين مقداد بن عبدالله الأسدي السيوري الحلي في كتابه القيّم «اللوامع الإلهية»: «ولبعضهم كلام حسن جامع هنا قالوا: العصمة ملكة نفسانية يمنع المتّصف بها من الفجور مع قدرته عليه، وتتوقّف هذه الملكة على العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات، لأنّ العفّة متى حصلت في جوهر النفس، وانضاف إليها العلم التام بما في المعصية من الشقاء، والطاعة من السعادة، صار ذلك العلم موجباً لرسوخها في النفس فتصير ملكة».[١]

يقول العلاّمة الطباطبائي في هذا الصدد: إنّ القوة المسمّاة بقوة العصمة سبب شعوري علمي غير مغلوب البتة، ولو كانت من قبيل ما نتعارفه من أقسام الشعور والإدراك، لتسرّب إليها التخلّف، ولتخبّط الإنسان على أثره أحياناً، فهذا العلم من غير سنخ سائر العلوم والإدراكات المتعارفة، التي تقبل الاكتساب والتعلّم، وقد أشار الله في خطابه الذي خصّ به نبيه بقوله: ﴿**وَأَنْزَلَ اللّٰهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ**﴾.[٢] وهو خطاب خاص لا نفقهه حقيقة الفقه، إذ لا تذوق لنا في هذا المجال.[٣]

---

١ . اللوامع الإلهية: ١٧٠.

٢ . النساء: ١١٣.

٣ . الميزان: ٥ :٨١.

وهو قدّس سره يشير إلى كيفية خاصة من العلم والشعور الذي أوضحناه بما ورد حول الكنز وآثاره.

* * *

٣. الاستشعار بعظمة الربّ وكماله وجماله

إنّ هاهنا نظرية ثالثة في تبيين حقيقة العصمة، يرجع لبّها إلى أنّ استشعار العبد بعظمة الخالق وحبه وتفانيه في معرفته وعشقه له، يصدّه عن سلوك ما يخالف رضاه سبحانه.

وتلك النظرية مثل النظرية الثانية، لا تخالف النظرية الأُولى التي فسّرناها من أنّ العصمة هي الدرجة العليا من التقوى، بل يكون الاستشعار والتفاني دون الحق، والعشق لجماله وكماله، أحد العوامل لحصول تلك المرتبة من التقوى، وهذا النحو من الاستشعار لا يحصل إلاّ للكاملين في المعرفة الإلهية، البالغين أعلى قممها.

إذا عرف الإنسان خالقه كمال المعرفة الميسورة، وتعرّف على معدن الكمال المطلق وجماله وجلاله، وجد في نفسه انجذاباً نحو الحق، وتعلّقاً خاصّاً به بحيث لا يستبدل برضاه شيئاً، فهذا الكمال المطلق هو الذي إذا تعرّف عليه الإنسان العارف، يؤجّج في نفسه نيران الشوق والمحبة، ويدفعه إلى أن لا يبتغي سواه، ولا يطلب سوى إطاعة أمره وامتثال نهيه، ويصبح كلّ ما يخالف أمره ورضاه منفوراً لديه، مقبوحاً في نظره، أشد القبح. وعندئذ يصبح الإنسان مصوناً عن المخالفة، بعيداً عن المعصية بحيث لا يؤثر على رضاه شيئاً.

وإلى ذلك يشير الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله:

«ما عَبَدتُكَ خَوفاً مِن نارِكَ ولا طَمعاً في جنَّتِكَ، إنّما وَجَدتُكَ أهلاً للعِبادَة».[١]

هذه النظريات الثلاث أو النظرية الواحدة المختلفة في البيان والتقرير تعرب عن أنّ العصمة قوة في النفس تعصم الإنسان عن الوقوع في مخالفة الرب سبحانه وتعالى، وليست العصمة أمراً خارجاً عن ذات الإنسان الكامل وهويته الخارجية.

نعم هذه التحاليل الثلاثة لحقيقة العصمة، كلّها راجعة إلى العصمة عن المعصية والمصونية عن التمرّد كما هو واضح لمن تأمّل فيها، وأمّا العصمة في مقام تلقّي الوحي وحفظه وإبلاغه إلى الناس، أو العصمة عن الخطأ في الحياة والأُمور الفردية أو الاجتماعية، فلا بد أن توجه بوجوه غير هذه الثلاثة.

العصمة عن الخطأ

أمّا العصمة عن الخطإ في تحمّل الوحي وحفظه ونقله إلى الأُمّة في حقّ النبي (صلى الله عليه وآله) أو عصمة أهل البيت عليهم السلام في الإفتاء ونقل ما ورثوه من النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) فهي رهن أمر آخر.

أمّا النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) فإنّه سبحانه يسدّده بالملائكة كما يقول سبحانه: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً**﴾.[٢]

فإنّ قوله: ﴿**فَإِنَّهُ يَسْلُكُ**﴾ بمعنى يجعل له رصداً. فهؤلاء الملائكة هم الذين يسدّدون الأنبياء عن الخطإ في القول والفعل. وأمّا أهل البيت: فبما أنّ عصمتهم عن المعصية والخطإ ثابتة بالدلائل الآتية، فلا محيص من القول من

١. عوالي اللآلي ٢: ١١ برقم ١٨؛ بحار الأنوار ٤١: ١٤.
٢. الجن: ٢٦ـ٢٨.

أنّ لهم مسدّداً في الإفتاء ونقل الأحاديث وتفسير القرآن الكريم.

أمّا ما هو المسدّد، فالبحث عنه موكول إلى مقام آخر.

* * *

الثاني: العصمة لا تلازم النبوّة

إنّ بعض مَن يتحاشى من وصف غير الأنبياء بالعصمة يتصوّرون وجود الملازمة بين العصمة والنبوة، والحال أنّ بينهما من النسب عموماً وخصوصاً من وجه مطلق، فكلّ نبيّ معصوم وليس كلّ معصوم بنبيّ.

فهذه هي مريم العذراء الّتي هي الأُسوة والقدوة للنساء كما عليه قوله سبحانه:

﴿وَ مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَ صَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَ كُتُبِهِ وَ كَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾.[1]

وبما أنّه سبحانه جعلها قدوةً ومثالاً يحتذى به، فلابد أن تكون معصومة عن المعاصي والأخطاء، وإلاّ لايصح أن تكون أسوة قولاً وفعلاً على الإطلاق. وبالجملة: وجود الملازمة بين الأُسوة المطلقة وبين العصمة.

ويؤيّد عصمتها أيضاً قوله سبحانه: **﴿وَ إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾**.[2] فإنّ إطلاق قوله: **﴿وَطَهَّرَكِ﴾** يدلّ على طهارتها من الرذائل والذنوب والخطإ والزلل.

كما أنّ منزلة الزهراء عليها السلام في حديث أبيها تعرب عن عصمتها قولاً وفعلاً، فقد روى البخاري عن مسعود بن مخرمة أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)

---

١ . التحريم: ١٢.

٢ . آل عمران: ٤٢ .

قال: «فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها فقد أغضبني».[١]

وروى الحاكم بإسناده عن عليعليه السلام أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لفاطمة: «إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك».[٢]

أقول: أيّ مكانة شامخة للزهراءعليها السلام حتّى صار غضبها ورضاها ملاكاً لغضبه سبحانه ورضاه، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على عصمتها، فهو سبحانه بما أنّه عادل وحكيم لايغضب إلاّ على الكافر والعاصي، ولايرضى إلاّ عن المؤمن والمطيع، فلو دلّت الرواية الصحيحة على أنَّ فاطمة غضبت على أحد، فهو إمّا كافر أو فاسق.

***

إذا تمّ هذا التمهيد ضمن أمرين، فلنعرّج إلى بيان أدلّة عصمة أهل البيتعليهم السلام كتاباً وسنّةً، ونقتصر من الكتاب العزيز بآيتين، ومن السنّة بحديثي الثقلين والسفينة.

الكتاب العزيز

الآية الأُولى:

قال سبحانه: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾.[٣] فيقع الكلام في مقامين:

١. ما هو المراد من أهل البيت عليهم السلام؟

---

١ . صحيح البخاري: ٩١٠، برقم ٣٧١٤ ، فضائل الصحابة ؛ فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٧ : ٨٤ .

٢ . المستدرك على الصحيحين ٣ :١٥٤، وقد صحّحه الحاكم.

٣ . الأحزاب: ٣٣ .

٢. دلالة الآية على تنزيههم عن الذنوب.

أمّا المقام الأوّل: فلاشكّ أنّ عبارة (أهل البيت) تعمّ النساء والأزواج لغةً وكتاباً، ويكفي في ذلك قوله سبحانه: ﴿**قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ رَحْمَةُ اللّٰهِ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**﴾.[١] فقد عُدّت امرأة إبراهيم عليه السلام من أهل البيت، والخطاب في الآية أعني قوله: ﴿**أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ**﴾ ناظر إليها.

ومع الاعتراف بذلك، لكن المراد به في الآية عبارة عمّن عيّنهم الرسول (صلى الله عليه وآله) مرّة بعد أخرى، فخصّهم بعلي وفاطمة وابنيهما عليهم السلام.

فتارة: يصرح (صلى الله عليه وآله) بأسمائهم، كما روى الطبري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) نزلت هذه الآية في خمسة: فيّ وعلي رضي الله عنه وحسن رضي الله عنه وحسين رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾.[٢]

وأخرى: أدخلهم تحت الكساء، كما أخرج مسلم في صحيحه قال: قالت عائشة: خرج النبي ذات غداة، وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾.[٣]

وثالثة: تلا الآيات على بابهم، كما أخرج الطبري عن أنس أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) كان يمرّ ببيت فاطمة ستة أشهر كلّما خرج إلى الصلاة فيقول: الصلاة أهل البيت (عليهم السلام) ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ**

---

١ . هود: ٧٣ .

٢ . تفسير الطبري ٢٢ : ٩ برقم ٢١٧٢٧، دار الفكر ١٤١٥ هـ .

٣ . صحيح مسلم ٧ : ١٣٠، باب فضائل أهل بيت النبي(صلى الله عليه وآله).

أَهْلَ الْبَيْتِ﴾.[١]

وقد بلغ عدد الروايات الواردة في تخصيص أهل البيت عليهم السلام بالخمسة ما يناهز ٣٥ رواية، أخرجها الطبري في تفسيره، والسيوطي في الدر المنثور وغيرهما،[٢] وتصل أسانيد الروايات إلى ثمانية من صحابة النبي (صلى الله عليه وآله) وهم:

١. أبوسعيد الخدري.
٢. أنس بن مالك.
٣. ابن عباس.
٤. أبوهريرة السدوسي.
٥. سعد بن أبي وقاص.
٦. واثلة بن الأسقع.
٧. أبو الحمراء، أعني: هلال بن الحارث.

١. تفسير الطبري ٢٢ : ٩ برقم ٢١٧٢٩ .
٢. تاريخ الطبري ٢٢ : ٩ ـ ١٣ ؛ الدر المنثور ٥ : ١٩٨ ١٩٩؛ تفسير الرازي ٨ : ٨٥ .

٨ . أُمهات المؤمنين: عائشة وأُمّ سلمة.

نعم هناك سؤال، وهو أنّه لو كان المراد بأهل البيت عليهم السلام هم هؤلاء الخمسة، فلماذا وردت الإشارة إليهم في أثناء حديث القرآن عن نساء النبي (صلى الله عليه وآله)؟

الجواب أوّلاً: أنّ عادة الفصحاء في كلامهم أنّهم ينتقلون من خطاب إلى غيره ثم يعودون إليه، والقرآن مليء بذلك الأُسلوب، وكذلك كلام العرب وأشعارهم.

قال الشيخ محمد عبده: إنّ من عادة القرآن أن ينتقل بالإنسان من شأن إلى شأن، ثم يعود إلى مباحث المقصد الواحد المرّة بعد المرّة.[١]

ولأجل إيقاف القارئ على صحّة ماقاله، نأتي بشاهد على ذلك، فنقول: قال سبحانه ناقلاً عن «العزيز» مخاطباً زوجته: ﴿**إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**﴾.[٢] فنرى أنّ العزيز يخاطب أوّلاً امرأته بقوله: ﴿**إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ**﴾ وقبل أن يفرغ من كلامه معها، يخاطب يوسف بقوله: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**﴾ ثم يرجع إلى الموضوع الأوّل ويخاطب زوجته بقوله: ﴿**وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ**﴾. فقوله: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**﴾، جملة معترضة وقعت بين الخطابين، والمسوّغ لوقوعها بينهما كون المخاطب الثاني أحد المتخاصمين، وكانت له صلة بحديث المرأة الّتي رفعت الشكوى إلى العزيز.

وثانياً: أنّ الضمائر في الآية كلّها مذكّرة أعني «عنكم» و «يطهركم»، مع أنّ الضمائر في الآيات المتقدّمة والمتأخّرة كلّها جاءت على وجه التأنيث، وربما

---

١ . تفسير المنار٢ :٤٥١.

٢ . يوسف: ٢٨ـ ٢٩ .

يقرب عددها من عشرين ضميراً كلّها مؤنثة، وهذا دليل على أنّ الآية ناظرة إلى غير النساء.

وإليك صور الضمائر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِي قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً * وَ إِنْ كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ... يَا نِسَاءَ النَّبِي مَنْ يَأْتِ مِنكُنَّ... وَمَنْ يَقْنُتْ مِنكُنَّ...يَا نِسَاءَ النَّبِي لَسْتُنَّ... إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ.. وَقُلْنَ... وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَتَبَرَّجْنَ... وَأَقِمْنَ الصَّلَوةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللّٰهَ... إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.[1]

هذه هي الضمائر المتقدّمة على الآية، وأمّا الضمائر المتأخّرة عنها فهي: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللّٰهِ﴾.[2]

والذي يؤكّد خروج النساء عن الآية، هو أنّ الله سبحانه أفرد لفظ البيت في الآية وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾؛ ولكنّه عبّر عن بيوت أزواجه بصيغة الجمع وقال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ وعلى هذا فهناك «بيت» معروف مشخّص أُضيف إليه لفظ «أهل» فأصبحت العبارة «أهل البيت»، وفي الوقت نفسه هناك بيوت لنسائه وأزواجه، فالمتواجد في البيت الأوّل، غيرالمتواجد في البيوت، فإذا كانت البيوت خاصّة لنسائه (صلى الله عليه وآله) فيكون البيت خاصّاً لأهل الكساء، إذ الأمر يدور بين الطائفتين ليس غير.

فحول النبي (صلى الله عليه وآله) أُسرتان:

أسرة لها المكانة والفضل لاتّصالها بالنبي (صلى الله عليه وآله) لا لذواتهن،

١ . الأحزاب: ٢٨ ـ ٣٣.
٢ . الأحزاب: ٣٤.

ولذا استهلّ سبحانه الآيات بقوله: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِي مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَة مُبَيِّنَة**...﴾ و﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِي لَسْتُنَّ كَأَحَد مِنَ النِّسَاءِ**﴾، كلّ ذلك يعرب عن أنّ كرامتهنّ لأجل اتّصالهنّ بالنبي (صلى الله عليه وآله).

وأسرة لها الفضل والكرامة لاستحقاقهن بها وقدسية أنفسهن، فقد أعطى سبحانه كلّ أسرة حقّها، فقد أدّب الأُسرة الأُولى ونهاهنّ عن أمور، تمسّ بكرامة زوجهنّ. ثم أخذ بوصف الأُسرة الثانية وتكريمها مشعراً بطهارتها عن كلّ رجس ودنس.[١]

فبذلك يعلم وجه إدغام قوله: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ**...﴾ في ثنايا الآيات النازلة في حقّ نسائه، فكأنّه سبحانه يريد إعطاء كلّ أسرة حول النبي (صلى الله عليه وآله) حقّها.

وممّن أصحر بالحقيقة الإمام الشوكاني، قال: وقالت الزيدية والإمامية: إنّ إجماع العترة حجّة، واستدلّوا بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ وأجيب بأنّ سياق الآية أنّه في نسائه، ثم أضاف وقال: ويجاب عن هذا الجواب بأنّه قد ورد الدليل الصحيح أنّها نزلت في علي وفاطمة والحسنين، وقد أوضحنا الكلام في هذا في تفسيرنا الذي سمّيناه «فتح القدير» فليرجع إليه.[٢]

نعم ربما ذهب بعضهم إلى نزول الآية في نساء النبي (صلى الله عليه وآله)، لكنّهم جماعة لا يعتد بقولهم منهم:

١. عكرمة، ومن المعلوم أنّ عكرمة من الإباضية، فهو رجل منحرف عن

---

١. أنظر دلائل الصدق، للشيخ محمد حسين المظفر ٢: ٧٢.

٢. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأُصول: ١٢٦.

جادة الحق، ولم يكن ليتحرّز الكذب على ابن عباس.[١]

٢. عروة بن الزبير، ويكفي في عدم حجية قوله، عداؤه لعلي وانحرافه عنه.[٢]

ومنهم مقاتل بن سليمان، وهو من المشبّهة، وعن الإمام أبي حنيفة قال: أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل، ومقاتل مشبّه. وفي البخاري: لا شيء البتة. قلت: أجمعوا على تركه.[٣]

ولمّا كان هذا الرأي أعني: اختصاص الآية بنساء النبي (صلى الله عليه وآله) رأياً قاسياً مخالفاً لرأي جمهور المفسّرين، اتّخذ الآلوسي رأياً وسطاً؛ ليكون جامعاً بين القولين وقال: «والذي يظهر لي: إنّ المراد من أهل البيت من لهم مزيد علاقة به (صلى الله عليه وآله)، ونسبة قوية قريبة إليه عليه الصلاة والسلام، بحيث لايقبح عرفاً اجتماعهم وسكناهم معه (صلى الله عليه وآله) في بيت واحد، ويدخل في ذلك أزواجه والأربعة أهل الكساء، وعلي كرم الله وجهه، مع ماله من القرابة من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقد نشأ في حجره عليه الصلاة والسلام، فلم يفارقه وعامله كولده صغيراً وصاهره وآخاه كبيراً.[٤]

يلاحظ عليه:

أوّلاً: أنّ ما ذكره هو خلاف ما فهمه زيد بن أرقم ذلك الصحابي من الآية لمّا

---

١. لاحظ: ترجمته في ميزان الاعتدال ٣: ٩٣ ـ ٩٧؛ سير أعلام النبلاء ٥: ١٨ ـ ٢٩.

٢. لاحظ: سير أعلام النبلاء ٤: ٤٢١ ـ ٤٣٤.

٣. سير أعلام النبلاء ٧: ٢٢٠.

٤. روح المعاني للسيد محمود الآلوسي البغدادي (المتوفّى ١٢٧٠ هـ) ٢٢: ١٩، في تفسير آية التطهير. ط دار احياء التراث العربي، بيروت.

قيل له : «من أهل بيته نساؤه»؟! قال: «لا وأيم الله، إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها.. إلى آخر ما ذكره.[١]

وثانياً: أنّ تعميم أهل البيت في الآية إلى النساء خلاف ما نصّ عليه الرسول (صلى الله عليه وآله)، روى الحاكم: عن عطاء بن يسار عن أمّ سلمة رضي الله عنها، أنّها قالت: في بيتي نزلت هذه الآية: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾، فأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي.

قالت أمّ سلمة: يا رسول الله: ما أنا من أهل البيت؟

قال: إنّك على خير، وهؤلاء أهل بيتي. اللّهم أهلي أحق.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.[٢]

وقال الترمذي بعد نقل الحديث: هذاحديث حسن صحيح، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب.[٣]

وثالثاً: أنّ ما ذكره يخالف تخصيص النبي الآية بأصحاب الكساء بصورة مختلفة حتّى جعلهم تحت الكساء وجلّلهم به، حتّى يكون عمله جامعاً ومانعاً للغير. ومع ذلك كيف يصحّ للسيد الآلوسي تعميم الآية؟! فلاحظ.

وبالجملة: الأحاديث المتضافرة بل المتواترة إجمالاً على أنّ النبي (صلى الله عليه وآله)، أخبر عن اختصاص الآية بأهل الكساء، وحقّق ما يريده بعناوين متنوّعة، كثيرة لايسعنا نقلها في هذا المقال المطلوب فيه الإيجاز والاختصار.

هذا إجمال ما يمكن أن يقال في نزول الآية في حق الخمسة سلام الله عليهم،

---

١ . صحيح مسلم٧ :١٢٣، باب فضائل علي (عليه السلام).

٢ . المستدرك على الصحيحين ٣ :١٤٧.

٣ . سنن الترمذي ٥ :٣٦١ برقم ٣٩٦٣، باب ما جاء في فضل فاطمة (عليها السلام).

ومن أراد التفصيل، فليرجع إلى كتب أصحابنا فلهم بحوث تفصيلية حول الآية.

***

وأمّا المقام الثاني: أي دلالة الآية على عصمة أهل البيت عليهم السلام، فهي مبتنية على ثبوت أمرين:

١. أنّ الرجس أمرٌ يعمّ المعاصي صغيرها وكبيرها.

٢. أنّ الإرادة تكوينية لا تشريعية.

أمّا الأمر الأوّل: فقد استعملت هذه اللفظة في الذكر الحكيم ثمان مرّات ووصف بها الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام، والكافر غير المؤمن بالله، والميتة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، والأوثان، وقول الزور.

فالجامع بينها القذارة الّتي تتنفّر منها النفوس؛ سواء أكانت مادّية كما في مورد اللحوم، أم معنوية كما هوالحال في الكافر وعابد الوثن ووثنه، فالجامع بينهما هي الأعمال القبيحة عرفاً أو شرعاً.

قال العلاّمة الطباطبائي: الرجس بالكسر والسكون صفة من الرجاسة وهي القذارة، والقذارة هيئة في النفس توجب التجنّب والتنفّر منها، وهي تكون تارة بحسب ظاهر الشيء كرجاسة الخنزير، قال تعالى: ﴿**أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ**﴾[١] وبحسب باطنه أخرى، وهي الرجاسة والقذارة المعنوية كالشرك والكفر وأثر العمل السيّئ، قال تعالى: ﴿**وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَ مَاتُوا وَ هُمْ كَافِرُونَ**﴾،[٢] وقال: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللّٰهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا**

---

١. الأنعام: ١٤٥.

٢. التوبة: ١٢٥.

﴿يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّٰهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾.[١]

وأيّاً ما كان فهو إدراك نفساني وأثر شعوري يحدث من تعلّق القلب بالاعتقاد الباطل أو العمل السيّئ، وإذهاب الرجس عبارة عن إزالة كلّ هيئة خبيثة في النفس تضاد حق الاعتقاد والعمل، وعند ذلك يكون إذهاب الرجس معادلاً للعصمة الإلهية، الّتي هي صورة علمية نفسانية، تحفظ الإنسان من رجس باطني الاعتقاد وسيّئ العمل،[٢] هذا كلّه حول الأمر الأوّل.

وأمّا الأمر الثاني: أعني كون الإرادة تكوينية لاتشريعية.

إنّ انقسام إرادته سبحانه إلى تكوينية وتشريعية أمرٌ واضح، أمّا الأُولى فهي ما تتعلّق بإيجاد الشيء، ومنها قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.[٣]

وأمّا الثانية فهي ما إذا تعلقت إرادته بتشريع حكم من الأحكام وبعث الناس إلى العمل به.

فالإرادة التكوينية لا تنفك عن المراد، بخلاف التشريعية فإنّها لغاية بعث الناس إلى الفعل أو الترك مخيّرين بين الطاعة والعصيان.

فنقول: لاشك أنّ الإرادة المتعلّقة بإذهاب الرجس عن أهل البيت عليهم السلام بالخصوص تكوينية، إذ لو كانت تشريعية لما اختصّت بطائفة دون طائفة؛ لأنّ الهدف الأسمى من بعث الأنبياء هو تطهير عامّة الناس عن الذنوب بقوله سبحانه:

﴿وَ لَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[٤]

١ . الأنعام: ١٢٥ .
٢ . الميزان في تفسير القرآن ١٦ :٣٣٠.
٣ . يس: ٨٢ .
٤ . المائدة: ٦ .

وإن شئت قلت: تخصيص تعلّق الإرادة بجمع خاص، يمنع من تفسير الإرادة بالإرادة التشريعية الّتي عمّت الأُمّة جميعاً.

وبعبارة ثالثة: لو كانت الإرادة تشريعية، لما احتاج إلى إبراز العناية بصور مختلفة الواردة في الآية، فإليك بيان تلك العناية:

أ. ابتدأ سبحانه كلامه بلفظ الحصر، (إنّما) ولا معنى له إذا كانت الإرادة تشريعية ؛ لأنّها غير محصورة بأناس مخصوصين.

ب. عيّن تعالى متعلّق إرادته بصورة الاختصاص، فقال: ﴿أهل البيت﴾ أي أخصّكم أهل البيت.

ج. قد بيّن متعلّق إرادته بلفظة «عنكم» وقال : ﴿**لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾.

د. قد أكدّه أيضاً بالإتيان بمصدره بعد الفعل وقال: ﴿**وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾، ليكون أوفى في التأكيد.

هـ . أنّه سبحانه أتى بالمصدر نكرة، ليدلّ على الإكبار والإعجاب، أي تطهيراً عظيماً معجباً.

و. أنّ الآية في مقام المدح والثناء، فلو كانت الإرادة إرادة تشريعية لما ناسب الثناء والمدح.

وعلى الجملة: العناية البارزة في الآية تدلّ بوضوح على أنّ الإرادة هناك غير الإرادة العامّة المتعلّقة لكلّ إنسان حاضر أو باد.

وبذلك نقول: تعلّقت إرادته سبحانه بتنزيههم عن القبيح والعصيان كما تعلّقت إرادته بعصمة الأنبياء عليهم السلام عن الذنب والعصيان، وقد ثبت في محلّه أنّ العصمة لا تخالف الاختيار، وذلك لأنّ القدرة والتمكّن على فعل المعصية ثابتان للمعصوم، إلاّ أنّ العصمة تصدّه عن ذلك، فهذا يوسف كان قادراً على

ارتكاب الفاحشة، إلاّ أنّ عصمته منعته عن ذلك، وبهذا استحق الثناء والمدح.

شبهتان ضئيلتان:

إنّ السيد محمود الآلوسي مع أنّه من الشرفاء أخذ يناقش دلالة الآية على عصمة أصحاب الكساء بوجهين ضعيفين لايليقان بساحته:

الأوّل: أنّ الآية لا تدلّ على عصمتهم، بل لها دلالة على عدمها. إذ لا يقال في حقّ مَن هو طاهر: إنّي أريد أن أُطهّرك، ضرورة امتناع تحصيل الحاصل، غاية ما في الباب أنّ كون هؤلاء الأشخاص (رضي الله تعالى عنهم) محفوظين من الرجس والذنوب بعد تعلّق الإرادة بإذهاب رجسهم، يثبت بالآية.[١]

يلاحظ عليه:

أوّلاً: أنّ النبيﷺ من أصحاب الكساء والداخل تحت قوله تعالى: ﴿**أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾، فلازم ما ذكره من التفسير: أنّ النبيﷺ لم يكن متطهّراً من الرجس قبل هذه الآية وإنّما صار كذلك بعد نزولها، وهو خلاف ما اتّفق عليه المسلمون من عصمته بعد البعثة.

وثانياً: أنّ الإذهاب تارة يطلق ويراد به إذهاب الشيء بعد وجوده كما في قوله تعالى: ﴿**وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ**﴾.[٢] وأُخرى يطلق ويراد حسم أسباب الرجس وإذهاب المقتضي، لا رفعه بعد وجوده، ونعم ما ذكره الزمخشري حيث قال في تفسير الآية: إنّما يريد لئلاّ يقارف أهل بيت رسول الله المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى.[٣]

---

١. روح المعاني ١٩ : ١٨.
٢. الأنفال: ١١.
٣. تفسير الكشاف ٢٣ : ٥٣٨.

الثاني: لو تعلّقت إرادته التكوينية بعصمتهم، فيتحقّق عندها الفعل، فعندئذ فأي حاجة لدعاء النبيﷺ في حقّهم حيث روي أنّه قال: «اللّهم إنّ هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»، إذ عندئذ يكون أشبه بحصول واجب الحصول.[١]

يلاحظ عليه: بأنّ دعاء النبيﷺ إنّما هو للاستمرار، نظير قوله سبحانه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٢] فإنّ معناه طلب استمرار الهداية من الله سبحانه، وهكذا دعاء النبيﷺ طلب استمرار الطهارة لأهل بيته في المستقبل أيضاً، إذ من المحتمل أن تتعلّق إرادته سبحانه بفترة خاصّة دون عامّة الفترات، فالنبيﷺ طلب من الله شمولها لعامّة الفترات.

يقول العلاّمة الطباطبائي في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.[٣] : إن تلك القوة القدسية التي استعصم بها يوسفعليه السلام كانت كأمر تدريجي يفيض عليه آناً بعد آن من جانب الله سبحانه، وليست بالأمر الدفعي المفروغ عنه، وإلاّ لانقطعت الحاجة إليه تعالى، ولذا عبّر عنه بقوله: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي﴾ ولم يقل: «ولم تصرف عني».[٤]

وحصيلة الكلام: أنّ الممكن في وجوده وبقائه قائم بالله سبحانه فهو في حدوثه رهن العلّة، وهكذا في بقائه؛ لأنّه في حدّ الذات لايملك شيئاً، فلذلك في كل آن رهن الأفاضة من الله سبحانه إليه، وهذا هو المصحّح لدعاء النبيﷺ لاستمرار تلك الإفاضة.

وأظن أن هذه الإشكالات كانت واضحة الجواب عند السيد الآلوسي،

١ . روح المعاني ١٩ :١٠.
٢ . الفاتحة: ٩.
٣ . يوسف: ٣٣.
٤ . الميزان في تفسير القرآن ١٣ :٢٧٠.

ولكن رأيه المسبق في أئمة أهل البيت عليهم السلام أوجد تلك الأفكار في ذهنه.

سؤال وجواب:

ربما يقال: إنّ الآية على فرض دلالتها على العصمة، إنّما تدلّ على عصمتهم من العصيان، وأمّا عصمتهم من الخطإ، فالآية غير ناظرة إليه.

والجواب: أنّ بعض المفسّرين عمّم الرجس على الفكر الخاطئ في ذهن الإنسان، وبذلك جعل الآية دالّة على العصمة في كلا الموقفين.[١]

ومع ذلك يمكن الإجابة بالقول بالملازمة بين العصمة من الذنوب والعصمة من الخطإ بالبيان التالي:

إنّ الهدف الأسمى من وصف أهل البيت عليهم السلام بالعصمة، ليس إلاّ اتّخاذ الأُمّة لهم أُسوة على الصعيد الفردي والاجتماعي، ومعنى ذلك كونهم معصومين في جميع الجوانب، وإلاّ فلو كانوا يخطأون في بعض الأحيان، لما صحّ جعلهم أسوة على وجه الإطلاق.

وبعبارة أخرى: إنّ أهل البيت عليهم السلام أسوة قولاً وفعلاً، ومعنى ذلك كونهم مصيبين في مجالي القول والفعل.

الآية الثانية: آية طاعة أولي الأمر

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّٰهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّٰهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾.[٢]

وجه الدلالة: أنّه سبحانه عطف أُولي الأمر على الرسول صلى الله عليه وآله وأشرك بينهما

١ . نقله الشوكاني في إرشاد الفحول: ١٢٦.

٢ . النساء: ٥٩ .

وقال: أطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم، ومن المعلوم أنّ إطاعة الرسول غير مقيّدة بشيء؛ لأنّه معصوم لا يأمر إلاّ بالحق وما فيه رضا الله تعالى، فاقتضى أن يكون أُولو الأمر كذلك أيضاً فتجب إطاعتهم مطلقاً، ومن كان كذلك فهو معصوم قطعاً.

وإن شئت فصغه في قالب الكبرى والصغرى، وقل:

أُولو الأمر مَن وجبت إطاعتهم مطلقاً.

ومن وجبت إطاعتهم مطلقاً فهم معصومون.

ينتج: أُولو الأمر معصومون.

وهذا ممّا لا كلام فيه، فقد اعترف بما ذكرنا الفخر الرازي في تفسيره وقال: إنّ الله تعالى أمر بطاعة أُولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع، لابد أن يكون معصوماً عن الخطإ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطإ، كان بتقدير إقدامه على الخطإ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطإ، والخطأ لكونه خطأُ منهي عنه، فهذايفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبارالواحد، وأنّه محال، فثبت أنّ الله تعالى أمر بطاعة أُولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أنّ كلّ

من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم، وجب أن يكون معصوماً عن الخطإ، فثبت قطعاً أنّ أُولي الأمر المذكور في هذه الآية لابد وأن يكون معصوماً.[١]

ثم إنّ بعض المفسّرين حمل «أُولي الأمر» على الأمراء والسلاطين، ومن المعلوم أنّ أُولئك غير معصومين، بل أكثرهم من الفسقة والفجرة الذين يتعاملون بحقوق الشعوب بالحرمان والعصيان، وبعضهم فسّره بالعلماء من أهل الحل والعقد، وهذا أيضاً كالتفسير السابق إذ ليسوا بمعصومين قطعاً.

وأمّا تفسيرهم بالخلفاء الراشدين فغير تامّ جدّاً؛ لأنّه يستلزم اختصاص الآية بفترة خاصّة لا تتجاوز الأربعين سنة.

فعلى المفسّر المحقّق أن يتحرّى عن المراد بـ «أُولي الأمر» فلامعنى لأن يأمر الله سبحانه بإطاعة أُولي الأمر ولكن لم يعرّفهم.

والذي يجب أن يقال: إنّهم عبارة عن الخلفاء الاثني عشر الذين عرّفهم الرسول صلى الله عليه وآله بتعابير مختلفة.

أخرج مسلم في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لايزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلُّهم من قريش».[٢]

إنّ أحاديث الأئمة الاثني عشر من الروايات الواردة في صحيحي البخاري ومسلم بطرق وصور مختلفة، كلّها تحكي عن أنّ النبي صلى الله عليه وآله أخبر عن اثني عشر خليفة من بعده، بهم أنيط عزّ الإسلام وقوامه، وبما أنّ المقال لا يسع لنقل هذه الروايات فللطالب أن يرجع إلى الصحيحين.[٣]

وقد مرّ أن تفسير أُولي الأمر بالخلفاء الراشدين، يستلزم اختصاص الآية

---

١ . تفسير الرازي ١٠ :١٤٤.

٢ . صحيح مسلم ٦ : ٣، ط. دار الفكر بيروت؛ ولاحظ : سنن أبي داود ٢ :٣٠٩.

٣ . لاحظ صحيح البخاري ٨ :١٢٧، طبعة دار الفكر، ١٤٠١ هـ .

بفترة معينة، ولكن تفسيره بالأئمة الاثني عشر عليهم السلام يلازم استمرار وجود أُولي الأمر، فإنّ الإمام الثاني عشر أعني المهدي بن الحسن المنتظر عليه السلام هو حي يرزق سيظهره الله تعالى في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ورد في المصادر الحديثية للفريقين.

١. روى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو لم يبق من الدهر إلاّ يوم واحد لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً».[١]

٢. أخرج أبو داود عن عبدالله بن مسعود: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي».[٢]

٣. أخرج أبو داود عن أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة».[٣]

٤. أخرج الترمذي عن ابن مسعود: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي».[٤]

إلى هنا تمّ الكلام في الدليل القرآني على عصمة أهل البيت عليهم السلام، بقي الكلام فيما ورد في السنّة الشريفة من دلائل عصمتهم.

عصمة أهل البيت عليهم السلام على بيانٍ من النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله

قد ورد التعريف بأهل البيت تارةً، والعترة ثانياً في لسان النبي صلى الله عليه وآله بعبارات تدلّ على أنّهم لايفارقون الحقَّ، ولايميلون إلى الباطل، وقد ورد ذلك المضمون في روايات متعدّدة نخصّ بالذكر منها اثنتين، وهما:

١. مسند أحمد ١: ٩٩، ٣: ١٧ و ٧٠.
٢. جامع الأُصول ١١: ٤٨ برقم ٧٨١٠.
٣. جامع الأُصول ١١: ٤٨ برقم ٧٨١٢.
٤. المصدر نفسه برقم ٧٨١٠.

١. حديث الثقلين.

إنّ النبي الأكرمﷺ قرن عترته بالكتاب الكريم، وجعل التمسّك بهما سبباً لعدم ضلال الأُمّة، ومن المعلوم أنّ القرآن لايأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه، فما فيه عين الحقّ وحقّ اليقين، فإذن يكون قرينه الذي لا يفترق عنه، مثله، وهذا ما يعبّر عنه بحديث الثقلين لوروده في بعض المتون، وها نحن نذكر الصور المختلفة المتنوعّة من هذا الحديث، الذي نادى به النبيّ في مواضع مختلفة، ولعلّ الاختلاف في بعض الألفاظ نابع من إيراده في ظروف متعدّدة،

وإليك صور الحديث:

أ. لمّا رجع من حجّة الوداع ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن فقال:

١. «كأنّي دعيت فأجبت، إنّي قد تركت فيكم الثقلين. أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى، وعترتي، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض».[1]

٢. «ياأيّها الناس إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله،

١. أخرجه الحاكم عن زيد بن أرقم، المستدرك ٣ : ١٠٩.

وعترتي أهل بيتي».[١]

٣. «إنّي تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما».[٢]

٤. «إنّي تارك فيكم الخليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض».[٣]

وقد اقتصرنا في نقل المصادر بالأقل القليل من الكثير، وإلاّ فمصادر الحديث كثيرة تناهز العشرات، وقد ألّف غير واحد من أصحابنا كتباً في أسانيد الحديث وتضافره بل تواتره.

ولكن يجب علينا أن نركّز على ما رامه النبي الأكرمﷺ من الوصاية بهما، فنقول:

إنّ رسول اللهﷺ قد حكم في حديث الثقلين عن وجود التلازم بين عترته أهل بيته وبين الكتاب العزيز، وأوصى المسلمين بالتمسّك بهما معاً مصطحبين، ليتجنّبوا الوقوع في الضلالة، وأشارﷺ بقوله: «لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» إلى أنّهما بمنزلة التوأمين الخلفتين عنهﷺ، وهذا يقضي أن يكون أهل البيتعليهم السلام مقارنين للكتاب في الوجود والحجّة.

وبعبارة أخرى: إنّ ذلك يدلّ على أنّه لابدّ في كلّ عصر، في جملة أهل البيت، من حجّة معصوم مأمون يقطع على صحّة قوله.

١. أخرجه الترمذي والنسائي عن جابر ونقله عنهما في كنز العمال ١ : ٤٤.

٢. أخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم ونقله في كنز العمال ١ : ٤٤، برقم ٨٧٤.

٣. أخرجه أحمد في مسنده ٥ : ١٨٢ ١٨٩. ولاحظ: مسند أحمد٣: ١٤و١٧ و٢٦، طبعة دار صادر- بيروت؛ سنن الترمذي ٥ : ٣٢٨؛ فضائل الصحابة للنسائي: ١٥؛ مجمع الزوائد ١ : ٨٨.

وممّا يؤيد ما ذكرنا أنّه ورد في ذيل بعض الصور أنّ النبيﷺ بعدما ذكر أنّه مخلّف كتاب ربّه وعترته أهل بيته، قد أخذ بيد عليعليه السلام ورفعها وقال: «هذا عليٌّ مع القرآن، والقرآن مع علي، لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض».[١] أفيشك في عصمة القرآن مسلمٌ؟! فلابدّ أن لا يشكّ في عصمة مَن لا يفارقه.

* * *

٢. حديث السفينة

إنّ حديث السفينة من الأحاديث المتواترة عند المحدّثين، ولايسعنا نقل مصادره، ومن أرادها، فليراجع إلى هامش الصفحة :٧٧ من كتاب «المراجعات» للعلامة السيد شرف الدينقدس سره.

فقد تضافرت الروايات عن النبي الأكرمﷺ أنّه شبّه أهل بيته بسفينة نوح، وقال ما هذا لفظه: «ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها غرق».[٢]

وفي لفظ آخر: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق، وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غُفر له».[٣]

يقول السيد شرف الدين العامليقدس سره: وأنت تعلم أنّ المراد بتشبيههم بسفينة نوح، أنّ مَن لجأ إليهم في الدين، فأخذ فروعه وأصوله عن أئمتهم الميامين نجا من عذاب النار، ومَن تخلّف عنهم كان كمن آوى يوم الطوفان إلى جبل

---

١ . الصواعق المحرقة: ١٢٤، طبعة المحمدية بمصر.

٢ . مستدرك الحاكم ٢ : ٣٤٣، و ٣ : ١٥١.

٣ . مجمع الزوائد للهيثمي ٩ : ١٦٨. ولاحظ : المعجم الكبير للطبراني ٣ : ٤٦ ؛ كنز العمال٢ : ٤٣٥ و ١٢ :٩٨.

ليعصمه من أمر الله، غير أنّ ذاك غرق في الماء وهذا في الجحيم والعياذ بالله.

والوجه في تشبيههم عليهم السلام بباب حطّة، هو أنّ الله تعالى جعل ذلك الباب مظهراً من مظاهر التواضع لجلاله والخضوع لحكمه، وبهذا كان سبباً للمغفرة. وقد جعل انقياد هذه الأُمّة لأهل نبيّها والاتّباع لأئمتهم مظهراً من مظاهر التواضع لجلاله والبخوع لحكمه، وبهذا كان سبباً للمغفرة. وهذا وجه الشبه، وقد بيّنه ابن حجر في كلامه بعد أن أورد الحديث وغيره قال : ووجه تشبيههم بالسفينة أنّ مَن أحبّهم وعظّمهم شكراً لنعمة مشرّفهم، وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومَن تخلّف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم، وهلك في مفاوز الطغيان.. إلى أن قال: وباب حطّة يعني: ووجه تشبيههم بباب حطّة أنّ الله تعالى جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب أريحا أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفرة، وجعل لهذه الأُمة مودّة أهل البيت عليهم السلام سبباً لها.[1]

هذا ما سمح به الوقت وجاد به الفكر، عسى أن يقع موقع القبول، والحمد لله رب العالمين.

جعفر السبحاني قم المقدسة

مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

٧ / محرم الحرام / من شهور سنة ١٤٣٤هـ

---

١ . الصواعق المحرقة: ١٥١، الطبعة المحمدية، مصر.

صفوة (يواقيت) الأحكام في مواقيت الإحرام

تأليف: العلامة السيد مصطفى النقوي (م ١٣٢٣ هـ)

تحقيق: الشيخ علي الفاضلي

حياة المؤلف:

قال السيد علي نقي النقوي (م ١٤٠٩ هـ):

عماد العلماء السيّد مصطفى بن السيّد محمّدهادي بن السيّد مهدي بن العلاّمة السيّد دلدارعلي (رحمه الله) طاب ثراه.

كان عالمًا فقيهًا أذعنت لفقاهته العامّة والخاصّة، وكانت إليه المراجعة في الفتاوى من الأقطار الدانية والشاسعة، وكان هو المقلَّد العامّ في كافّة بلاد الهند، وكان جدّنا العلاّمة السيد إبراهيم يعتمد عليه ويرجع إليه الناس في جملة من المطالب، وقد أقامه مقامه في الإفتاء والإمامة عند رحلته الأُولى إلى مشاهد

العراق، وكتب له وصيّة اعترف له فيها بالاجتهاد وجلالة القدر، وقلّده كلّ الأُمور خطيرها وحقيرها في مدّة غيبته عن الهند، فقام بها حقّ القيام.

قرأ السيّد المترجم على ممتاز العلماء السيّد محمّدتقي (رحمه الله) وكان صهره على بنته.

وكانت ولادته سنة ١٢٥٢هـ.

ويروي عن جملة من علماء العراق منهم: الفاضل الأردكاني(رحمه الله) والسيّد علي آل بحرالعلوم (رحمه الله).

ومن مصنّفاته:

١. شرح دعاء العديلة.[١]

٢. العجالة المفحمة في الإنكار على قصّة زواج أمّ كلثوم.[٢]

٣. كفاية السائلين في الفقه.[٣]

٤. القول الفصل في الوقف بالحركة والوصل بالسكون.[٤]

٥. نخبة الأذكار.[٥]

٦. الفرائد البهية استدلالي في الفقه.[٦]

---

١. فارسي مطبوع كما في الذريعة ١٣: ٢٥٨.

٢. فارسي مطبوع كما في الذريعة ١٥: ٢٢٣.

٣. عنه في الذريعة ١٨: ٩٢.

٤. فارسي مطبوع كما في الذريعة ١٧: ٢١٢.

٥. إنّه في الأدعية، طبع بلكهنو كما في الذريعة ٢٤: ٩٣.

٦. قال في الذريعة (١٦: ١٣٤): الفرائد البهية في المسائل الاثنى عشرية، و[كذا] تحقيق اثنى عشر مسألة فقهية، للسيّد مصطفى المدعو بميرآقا. طبع ١٣٠٥هـ. ويأتي للمؤلّف الفوائد البهية. قال في ذيله (١٦: ٣٢٦): فقه استدلالي. ذكره السيّد علي نقي، وأنت كما لاحظت «الفرائد» لا «الفوائد» وراجعت أيضًا مخطوطة مشاهير وهو كما في المتن.

٧. عقائد الإمامية الاثنى عشرية.[١]

٨. الموعظة الفاخرة.[٢]

٩. حاشية على طهارة الرياض.[٣]

١٠. اليواقيت في أحكام المواقيت.[٤]

١١. خزانة المسائل في الفقه.[٥]

١٢. حاشية على الروضة البهية للشهيد الثاني (رحمه الله).[٦]

١٣. حاشية على زبدة الأُصول للشيخ البهائي (رحمه الله).[٧]

١٤. حاشية على نتائج الأفكار للسيّد إبراهيم الحائري (رحمه الله) في الأُصول.[٨]

١٥. حاشية على مبادئ الأُصول لآية الله العلاّمة (رحمه الله).[٩]

١٦. حاشية على تشريح الأفلاك للبهائي في الهيئة.[١٠]

١٧. شرح الشافية في الصرف.[١١]

١٨. حاشية على شرح الكافية للجامي في النحو.[١٢]

---

١. طبع بلسان الأُردو، كما في الذريعة ١٥: ٢٨١.

٢. طبع في ضمن مجموعة بالهند كما في الذريعة ٢٣: ٢٧١.

٣. عنه في الذريعة ٦: ١٠٢.

٤. سيوافيك الكلام عنه.

٥. قال في الذريعة (٧: ١٥٨): إنّه في أربعة أجزاء: ١. أصول العقائد ٢. أصول الفقه ٣. تمام أبواب الفقه ٤. المسائل المتفرّقة، طبع منه الجزء الأوّل، المرتّب على مقدّمة وخمسة أبواب.

٦. ذكرها في الذريعة (٦: ٩٦) نقلاً عن فهرس تصانيفه.

٧. ذكرها في الذريعة (٦: ١٠٣) نقلاً عن ترجمته المطبوعة.

٨. ذكرها في الذريعة (٦: ٢٢٧) نقلاً عن ترجمته المطبوعة.

٩. ذكرها في الذريعة (٦: ١٩٠) نقلاً عن ترجمته المطبوعة.

١٠. عنه في الذريعة (١٨٧٤:) وعن ترجمته المطبوعة في الذريعة، ٦: ٣٩.

١١. عنه في الذريعة (٦: ١٢٣) ولكن فيه الحاشية على شرح الشافية، للجاربردي.

١٢. ذكرها في الذريعة (٦: ٥٧) عن فهرس تصانيفه.

١٩. هداية العوام، رسالة عملية في النحو.[١]

٢٠. تشييد الأذهان.[٢]

٢١. معرب عين الحياة للمجلسي (رحمه الله).[٣]

٢٢. رسالة في مقتل مولانا الحسين (عليه السلام).[٤]

توفي سنة ١٣٢٣هـ، ودفن في حسينية جدّه غفران مآب...

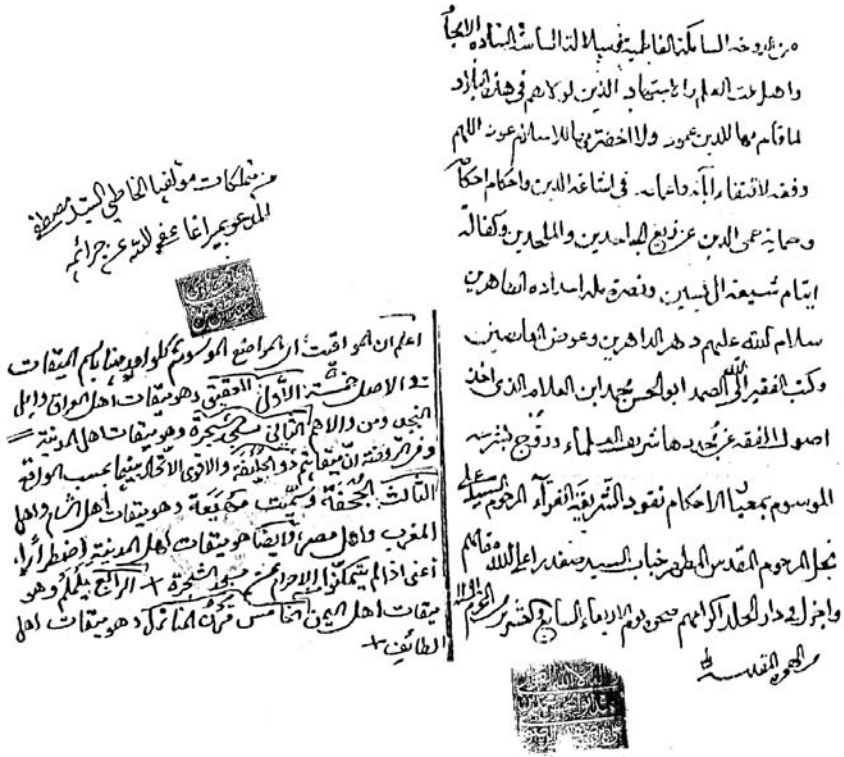

صفحتان من النسخة المخطوطة

---

١. ذكرها في الذريعة ٢٥: ١٨٦.

٢. عنه في الذريعة ٤: ١٩٢.

٣. ذكره في الذريعة مرّتين (٤: ٢١٣ و٢١: ٢٤٠) مرّة بعنوان «تعريب» والأُخرى بعنوان «معرب».

٤. ذكرها في الذريعة (٢٢: ١٣٠) وقال: يوجد في خزانة كتبه.

تقريظ وإجازة السيّد أحمد علي الحسيني المحمّدآبادي

... ومن هؤلاء النجوم الساطعة، والكواكب الدراري الطالعة، البارع المفيد، الحبر السعيد، سلالة المجتهدين الكرام، نقاوة الفقهاء الفخام، الفائز من العلوم بالقدح المُعَلّى، والواصل من الفضائل إلى الدرجة القصوى، مأوى الرشاد والصلاح والتقوى، المستجمع لشرائط الفتوى، السيّد مصطفى المدعوّ بميرآغا أدام الله عزّه ومعاليه، وبارك أيّامه ولياليه ، وهو نجل عمدة العلماء وأجلّ الفقهاء السيّد هادي بن العالم الأورع الأوحد السيّد مهدي بن العلاّمة الفهّامة السيّد دلدار علي طيّب الله مضاجعهم قد صنّف في هذا الزمان رسالة أنيقة، فيما يتعلّق من كتاب الحجّ بمبحث المواقيت، مضيئة كاللآلي واليواقيت، وعرضها عليّ بعض الطلبة في المجالس العديدة، فألفيتها متضمّنة للتحقيقات السديدة.

ثمّ استجازني أدام الله تأييده على ما جرت عليه سيرة الأسلاف الأخيار والقدماء الأبرار، حيازةً لشرف تحمّل الروايات، واتّصال سلسلة المستندات، فأجزت له أدام الله تأييده أن يروي عنّي كلّ ما صحّ لي روايته، وساغ لي نقله وحكايته، من مقروآتي ومسموعاتي من الكتب الدينية الأُصولية والفروعية، سيّما الكتب الأربعة التي هي معادن أحكام الدين، وخزائن الأخبار المروية عن المعصومين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ التي هي كمراصد الكواكب للناظر في المسائل، وكالمراكز لدوائر الكتب والرسائل، وهي: الكافي والفقيه والتهذيب والاستبصار، المعروفة في الأصقاع والأمصار للمحمّديين الثلاثة الأخيار، أساطين الدين، وورثة علوم الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وغيرها من الكتب الدينية المستندة إلى مصنّفيها الأعلام في الفقه والتفسير والكلام.

وأنا أروي جميع هذه الكتب الدينية عن سيّدي وأستاذي الإمام العلاّمة السيّد دلدارعلي نوّر الله مضجعه ـ، وله عدّة طرق إلى العالم الربّاني الشهيد الثاني، وكذلك له إلى الشهيد الأوّل وله إلى من بعده، وأذكر هنا واحدة منها معبّراً عنها بسُبحة الجواهر ومجموعة العباهر.

فلا يخفى أنّه طاب ثراه يروي عن الحضرة العلية، والآية الإلهية، الهادي للحاضر والبادي، سيّدنا وأستاذنا محمّد مهدي غمره الله في رحمته الكاملة وألطافه السابغة الشاملة ـ عن المحقّق النحرير والفقيه العديم النظير، البحر الزاخر باقر العلوم محمّد باقر بن الشيخ الأكرم الأبجل الأفضل مولانا محمّد أكمل، عن أبيه الماجد، عن مشايخه الأعاظم الأكارم والأماثل الأفاخم، وهم: المدقّق الفاضل محمّد بن الحسن الشيرواني، والمحقّق الكامل جمال الدين محمّد الخوانساري، والفقيه النبيه جعفر القاضي، عن الشيخ الأجلّ الأورع الأزهد، والعالم المحدّث العَلَم المفرد، العلاّمة التقي بن علي المجلسي[1]، عن شيخه وشيخ الإسلام والمسلمين الشيخ العلاّمة الفقيه بهاء الدين والملّة، عن أبيه الشيخ الفقيه الوجيه الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي، عن شيخه الجامع لجوامع علوم الدين، والسالك لأحسن مسالك الشرع المبين، عمدة المجتهدين المتبحّرين، زين الملّة والحقّ والدين، المعروف بالشهيد الثاني قدّس الله تربته، وأعلى في جنان الخلد رتبته ـ عن الفاضل التقي علي بن عبدالله الميسي، عن الشيخ الكامل السعيد محمّد بن محمّد بن محمّد بن داود المؤذّن الجِزّيني، عن

١ . قال سيّد العلماء السيّد حسين بن السيّد دلدارعلي في إجازته لابنه ممتاز العلماء السيّد محمّدتقي (المطبوعة مع أوراق الذهب، ص ٤٥٢ بتحقيقنا): هكذا في كلام بحر العلوم، والظاهر أنّه اكتفى من عَلَمه المركّب بجزئه الثاني كما صنعه في اسم أبيه؛ فإنّ اسمه محمّد تقي واسم أبيه مقصود علي، ومن عادة العجم تركيب الأسماء تركيباً مزجياً من عَلَمين، بل من عَلَم ولقب، وكان الأولى الاكتفاء بالاسم العلمي، لكنّه اختار الاسم اللقبي؛ لاشتهاره.

الشيخ الكامل ضياء الدين علي، عن والده الأفضل الأكمل، المحقّق الجامع في معارج السعادة بين رتبة العلم ودرجة الشهادة، الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّي، عن جماعة من مشايخه[١]، منهم السيّد المحقّق الطاهر عميد الدين عبدالمطّلب الحسني، والشيخ الأفضل فخر المحقّقين أبو طالب محمّد الحلّي، والسيّد الفاضل النسّابة أبو عبدالله محمّد بن قاسم بن مَعيّة الحسيني، والسيّد الكبير نجم الدين مهنّا بن سنان المدني، والمولى الفاضل ملك العلماء قطب الدين محمّد الرازي، وأحمد بن محمّد بن زهرة الحلبي، والشيخ أحمد بن يحيى المزيدي، عن الشيخ الأكمل العلاّمة آية الله في العالمين جمال الملّة والدين ـ قدّس الله سرّه، ونوّر ضريحه ـ، عن الشيخ الأفضل رئيس المحقّقين نجم الملّة والدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن السعيد الحلّي، عن السيّد الجليل النسّابة فخار[٢] بن معد الموسوي، عن شاذان بن جبرئيل القمّي، عن محمّد بن القاسم الطبري، عن الشيخ الفقيه أبي علي الحسن بن [محمّد]، عن والده الأجلّ الأكمل شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسي، عن الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن نعمان الحارثي، عن الشيخ الأجلّ ثقة الإسلام محمّد بن علي بن بابويه، عن شيخه الإمام، عَلَم الأعلام، قدوة الأنام، ثقة الإسلام أبي جعفر محمّد بن يعقوب الكليني الرازي، وهؤلاء الشيوخ الثلاثة يروون بأسانيدهم المذكورة في الكافي والتهذيب والفقيه والاستبصار وغيرها من مصنّفاتهم عن الأئمّة الأطهار عليهم الصلاة والسلام ـ، وهم صلوات الله عليهم يروون عن جدّهم سيّد المرسلين (صلى الله عليه وآله)، عن جبرئيل الأمين، عن الله ربّ العالمين.

ثمّ أوصيك أيّها الجامع لسعادتي العلم والعمل، والصاعد على ذروة

---

١ . في النسخة: مشائخه.

٢ . في النسخة: فخّار (بالتشديد).

المجد الأكمل، بتقوى الله عزّوجلّ، والأخذ بما مضى عليه الأخيار من الأوّلين، والأبرار الأعلام من آبائك المجتهدين، وباستفتاح أبواب نعم الله تعالى بالدعاء، واستمطار شآبيب رحمته بحسن الرجاء، وبإمعان النظر عند الاستنباط واستفراغ الوسع فيه مراعياً للاحتياط، ثمّ المرجوّ أن تذكرني في خلواتك، وتسأل الله لدنياي وآخرتي عقيب صلواتك، وآخر دعواي أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على سيّد المرسلين وآله الطيّبين الطاهرين.

حرّرها العبد الراجي عفو ربّه الهادي، أحمد علي الحسيني المحمّدآبادي، يوم الخميس الخامس عشر من المحرّم سنة إحدى وتسعين من المئة الثالثة عشرة من هجرة سيّد البشر صلوات الله عليه وآله ما طلعت الشمس واستنار القمر.

محلّ خاتمه الشريف: لا إله إلاّ الله الملك الحقّ المبين عبده أحمد علي الحسيني ١٢٦٢هـ

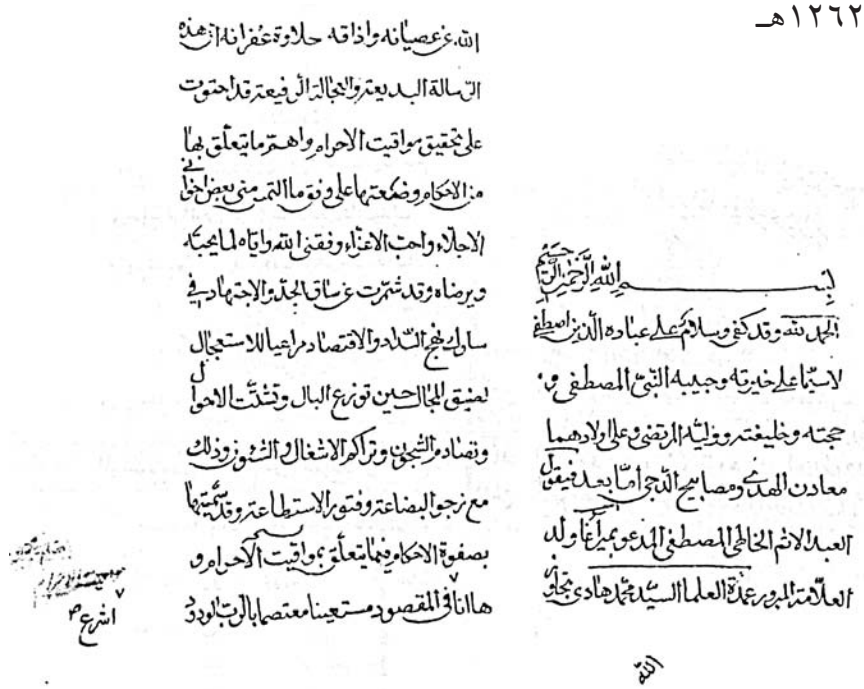

الصفحتان الأوليان من النسخة المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وقد كفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، لا سيّما على خيرته وحبيبه النبي المصطفى، وحجّته وخليفته ووليّه المرتضى، وعلى أولادهما معادن الهدى ومصابيح الدجى.

أمّا بعد، فيقول العبد الآثم الخاطئ المصطفى، المدعوّ بمير آغا، ولد العلاّمة المبرور عمدة العلماء السيّد محمّد هادي تجاوز الله عن عصيانه وأذاقه حلاوة غفرانه ـ : إنّ هذه الرسالة البديعة، والعجالة الرفيعة، قد احتوت على تحقيق مواقيت الإحرام، وأهمّ ما يتعلّق بها من الأحكام، وضعتُها على وفق ما التمس منّي بعض إخواني الأجلاّء وأحبّ الأعزّاء وفّقني الله وإيّاه لما يحبّه ويرضاه ـ .

وقد شمّرت عن ساق الجدّ والاجتهاد، في سلوك نهج السداد والاقتصاد، مراعياً للاستعجال لضيق المجال، حين توزّع البال وتشتّت الأحوال، وتصادم الشجون وتراكم الأشغال والشؤون، وذلك مع زجو البضاعة[1] وفتور الاستطاعة، وقد سمّيتها بصفوة الأحكام فيما يتعلّق بمواقيت الإحرام[2]، وها أنا أشرع في المقصود مستعيناً معتصماً بالربّ الودود.

فاعلم أنّ المواقيت هي تكسير الميقات، وهو مفعال ياؤه واو؛ لأنّه من

---

١ . بضاعة مزجاة: قليلة.

٢ . كتب عليها «نسخة» وكتب المؤلّف بخطّه في هامشها: «يواقيت الأحكام فيما يتعلّق بمواقيت الإحرام»، فعلى هذا جعل المؤلّف للرسالة اسمين، كما وقد عبّر عنها المفتي محمّد عبّاس الجزائري في تقريظه والسيّد علي نقي النقوي في مشاهير علماء الهند وصدر الأفاضل في مطلع أنوار والسيّد محمد حسين نوگانوى في تذكره بى بها وآقا بزرگ الطهراني في موضع من الذريعة (٢٥ :٢٩٥) باليواقيت، وكما عبّر عنها الفاضل الأردكاني، وشمس العلماء السيّد إبراهيم (أخو زوجته) في تقريظهما وآقا بزرگ في موضع آخر من الذريعة (١٥ :٤٨) بصفوة الأحكام، كما تقدّم.

الوقت، والمراد به هنا حقيقة أو توسّعاً مكان الإحرام.

وقد اختلف عبارات الأصحاب في بيان تعداد المواقيت، ففي بعضها أنّها خمسة، وفي بعضها زيد عليها واحدٌ، وفي بعضها اثنان، وفي بعضها أربعة، وفي بعضها خمسة، فتلك عشرة كاملةٌ، ولا بأس بهذا الاختلاف؛ لأنّه يؤول إلى الاختلاف في التعبير والعنوان دون المعبّر عنه والمعنون؛ لأنّ الجميع ممّا جوّزوا إحرام أهله منه إلاّ العاشر وهو فخّ فإنّه خلافيٌ.

والظاهر عند النظر القاصر أنّه لو أريد من المواقيت الأمكنة الخاصّة المعهودة المعروف كلّ منها باسم الميقات فأحسن العبارات وأرجحها الأُولى؛ لانحصارها في الخمسة كما هو واضح، وإن أريد من الميقات المعنى الذي ذكرناه من قبل، أي كلّ موضع يجوز منه الإحرام شرعاً، ولو على بعض الوجوه وبالنسبة إلى البعض، فأحسنها ما اشتملت على أنّها تسعة بإخراج العاشر لما عرفت، ولو أخذ الإحرام على طريق عموم المجاز أعمّ من التجريد لاندرج تحتها كما لا يخفى، وقد ذكرت هنا تمام العشرة أجمع لكونها أشمل وأنفع.

الميقات الأوّل: العقيق[1]

فأقول ومن الله التوفيق: الميقات الأوّل العقيق وهو في اللغة كلّ واد عقّه السيل، أي شقّه، فأنهره ووسّعه، وسمّي به أربعة أودية في بلاد العرب:

أحدها الميقات، وهو واد يندفق سيله في غَوْري تهامة كما هو المحكي عن تهذيب اللغة[2] وهو ميقات أهل العراق وأهل النجد ومن والاهم بالإجماعات المنقولة والأخبار المستفيضة الكثيرة، والتي عثرت عليها في المقام عدّة أخبار:

أ. صحيحة معاوية بن عمّار عن أبي عبدالله عليه السلام: «من تمام الحجّ والعمرة أن

١ . العنوان من هامش النسخة.

٢ . تهذيب اللغة ١ :٥٩ والحاكي الفاضل الهندي في كشف اللثام ٥ :٢٠٤.

تُحرِم[١] من المواقيت التي وقّتها رسول الله صلى الله عليه وآله لا تُجاوزَها إلاّ وأنت مُحْرِم؛ فإنّه وقّت لأهل العراق ولم يكن يومئذ عراقٌ بطنَ العقيقِ من قِبَل العراق، ووقّت لأهل اليمن يَلَمْلَم، ووقّت لأهل الطائف قَرْنَ المنازلِ، ووقّت لأهل المغرب الجُحْفَةَ وهي مَهْيَعَةُ، ووقّت لأهل المدينة ذا الحُلَيْفَة، ومن كان منزله خلف هذه المواقيت ممّا يلي مكّة فوَقْتُه منزله».[٢]

ب. والحسن على المشهور،[٣] عن الحلبي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «الإحرام من مواقيت خمسة وقّتها رسول الله لا ينبغي لحاجّ ولا معتمر أن يحرم قبلها ولا بعدها: وقّت لأهل المدينة ذا الحُلَيْفَة وهي[٤] مسجد الشجرة يُصلّي فيها[٥] ويفرض[٦] الحجّ، ووقّت لأهل الشام الجُحْفَةَ، ووقّت لأهل نَجْد العَقِيقَ، ووقّت لأهل الطائفِ قَرْنَ المنازل، ووقّت لأهل اليمنِ يَلَمْلَمَ، ولا ينبغي لأحد أن يَرغَبَ عن مواقيت رسول الله صلى الله عليه وآله».[٧]

---

١ . في النسخة: يحرم.

٢ . الكافي ٤ :٣١٨، باب مواقيت الإحرام، ح ١ وفي ط دار الحديث ٨ :٣٣٩ ٣٤٠، ح ١؛ تهذيب الأحكام٥ :٥٤ ـ٥٥ وص ٢٨٣، ح ١٦٦ و٩٦٤؛ وسائل الشيعة١١ :٣٠٨، باب ١ من أبواب المواقيت، ح ٢. و رواه مع اختلاف ، الصدوق في علل الشرائع:٤٣٤، باب ١٦٩، ح ٢ وعنه في بحار الأنوار ٩٦ :١٢٨، ح ١٣.

٣ . لوجود إبراهيم بن هاشم.

٤ . في المصادر: هو.

٥ . في المصادر: فيه.

٦ . في الكافي: فيه.

٧ . الكافي٤ :٣١٩، باب مواقيت الإحرام، ح ٢ وفي ط دار الحديث٨ :٣٤١، ح ٢؛ تهذيب الأحكام٥ :٥٥، ح ١٦٧؛ وسائل الشيعة١١ :٣٠٨، باب (١) تعيين المواقيت التي يجب الإحرام منها من أبواب المواقيت، ح ٣.
وروى قريبه في دعائم الإسلام١ :٢٩٧، وعنه في مستدرك الوسائل٨ :١٠١، باب ١، ح ١.

ج. رواية عبيد الله بن علي الحلبي وهي قريبة من المتقدّمة وزاد فيها بعد قوله: «ويفرض الحجّ»: «فإذا خرج من المسجد وسار واستوت به البيداء حين يحاذي الميل الأوّل أحرم».[١]

أقول: لعلّ المراد بفرض الحجّ عقد الإحرام، وبالإحرام عند محاذاة الميل التلبية أو رفع الصوت بها كما يستفاد من بعض الأخبار الأُخر الآتية.

د. رواية الخزّاز قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام حَدِّثْني عن العقيق أوَقْتٌ وقّتَه رسولُ‌الله صلى الله عليه وآله أو شيء صنعه الناسُ؟ فقال: «إنّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله وقّت لأهل المدينة ذا الحُلَيْفَة، ووقّت لأهل المغرب الجُحْفَةَ وهي عندنا مكتوبة مَهْيَعَةُ، ووقّت لأهل اليمن يَلَمْلَمَ، ووقّت لأهل الطائف قَرْنَ المنازل، ووقّت لأهل نَجْد العقيقَ وما انْجَدَتْ».[٢]

قال صاحب الوافي: الإنجاد الدخول في أرض نجد، والارتفاع، وتأنيث الضمير باعتبار الأرض، يعني: وقّته[٣] لمن دخل أو علا أرض نجد في طريقه. أسند الإنجاد إلى الأرض وأراد من دخلها تجوّزاً؛ انتهى.[٤]

وقال في الحدائق: [قوله:] «وما أنجدت» إشارة إلى وجوب الإحرام من هذا الميقات على من مرّ به وإن لم يكن من أهل نجد... إلى آخره.[٥]

هـ. رفاعة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «وَقَّتَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله العقيقَ لأهل

١. من لا يحضره الفقيه٢ :٣٠٢، ح ٢٥٢٢؛ وسائل الشيعة١١ :٣٠٨، باب ١، ح ٤.
٢. الكافي٤ :٣١٩، ح ٣ وفي ط دار الحديث٨ :٣٤٢، ح ٣؛ علل الشرائع:٤٣٤، باب ١٦٩، ح٣؛ تهذيب الأحكام ٥٥٥:، ح ١٦٨؛ وسائل الشيعة١١ :٣٠٧، باب ١، ح ١؛ بحار الأنوار ٩٦:١٢٨، ح ١٤. و رواه مع اختلاف، الصدوق في علل الشرائع:٤٣٤، باب ١٦٩، ح ٢ وعنه في بحار الأنوار٩٦ :١٢٨، ح ١٣.
٣. في النسخة: وقّت.
٤. الوافي١٢ :٤٨١.
٥. الحدائق الناضرة١٤ :٤٣٦.

نجد، وقال: هو وَقْتٌ لما أَنْجَدَتِ الأرضُ وأنتم منهم، ووقّت لأهل الشام الجُحْفَةَ ويقال لها: المَهْيَعَةُ».[١]

قال في الوافي: وأنتم منهم، أي ممّن دخل أرض نجد أو علاها؛ انتهى.[٢]

و. صحيحة علي بن جعفر عن أخيه عليه السلام قال: سألته عن إحرام أهل الكوفة وخراسانَ وما يليهم وأهلِ الشام ومصرَ من أين هو؟ قال: «أمّا أهلُ الكوفة وخراسانَ وما يليهم فمن العقيق، وأهلُ المدينة من ذي الحليفة والجحفة، وأهل الشام ومصرَ من الجحفة، وأهل اليمن من يلملمَ، وأهل السند من البصرة، يعني من ميقات أهل البصرة».[٣]

ز. صحيحة عمر بن يزيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «وقّت رسول الله صلى الله عليه وآله لأهل المشرق العقيقَ نحواً من بريد[٤] ما بين بريد البعث إلى غَمْرَة، ووقّت لأهل المدينة ذا الحُلَيْفَة، ولأهل نجد قَرْنَ المنازل، ولأهل الشام الجحفةَ، ولأهل اليمن يلملم».[٥]

ح. مرسلة (الفقيه) قال الصادق عليه السلام: «وقّت رسول الله صلى الله عليه وآله لأهل العراق العقيق وأوّله المسلخ ووسطه غمرة وآخره ذات عرق، وأوّله أفضل. ولا يجوز الإحرام قبل بلوغ الميقات، ولا يجوز تأخيره عن الميقات إلاّ لعلّة أو تقيّة، وإذا كان الرجل عليلاً أو اتّقى، فلا بأس بأن يؤخّر الإحرام إلى ذات عرق».[٦]

---

١. من لا يحضره الفقيه٢ :٣٠٣ ٣٠٤، ح ٢٥٢٣.

٢. الوافي١٢ :٤٨٢.

٣. مسائل علي بن جعفر:٢٦٨، ح ٦٤٨؛ تهذيب الأحكام٥ :٥٥، ح ١٦٩؛ وسائل الشيعة ١١: ٣٠٩، باب١، ح ٥.

٤. كذا في بعض المصادر وفي بعضها الآخر «بريدين» كما سيأتي البحث عنها في كلام المؤلّف.

٥. تهذيب الأحكام٥ :٥٦، ح ١٧٠؛ وسائل الشيعة١١ :٣٠٩، ح ٦.

٦. من لا يحضره الفقيه٢ :٣٠٤ ٣٠٥، ح ٢٥٢٦.

ط. ما رواه الحميري في قرب الإسناد عن علي بن رئاب قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن الأوقات التى وقّتها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقّت لأهل المدينة ذا الحليفة وهي الشجرة، ووقّت لأهل الشام الجحفة، ووقّت لأهل اليمن قرن المنازل، ولأهل نجد العقيق».[١]

ي. في الفقه الرضوي عليه السلام: «فإذا بلغت أحد المواقيت، التي وقّتها رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّه وقّت لأهل العراق العقيق أوّله المَسْلَخ ووسطه غَمْرةُ وآخره ذات عرق وأوّله أفضل، ووقّت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقّت لأهل المدينة ذا الحليفة وهي مسجد الشجرة، ووقّت لأهل اليمن يلملم، ووقّت لأهل الشام المهيعة وهي الجحفة، ومن كان منزله دون هذه المواقيت ما بينها وبين مكّة فعليه أن يُحرم من منزله، ولا يجوز الإحرام قبل بلوغ الميقات، ولا يجوز تأخيره عن الميقات إلاّ لعلل أو تقية، فإذا كان الرجل عليلاً أو اتّقى فلا بأس عن أن،[٢] يؤخّر الإحرام إلى ذات عرق».[٣]

يا. في الوسائل عن علي بن جعفر عن أخيه قال: سألته عن المتعة في الحجّ، من أين إحرامها وإحرام الحجّ؟ قال: «وقّت رسول الله صلى الله عليه وآله لأهل العراق من العقيق، ولأهل المدينة ومن يليها من الشجرة، ولأهل الشام ومن يليها من الجحفة، ولأهل الطائف من قرن، ولأهل اليمن من يلملم، فليس لأحد أن يعدو من هذه المواقيت إلى غيرها».[٤]

إلى غير ذلك من الروايات الدالّة على أنّ العقيق ميقات أهل العراق وأهل النجد.

---

١ . قرب الإسناد:١٦٤، ح ٥٩٩؛ وسائل الشيعة١١ :٣٠٩، باب ١، ح ٧.

٢ . في المصدر: «بأن» بدل «عن أن».

٣ . فقه الرضا :٢١٦؛ بحار الأنوار٩٦ :١٣٠، ح ١٩.

٤ . وسائل الشيعة١١ :٣١٠، باب ١، ح ٩؛ مسائل علي بن جعفر :١٠٧، ح ١٣؛ قرب الإسناد :٢٤٤، ح ٩٧؛ بحارالأنوار١٠ :٢٥١، ح ١ و٩٦ :١٢٦ ١٢٧، ح ٦.

وأمّا ما اشتملت عليه الرواية السابعة من أنّ العقيق ميقات أهل المشرق فالمراد به كما ذكره بعض المحقّقين[١] الذين[٢] كان منزلهم خارج الميقات من شرقي مكّة من أهل نجد وما وراءه إلى أقصى بلاد المشرق،[٣] وعلى هذا فلا منافاة به.

وإذا تقرّر ذلك فاعلم أنّ العقيق المذكور له طرفان ووسط على المشهور بين الأصحاب، فأوّله المَسْلَخ[٤] بفتح الميم أو كسرها وهو إمّا بالمهملتين كما عن فخر المحقّقين والتنقيح، بمعنى الموضع العالي أو مكان أخذ السلاح ولبس لامة الحرب ويناسبه تسميته [بـ]ـبريد البعث أيضاً كما سيأتي، وإمّا بالخاء المعجمة كما حكاه ثاني الشهيدين عن بعض الفقهاء، أي موضع النزع، سمّي به؛ لأنّه ينزع فيه الثياب للإحرام، ومقتضى ذلك تأخير التسمية عن جعله ميقاتاً.

ووسط العقيق غمرة بفتح الغين المعجمة وسكون الميم والأخير مهملة وهي منهلة من مناهل طريق مكّة، وهي فصل ما بين نجد وتهامة كما حكي عن الأزهري والقاموس، سمّيت بها لزحمة الناس فيها.

وآخر العقيق ذات عرق بكسر أُولى المهملتين وسكون الثانية وهو الجبل الصغير، سمّيت بها؛ لأنّه كان بها عرق من الماء، أي قليل. وقيل: إنّها كانت قرية فخربت.[٥]

---

١ . هو الطريحي.

٢ . في النسخة: «ان من» بدل «الذين» ثمّ صحّح المؤلّف في الهامش بما في المتن، وفي المصدر: «يريد بهم من كان».

٣ . مجمع البحرين٥ :١٩١.

٤ . في مستند الشيعة: المسلح.

٥ . من قوله: «أمّا المسلخ بفتح الميم» إلى هنا أخذه من مستند الشيعة١١ :١٦٦ ١٦٧.

ويدلّ على هذا التحديد عدّة أخبار: منها مرسلة الفقيه المذكورة وهي الثامنة، ومنها الرضوية وهي العاشرة، ومنها رواية أبي بصير قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: «حدّ العقيق أوّله المسلخ وآخره ذات عرق».[١]

وممّا يدلّ على دخول ذات عرق في العقيق ما روي عن الكاظم عليه السلام أنّه قال لإسحاق بن عمّار: «كان أبي مجاوراً هاهنا، فخرج يتلقّى بعض هؤلاء فلمّا رجع وبلغ ذات عرق أحرم بالحجّ».[٢]

وكذا رواية مِسْمَع عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا كان منزل الرجل دون ذات عرق من مكّة فليحرم من منزله».[٣]

والظاهر أنّ التحديد بذلك ممّا لا يوجد فيه خلاف بين الأصحاب، وقد صرّح بعض الأفاضل،[٤] أنّه ممّا اتّفقت عليه الأخبار وكلمة الأصحاب إلاّ خبراً واحداً هو صحيحة ابن عمّار أنّ أوّل العقيق بريد البعث، وهو دون المسلخ بستّة أميال ممّا يلي العراق، وبينه وبين غمرة أربعة وعشرون ميلاً بريدان. انتهى.

وهي تدلّ على تقدّم مبدإ العقيق على المسلخ بستّة أميال، ولكنّها شاذة ولم نجد عليها عاملاً، ويمكن الجمع بأنّ المراد في هذه الصحيحة مطلق العقيق، وفي باقي الأخبار الميقات من العقيق.

وعلى هذا فلا يجوز الإحرام قبل الوصول إلى المسلخ الذي كونه مبدأ العقيق ممّا لا يوجد فيه خلاف، مع دلالة الأخبار الثلاثة المذكورة عليه، وكذا لا يجوز تأخيره عن ذات عرق نصّاً وإجماعاً.

١ . تهذيب الأحكام٥ :٥٦، ح ١٧١؛ وسائل الشيعة١١ :٣١٣، باب ٢، ح ٧.
٢ . تهذيب الأحكام٥ :١٦٤، ح ٥٤٩؛ وسائل الشيعة١١ :٣٠٤، باب ٢٢، ح ٨.
٣ . تهذيب الأحكام٥ :٥٩، ح ١٨٥؛ وسائل الشيعة١١ :٣٣٤، باب ١٧، ح ٣.
٤ . هو النراقي في مستند الشيعة.

وأمّا تأخير الإحرام عن الغمرة إلى ذات عرق اختياراً، أي لا لمرض ولا تقية ونحوهما، فيجوز على المذهب المشهور شهرة عظيمة كادت تكون إجماعاً، بل نسبه جماعة إلى الأصحاب وإلى المعروف بينهم مشعرين بدعوى الإجماع عليه، بل عن الخلاف والناصريات والغنية الإجماع عليه وقيل: لا يجوز التأخير عن الغمرة إلاّ لعذر، وقد نسب هذا القول إلى الشيخ وإلى والد الصدوق وإلى الصدوق بل إلى الكليني أيضاً، واختاره الشهيد في الدروس، واستدلّ لهم بصحيحة ابن عمّار المذكورة آنفاً التي قلنا بشذوذها وبصحيحة عمر بن يزيد وهي الرواية السابعة في كلامنا وبالخبر الآخر لأبي بصير، وهو أنّ حدّ العقيق ما بين المسلخ إلى عقبة غمرة؛ انتهى.[1]

أقول: وقد يناقش فيه بوجوه:

الأوّل: بعدم التكافؤ بين الأخبار؛ لاشتهار ما تضمّنته الروايات الثلاثة بل الخمسة المذكورة بين الأصحاب حتّى كاد يكون إجماعاً بل نقل الإجماع عليه جماعة من العلماء إشعاراً وتصريحاً كما مرّ، وحينئذ تعدّ الروايات المقابلة لها شاذّة.

الثاني: أنّ صحيحة ابن عمّار قد تضمّنت أنّ أوّل العقيق قبل المسلخ وهو خلاف ما اتّفقت عليه الأخبار وكلمة الأصحاب، والصحيحة الثانية، أي رواية عمر بن يزيد، قد اشتملت على أنّ ميقات أهل النجد قرن المنازل، مع أنّك قد عرفت من الاتّفاق على أنّ ميقاتهم العقيق الذي نحن فيه فلا بدّ من تأويله، ونتعرّضها فيما بعد إن شاء الله.

وأمّا خبر أبي بصير ففيه قصور السند.

الثالث: ضعفها من حيث الدلالة، أمّا صحيحة ابن عمّار، فلا تدلّ على أزيد

---

١ . مستند الشيعة١١ :١٧٠ ١٧٢.

ممّا ذكرناه سابقاً، ولا دلالة فيها على خروج ذات عرق، ولا على دخول غمرة، بل ولا على دخول المسلخ في العقيق أيضاً كما لا يخفى على من له أدنى مُسكة، وحينئذ فما يصنع بمثل الرواية الكذائية في محلّ الاستدلال؟

وأمّا الخبران الباقيان فكلّ منهما يدلّ على خروج الغمرة أيضاً من العقيق؛ لخروج الغاية عن المغيّى، ولم يقل به أحد من الطائفة.

الرابع: ظهور دلالة خبر أبي بصير على خروج المسلخ من العقيق كخروج عقبة غمرة منه؛ لأنّه قال: «حدّ العقيق ما بين المسلخ إلى عقبة غمرة» لا أنّه من أوّل المسلخ إلى آخر غمرة، فهو يدلّ على ما ذكرنا، وكذا صحيحة ابن يزيد؛ فإنّها تدلّ على خروج بريد البعث والغمرة من العقيق أيضاً، وقد مرّ أنّ بريد البعث هو المسلخ، والفرق بينهما أنّ الخبر كأنّه يدلّ على خروج بعض الغمرة، أي ما بعد عقبتها مع دخول ما قبلها في العقيق، والصحيحة تدلّ على خروج الغمرة منه بأجمعها، وهو يوجب حصول التعارض بين الخبرين، وكيف كان، فلم يذهب أحد من الأصحاب إلى شيء من ذلك.

الخامس: اختلاف نسخ صحيحة عمر بن يزيد ففي الرياض والمستند كما في الوافي والتهذيب[١] أنّه «وقّت رسول الله صلى الله عليه وآله لأهل المشرق العقيق نحواً من بريدين ما بين بريد البعث إلى غمرة» ويؤيّد هذه النسخة ما في رواية معاوية بن عمّار الثانية من أنّ «بريد البعث دون غمرة بين بريدين» ومع ذلك ففي الجواهر[٢] كما في الوسائل[٣] الاكتفاء على بريد واحد حيث وجد فيهما نحواً

١ . رياض المسائل٦ :١٨١؛ مستند الشيعة١١ :١٦٩؛ الوافي١٢ :٤٨٢؛ تهذيب الأحكام٥ :٥٦، ح ١٧٠.

٢ . جواهر الكلام١٨ :١٠٦.

٣ . وسائل الشيعة (ط. الإسلامية) ٨ : ٢٢٣، باب ١، ح ٦، وفي ط. آل البيت١١ :٣٠٩ كما في المصادر المتقدّمة.

من بريد ما بين بريد البعث إلى غمرة، وكذا في الحدائق،[١] وظاهره أنّه نقله عن التهذيب حيث قال: وما رواه الشيخ في (يب) إلخ، وهو يعطي أنّ نسخ التهذيب أيضاً مختلفة، وعند ذلك يعسر الوثوق على أحد منها، هذا.

ولكن قد اختار هذا القول من بين متأخّري المتأخّرين الفاضل المدقّق النراقي طاب ثراه في مستنده حيث قال:

وحجّةُ النافين، يعني من لا يجوّز الإحرام من ذات عرق اختياراً، صحيحةُ عمر بن يزيد والرواية الأُخرى لأبي بصير وصحيحة ابن عمّار الأخيرة الراجحة على ما تقدّم بصحّة السند وموافقة أصل الاشتغال ومخالفة العامّة، كما يدلّ عليه الصحيحة المروية في الاحتجاج عن صاحب الأمر (عليه السلام): عن الرجل يكون مع بعض هؤلاء ويكون متّصلاً بهم، يحجّ ويأخذ عن الجادّة ولا يحرم هؤلاء من المسلخ؟ فكتب عليه السلام إليه في الجواب: «يحرم من ميقاته، ثمّ يلبس الثياب ويلبّي في نفسه، فإذا بلغ إلى ميقاتهم أظهره».

قال: وأجيب عنها بعدم تكافئها ولو كانت صحيحة للمرسلة وأخويها؛ لشهرة المرسلة وشذوذ الصحيحة. إلى آخر ما ذكره السيّد السند (قدس سره) في الرياض[٢] ملخّصاً.

ثمّ قال: كلّما ذكر وإن كان كذلك إلاّ أنّ الشذوذ المخرج عن الحجّية غير ثابت بعد فتوى مثل الصدوقين والشيخ والشهيد بل الكليني أيضاً، حيث اقتصر في التحديد على رواية أبي بصير الثانية وصحيحة ابن عمّار، فيبقى دليل الطرفين متكافئين، فيجب الرجوع إلى أصل الاشتغال، ولذا لم يجترئ أكثر المتأخّرين المرجّحين لأدلّة المشهور على الفتوى به، وجعلوا الأخير أحوط،

---

١ . الحدائق الناضرة١٤ :٤٣٨ وفيه كما في المصادر المتقدّمة.

٢ . رياض المسائل٦ :١٨٢.

وهو كذلك لو لم يكن أظهر، مع أنّه الأظهر أيضاً لما مرّ فتدبّر[١]. انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول: ما أفاد (قدس سره) فيه بحث، فإنّ فتوى العلماء الموصوفين المزبورين بذلك غير ثابت، أمّا ثقة الإسلام الذي قد تفرّد بذكره في المقام فلا شاهد له من الكافي، ولم أعثر على من نسب القول إليه من علمائنا السابقين واللاحقين فضلاً عن ثبوت فتواه، وما استدلّ به عليه ليس بدليل؛ لأنّ ذكر رواية لا يدلّ على الفتوى بها، وإن كانت مذكورة في باب التحديد، على أنّه لم يفرد للتحديد باباً، بل ذكرهما في باب مواقيت الإحرام كغيرهما من الروايات الكثيرة بدون الترجيح والتنقيد، فكيف يحكم بأنّهما مذكورتان في التحديد؟ وكذا ترك إدراج رواية لا يدلّ على ضعفها أو أنّه خلاف فتواه، لا سيّما بعد ما اشتهر فتاوي الأصحاب بمضمونها، كيف وربّ خبر ليس له أثر في الكافي، وإلاّ لم احتجنا إلى الفقيه والتهذيب وغيرهما من كتب الأخبار كما لا يخفى على أولي الأنظار.

وبالجملة فلا يثبت بما مرّ أن يكون فتواه بمضمونهما، وأمّا علي بن بابويه فقد قال العلاّمة في المختلف: المشهور أنّ الإحرام من ذات عرق مختاراً سائغ، لكن الأفضل المسلخ، وأدون منه غمرة، وكلام الشيخ علي بن بابويه (رحمه الله) يشعر بأنّه لا يجوز التأخير إلى ذات عرق إلاّ لعليل أو لتقية؛ انتهى.[٢]

وهذه العبارة تعطي أنّ العلاّمة(رحمه الله) كان شاكّاً في كونه مذهباً لوالد الصدوق، وإنّما كان ذلك لعدم ظهور عبارته في الأمر المذكور، فما استظهره الشهيد(رحمه الله) هاهنا حيث قال على ما حكي عنه[٣]ـ: «وظاهر علي بن

١ . مستند الشيعة١١ :١٧٢ ١٧٣.

٢ . مختلف الشيعة٤ :٤٠.

٣ . الحاكي السبزواري في ذخيرة المعاد:٥٧٥ ؛ والبحراني في الحدائق الناضرة١٤ :٤٣٨ وفيه نقله عن الذكرى.

بابويه والشيخ في النهاية»[١] هذا لا يوجب القطع به بعد ما سمعت من عدم ظهورها فيه عند مثل العلاّمة، وأمّا عبارة الشيخ في النهاية فهي من مواقع الشكّ البتّة حيث قال فيها: أوّلها المسلخ[٢] وهو أفضلها، ولا ينبغي أن يؤخّر الإنسان الإحرام منه إلاّ عند الضرورة، وأوسطه غمرة، وآخره ذات عرق، ولا يجعل إحرامه من ذات عرق إلاّ عند الضرورة والتقية.[٣] إلى آخر ما أفاد.

وهي كما ترى غير مصرّح في حرمة التأخير بلا عذر، بل يشعر بالكراهة بالنظر إلى قوله المقدّم الذي لا يراد منه إلاّ كراهة التأخير عن المسلخ كما لا يخفى، وعلى هذا ففي ظهورها فيما استظهره الشهيد؛ هنا إشكال بل منعٌ ظاهرٌ.

وأمّا الصدوق(رحمه الله) فعبارته في المقنع هكذا: وأوّل العقيق المسلخ ووسطه غمرة وآخره ذات عرق،[٤] ولا تؤخّر الإحرام إلى آخر وقت إلاّ من علّة وأوّله أفضل؛ انتهى.[٥]

وهي غير مصرّحة في الحرمة أو الكراهة بل ظاهرها الأخير لتلوها بقوله: «وأوّله أفضل» فإنّه يشعر بأنّ آخره مفضول ومرجوح، وعبارته في الهداية[٦]

---

١ . الدروس١ :٣٤٠.

٢ . في المصدر: المسلح.

٣ . النهاية:٢١٠؛ قال في الاقتصاد:٣٠٠ عند ذكر المواقيت: منها لأهل العراق يجمعها اسم العقيق، أوّلها المسلخ وأوسطها غمرة وآخرها ذات عرق. وأفضلها الأوّل ودونها الأوسط وأدونها الأخير، ولا يتجاوز ذات عرق إلاّ محرمًا، فإن تجاوز متعمّدًا لزمه الرجوع إليها، فإن لم يمكنه بطل حجّه، وإن تجاوزه ناسيًا أو لعذر رجع مع الإمكان، فإن لم يمكنه أحرم من موضعه وقد أجزأه.

٤ . في المصدر: ولا تؤخّر الإحرام إلى ذات عرق.

٥ . المقنع :٢١٧.

٦ . الهداية: ٢١٨ وفيه كما في نقل المؤلّف عن المقنع، أعني لم يرد فيه قوله: «ولا تؤخّر الإحرام إلى ذات عرق».

أشدّ إغلاقاً منها، سلّمنا أنّه أفتى به، ولكن لا يخرج مع ذلك عن الشذوذ المخرج عن الحجّية، فإنّ خروج معلوم النسب لا يقدح في الإجماع، فكيف في الشهرة التي كادت تكون إيّاه! ولو عزلنا النظر عن كلّ ما مرّ وسلّمنا ذهاب المشايخ الثلاثة بل الأربعة الأجلاّء وإنّ مصير هؤلاء العظماء يمنع عن الشذوذ الكذائي فنقول: ليس ضعف الروايات الثلاثة مرهوناً بأيدي الشذوذ المزبور فحسب، بل هو خامس الوجوه التي سبق منّا تفصيلها وأكثرها مذكورة في الرياض،[1] فتلك الوجوه الباقية تكفي في تضعيف ما تضمّنته الروايات المزبورة بأجمعها، وإن فرض عدم استقلال كلّ واحد منها منفرداً فيه، فلا يحصل التكافؤ المدّعى مع ذلك أيضاً، ولعلّه (قدس سره) قد أومأ إلى نحو ما ذكرناه بقوله: «فتدبّر».

وأمّا ما ذكره(رحمه الله) في حجّة النافين من حديث مخالفة الأخبار النافية للعامّة، فالظاهر أنّه قد ذكره ناظراً إلى الحدائق الناضرة كرّم الله وجهه في الآخرة، وجعله عن الوجوه الناضرة إلى ربّها ناظرة فناسب لنا الرجوع إلى الكتاب المذكور.

فاعلم أنّ الشيخ الجليل المحدّث البحراني ـ تغمده الله بغفرانه ورضوانه ـ قال فيه مشيراً إلى رواية أبي بصير الأوّل ومرسلة الصدوق المذكورة: «ولا يبعد عندي حمل الخبرين المشار إليهما على التقية وإن اشتهر العمل بهما بين الأصحاب، لما رواه الثقة الجليل أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الاحتجاج»،[2] ثمّ ذكر الرواية المذكورة في عبارة الفاضل المدقّق النراقي.

أقول: الحمل على التقية لا يمكن إلاّ فيما يوافق العامّة لا فيما يخالفهم،

---

١ . رياض المسائل٦ :١٨٢ ١٨٤.

٢ . الحدائق الناضرة١٤ :٤٤٠.

والروايتان المذكورتان كذلك، فإنّ المستفاد منهما كأخواتهما هو كون ذات عرق آخرَ العقيق، بمعنى أنّ الميقات من أوّل المسلخ إلى آخر ذات عرق، والمجموع يسمّى بالعقيق الذي هو الميقات، ولم يذهب إليه أحد من علماء العامّة إلاّ من لا يعبأ بقوله، لاتّفاقهم على أنّ الميقات إنّما هو ذات عرق بالخصوص لا أنّها جزء الميقات.

قال العلاّمة طاب ثراه في التذكرة: وذات عرق ميقاتهم بالإجماع.[١] انتهى.

وهذا بالنسبة إلى أمثال رواية أبي بصير الأوّل، وأمّا مرسلة الصدوق ورواية الفقه الرضوي عليه السلام فيما تخالفانهم من وجهين:

أحدهما: ما مرّ آنفاً.

والثاني: أنّ كلاّ منهما يشتمل على أنّ العقيق المذكور ممّا وقّته رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونصّ على كونه ميقاتاً، مع أنّ العامّة كلّها تنكره إلاّ من لا يعتدّ به، فكيف احتمال حملها على التقية على مسلكنا معاشر الأُصولية بل الأخبارية أيضاً، وإن لم يبعد من الفاضل البحراني خاصّة بناءً على ما قرّره في مقدّمات كتابه،[٢] من حملها عليها مع مخالفة العامّة، وهو واضح الفساد كما فصّله بعض الأجلاّء المحقّقين في محلّه،[٣] فما حمله على الحمل المذكور هنا إلاّ ذلك التقرير الكاسد، وإنّما هو كبناء الفاسد على الفاسد.

وخلص الكلام في هذا المقام أنّ هاهنا ثلاث مقدّمات:

الأُولى: أنّ العقيق ميقات، وثبت بإجماع منّا، واستفاضة الأخبار المذكورة سابقاً وغيرها.

---

١ . تذكرة الفقهاء٧ :١٩١ وفي ط. الحجري١ :٣٢٠.

٢ . الحدائق الناضرة١ :٤ ٨.

٣ . الفوائد الحائرية :٣٥٣ ٣٥٤.

الثانية: أنّ الميقات ممّا يجوز عقد الإحرام من أيّ مواضعه شاء على الإطلاق والعموم، والظاهر أنّه اتّفاقي أيضاً؛ لأنّ المراد من الميقات ليس إلاّ مكان الإحرام، ولا تعيين في شيء من مواضعه وأجزائه للإحرام من حيث إنّه ميقات، بل يكفي من أيّ مواضعه وقع كما هو واضح في المواقيت الباقية كالجحفة ويلملم ومسجد الشجرة وغيرها ممّا سيأتي إن شاء الله.

الثالثة: أنّ العقيق محدود بالحدّين المذكورين، أعني أوّله المسلخ وآخره ذات عرق، وقد دلّت عليه الروايات المشار إليها آنفاً مع اعتضادها بالشهرة العظيمة، بل ادّعى الشيخ في الخلاف الإجماع عليه حيث قال فيه:

فأمّا ذات عرق فهو آخر ميقات أهل العراق، لأنّ أوّله المسلخ وأوسطه غمرة وآخره ذات عرق، وعندنا أنّ ذلك منصوص عليه من النبي والأئمّة (عليهم السلام) بالإجماع من الفرقة وأخبارهم.

ثمّ قال في وسط عبارته:

دليلنا ما قلناه من إجماع الفرقة وأخبارهم.[1] انتهى كلامه طاب ثراه.

والظاهر أنّه لم يوجد مخالف من الأصحاب بعد شيخ الطائفة رضوان الله عليهم إلى عهد جناب السيّد السند صاحب الرياض بل إلى زمان الفاضل النراقي أيضاً حيث قال: «والظاهر عدم خلاف في ذلك التحديد»،[2] يعني أنّ العقيق من المسلخ إلى ذات عرق.

وقال ابن عصفور في شرح المفاتيح: «وهذا التحديد والتوصيف مجمع عليه».

وقد مرّ حكاية الإجماع عليه عن الناصرية والغنية، والظاهر أنّه كذلك؛ فإنّا لم نجد من أصحابنا قائلاً صريحاً بخروج ذات عرق من العقيق، نعم قد يشعر

---

١ . الخلاف٢ :٢٨٣ ٢٨٤.

٢ . مستند الشيعة١١ :١٧٠.

كلام بعض القدماء كوالد الصدوق على ما ذكره العلاّمة، وحكي عن البعض الآخر أيضاً كما فصّلناه فيما تقدّم بأنّ الإحرام لا يجوز للمختار من ذات عرق، وهو أمر آخر، وكأنّه على تقدير تسليم دخول ذات عرق في العقيق، وهذه المقدّمات الثلاثة تنتج جواز الإحرام للمختار من ذات عرق كما هو واضح.

وأمّا الأمر المذكور وهو أنّ بعض الروايات كعبارة بعض القدماء يشعر أو يدلّ على أنّ الإحرام لا يجوز اختياراً من ذات عرق، فقد عرفت ما فيهما بالتفصيل، وبالجملة فلا يثبت ما يخالف النتيجة المذكورة، فلا بأس بالمصير إلى القول المشهور؛ لقوّته وضعف القول المخالف له.

وحينئذ فلا بدّ من أن يؤول الروايات المخالفة للمشهور ببعض التأويلات، وأولاها بل المتعيّن منها حمل الروايات النافية الثلاثة المذكورة على أنّ المراد أنّ ذات عرق وإن كانت من العقيق، إلاّ أنّها لمّا كانت ميقات العامّة، وكان الفضل منحصراً فيما قبلها، فلم يذكر ذات عرق في الروايات، وجعلت بعدم الفضيلة وشدّة الكراهة كأن لم تكن، فيؤول معناها إلى أنّ الميقات الذي يتعارف منه إحرام الشيعة وفيه فضلٌ إنّما هو من أوّل المسلخ إلى آخر غمرة، وهكذا يؤول ما في آخر مرسلة الفقيه والرضوي (عليه السلام) بأنّ البأس هنا بمعنى الكراهة، أي يكره تأخير الإحرام إلى ذات عرق بدون عذر ومع العذر فلا كراهة.

وأمّا رواية الاحتجاج فهي أحرى وأقدم بالتأويل عند النظر الخاطي؛ لأنّها لو تركت وظاهرها لدلّت على أنّ الإحرام من ذات عرق لا يجوز حال التقية أيضاً، مع إطباق الأخبار وعلمائنا الأخيار على جوازه منها حال التقية والمرض، فكأنّ الرواية المزبورة تشعر بمراعاة الفضل مع التقية، وقال ابن إدريس الحلّي(رحمه الله): ووقّت رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأهل العراق

العقيق، فمن أيّ جهاته وبقاعه أحرم فيعقد[١] الإحرام منها، إلاّ أنّ له ثلاثة أوقات: أوّلها المسلخ وهو أفضلها عند ارتفاع التقية، وأوسطها غمرة، وهو يلي المسلخ في الفضل عند ارتفاع التقية، وآخرها ذات عرق، وهي أدونها في الفضل إلاّ عند التقية والشناعة والخوف، فذات عرق هي أفضلها في هذا الحال.[٢] إلى آخر ما في السرائر.

وهذه العبارة تدلّ على أنّ الأفضل حال التقية هو ذات عرق بخلاف ما يفهم من الرواية المذكورة، والله العالم بالشواهد والسرائر، ومع ذلك كلّه فلا ريب في أنّ الاحتياط أن لا يؤخّر الإحرام اختياراً إلى ذات عرق، وأحوط منه عدم تأخيره إلى الغمرة أيضاً؛ لما مرّ من ظهور بعض الروايات في خروجها من العقيق أيضاً، ولكن لمّا لم يوجد قائل به جعل الإحرام من الغمرة أفضل من ذات عرق، ومنها مكروهاً اختياراً، ولعلّه الوجه في أفضلية غمرة من ذات عرق بناءاً على القول المشهور كما هو المشهور، مضافاً إلى ما فيه من المشقّة اللازمة لزيادة الأجر والمثوبة، وإلاّ فلا يوجد في النصوص إلاّ أفضلية المسلخ خاصّة، والعلم عند الله سبحانه.

الميقات الثاني: مسجد الشجرة

الميقات الثاني مسجد الشجرة وهو ميقات أهل المدينة، كما صرّح به في (يع) و(فع) و(عد) ومحكي الجامع والمقنعة والناصريات وجمل العلم والكافي والإشارة، بل عن الناصريات الإجماع على ذلك،[٣] ويدلّ عليه أخبار كثيرة:

---

١ . في المصدر وفي نقل الحدائق (١٤ :٤٤٢) والرياض (٦ :١٨٣): فينعقد، وما في المتن موافق لنقل الجواهر (١٨ :١٠٧).

٢ . السرائر١ :٥٢٨.

٣ . نقله من جواهر الكلام١٨ :١٠٧، والمراد من الرموز المذكورة هي الشرائع والنافع والقواعد.

منها صحيحة ابن عمّار المشتملة على أنّه خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أربع بقين من ذي القعدة، فلمّا انتهى إلى ذي الحليفة فزالت الشمس اغتسل، ثمّ خرج حتّى أتى المسجد الذي هو[١] عند الشجرة فصلّى فيه الظهر ثمّ عزم على الحجّ[٢] مفرداً وخرج حتّى انتهى إلى البيداء عند الميل الأوّل، فصفّ الناس له سِماطَين[٣] فلبّى بالحجّ مفرداً؛ الحديث.[٤]

وما روي عن ابن سنان في حجّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفيه: فلمّا نزل الشجرة أمر الناس بنتف الإبط وحلق العانة والغسل والتجرّد في إزار ورداء؛ الخبر.[٥]

وعن ابن وَهْب سألت أباعبدالله (عليه السلام) ونحن بالمدينة عن التهيّؤ للإحرام، فقال: «أطل بالمدينة وتجهّز بكلّ ما تريد، واغتسل[٦]، وإن شئت استمتعت بقميصك حتّى تأتي مسجد الشجرة».[٧]

وما عن الكليني مرسلاً قال: يحرم من الشجرة ثمّ يأخذ أيّ طريق شاء.[٨]

ورواية رباح وفيها: فلو كان كما يقولون لم يتمتّع رسول الله (صلى الله عليه

---

١ . في المصدر: – هو.

٢ . في المصدر: بالحجّ.

٣ . السماط ككتاب: الصفّ من الناس، والسماطان: الصفّان «١٢» مجمع البحرين٢ :٤١٨.

٤ . تهذيب الأحكام٥ :٥٥، ح١٥٨٨؛ وسائل الشيعة١١ :٢١٤، باب ٢، ح ٤؛ بحارالأنوار٩٦ :٩٤؛ وقريبه في السرائر٣ :٥٥٢ من كتاب معاوية بن عمّار، وعنه في بحار الأنوار٩٦ :٩٤، ح١٨.

٥ . الكافي٤ :٣٢١، باب مواقيت الإحرام؛ وسائل الشيعة١١ :٣١٨، باب ٧، ح ٢.

٦ . في الفقيه: إن شئت.

٧ . تهذيب الأحكام٥ :٦٢، ح١٩٦؛ كتاب من لا يحضره الفقيه٢ :٣٠٨، ح٢٥٣٤؛ وسائل الشيعة١٢ :٣٢٤، باب٧، ح١.

٨ . الكافي٤ :٣٢١، باب مواقيت الإحرام؛ وسائل الشيعة١١ :٣١٨، باب ٧، ح ٢.

وآله) بثيابه إلى الشجرة.[١] ونحوها رواية أبي بصير.[٢]

وفي صحيحة البجلي[٣]: «إذا صلّيت في مسجد الشجرة، فقل وأنت قاعد في دبر الصلاة قبل أن تقوم ما يقول المحرم، ثمّ قم فامشِ حتّى تبلغَ الميل وتستوىَ بك البيداء، فإذا استوت بك فلبّه».[٤]

وصحيحة عمر بن يزيد: «إذا أحرمت من مسجد الشجرة ، فإن كنت ماشياً لبّيت من مكانك إلى[٥] المسجد»... الحديث.[٦]

والمروي عن علي بن جعفر في متعة الحجّ ، وقد سبق في الميقات الأوّل.

وفي العلل: لأي علّة أحرم رسول الله (صلى الله عليه وآله) من مسجد الشجرة ولم يحرم من موضع دونه؟ فقال: «لأنّه لمّا أسري به إلى السماء وصار بحذاء الشجرة نودي»... الحديث.[٧]

إلى غير ذلك من الأخبار المستفيضة، بل المتواترة الدالّة على أنّ مسجد

---

١ . الكافي٤ :٣٢٢، ح ٥؛ تهذيب الأحكام٥ :٥٩، ح ١٨٧؛ الأُصول الستّة عشر، أصل عاصم بن حُمَيد:٢٤؛ وسائل الشيعة١١ :٣٢٤، باب ١١، ح ٤ و:٣٣٤، باب ١٧، ح ٥. لاحظ معاني الأخبار:٣٨٢؛ بحار الأنوار٩٦ :١٢٩، ح ١٧.

٢ . من لا يحضره الفقيه٢ :٣٠٦، ح ٢٥٢٨؛ وسائل الشيعة١١ :٣٢٣، باب ١١، ح ٢.

٣ . في مستند الشيعة (١١ :١٧٦): صحيحتا ابن عمّار والبجلي وصحيحة الحلبي.

٤ . الكافي٤ :٣٣٣، باب صلاة الإحرام وعقده والاشتراط فيه، ح ١١ وفي ط. دار الحديث٨ :٣٣٧؛ من لا يحضره الفقيه٢ :٣٢٠، ح ٢٥٦٢؛ وسائل الشيعة١٢ :٣٧٣، باب ٣٥، ح ٣. رواه الكليني بإسناده عن حفص بن البختري وعبد الرحمان بن الحجّاج وحمّاد بن عثمان عن الحلبي جميعاً عن أبي عبدالله عليه السلام. ورواه الصدوق معلّقاً عن حفص بن البختري ومعاوية بن عمّار وعبد الرحمان بن الحجّاج والحلبي جميعاً عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ . في المصدر: من، وما في المتن موافق لمستند الشيعة (١١ :٣١٧) وهو مصدره في نقل الأحاديث.

٦ . تهذيب الأحكام٥ :٩٢، ح ٣٠١؛ وسائل الشيعة١٢ :٣٨٤، باب ٤٠، ح ٣.

٧ . علل الشرائع:٤٣٣، باب ١٦٩، ح١؛ من لا يحضره الفقيه٢ :٢٠٠، ح ٢١٣٤؛ وسائل الشيعة١١ :٣١١، باب ١، ح١٣؛ بحار الأنوار١٨ :٣٧٠، ح ٧٦، و٩٦ :١٢٨، ح ١٢.

الشجرة هو الميقات كفتاوى المعظم المذكورة مع دعوى الإجماع عليه من بعضهم، ولا ينافيه ما ورد في شطر من الأخبار كفتاوى جماعة من أنّ ميقات المدينة هو ذوالحليفة؛ لأنّ الظاهر بل الثابت أنّ ذا الحليفة هو مسجد الشجرة لا غير، كما صرّح به على ما حكي[١] في المعتبر والمهذّب وجميع كتب الشيخ وعن القاضي والصدوق وسلاّر وابن إدريس وابن زهرة والتذكرة والمنتهى والتحرير، بل عن ابن زهرة منهم دعوى الإجماع على اتّحادهما، ويدلّ عليه حسنة الحلبي ورواية عبيد الله التي هي مثلها وصحيح ابن رئاب ورواية الفقه الرضوي عليه السلام ممّا سبق منّا في مبحث أوّل المواقيت وغيرها من الأخبار.

وذو الحُلَيفة بضمّ الحاء المهملة وفتح اللام والفاء بعد المثناة التحتانية مصغّر الحلفة وهي اليمين لتحالف قوم من العرب به، قال فخر الإسلام في شرح الإرشاد: ويقال لمسجد الشجرة ذو الحليفة، وكان قبل الإسلام اجتمع فيه ناس وتحالفوا، وهكذا في التنقيح وقيل: الحُلَيفة تصغير الحَلَفَة بفتحات واحد الحَلَفَاء، وهو النبات المعروف،[٢] ولعلّه سمّي به لكثرة وجوده فيه.

وهذا الميقات، أي مسجد الشجرة، على عشرة مراحل من مكّة كما صرّح به العلاّمة في التذكرة[٣] ومحكي المنتهى والمبسوط،[٤] وكذا في كلام النَّووي ولكنّه زاد لفظ «نحو»، أي نحو عشر مراحل. انتهى.[٥]

والمرحلة: المسافة التي يَقْطَعُها المسافرُ نحو يوم كما عن المصباح المنير،[٦]

---

١ . حكى عنهم في جواهر الكلام١٨ :١٠٧.

٢ . من كلام فخر المحقّقين إلى هنا نقله من كشف اللثام٥ :٢١٢؛ وجواهر الكلام١٨ :١٠٨.

٣ . تذكرة الفقهاء٧ :١٩١، وفي ط. الحجري١ :٣٢٠.

٤ . منتهى المطلب٢ :٦٦٧، ط. الحجري؛ المبسوط١ :٣١٢.

٥ . المجموع٧ :١٩٥؛ روضة الطالبين٢ :٣١٢.

٦ . المصباح المنير٢ :٢٢٣.

وعن شمس العلوم أنّها مسيرة يوم.[١]

هذا، ويستفاد من كلام بعض الفقهاء أنّ المرحلة أربعة وعشرون ميلاً؛ لأنّه قال: «إنّ المرحلتين ثمانية وأربعون ميلاً».[٢] كما يجيء إن شاء الله فتدبّر.

وأمّا الفصل بينه وبين المدينة فاختلف فيه، ولكنّ الظاهر أنّه ستّة أميال؛ لظهوره من القاموس وتحرير النَّوَوي،[٣] ولكونه منصوصاً في بعض الأخبار، كما روي في معاني الأخبار عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال لعبدالله بن عطا: «إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان من أهل المدينة ووقّته من ذي الحليفة وإنّما كان بينهما ستّة أميال». انتهى.[٤]

وكيف كان، فلا بدّ حينئذ من أن يحمل الأخبار المطلقة على ما مرّ وكذا الفتاوى المطلقة، وأمّا من صرّح بما يخالفه كمحكي الدروس أنّ الميقات ذو الحليفة وأفضله مسجد الشجرة والأحوط الإحرام منه،[٥] بل حكي عن الكركي أنّه قال: جواز الإحرام من الموضع المسمّى بذي الحليفة، وإن كان خارجاً من المسجد لا يكاد يدفع.[٦]

أقول: يدفعه الأخبار الجاعلة مسجد الشجرة خاصّة ميقاتاً لأهل المدينة، والروايات المفسّرة المصرّحة في أنّ ذا الحليفة هو المسجد، المعتضدة بعمل الأكثر، بل بالإجماع المحكي عن الناصريات والغنية، وحمل المطلق على المقيّد

١ . شمس العلوم٥ :٣٢٩١.

٢ . الحدائق الناضرة ١٤ :٣٢٦.

٣ . القاموس المحيط٣ :١٩٠؛ المجموع للنَّوَوي٧ :١٩٥؛ ونقله عنهما في جواهر الكلام١٨ :١٠٩.

٤ . معاني الأخبار :٣٨٢، ح ١٢؛ وسائل الشيعة١١ :٣٢١، باب ٩، ح ٥؛ بحار الأنوار٩٦ :١٢٩، ح ١٧.

٥ . الدروس١ :٣٤٠.

٦ . حكى عنه في مستند الشيعة١١ :١٧٨.

طريق الجمع، وأمّا الجمع بحمل الروايات الخاصّة على الأفضلية، كما يستفاد من عبارة الدروس ونحوه فلا وجه له في المقام؛ لورود الأخبار الصحيحة وغيرها في تفسير ذي الحليفة بالمسجد خاصّة، مع اعتضادها أيضاً بفتاوي المعظم وبالإجماع المنقول عن ابن زهرة كما مرّ.

وأمّا صحيحة عبيد الله الحلبي التي قد ذكرناها سابقاً حيث قال عليه السلام فيها: «وهي مسجد الشجرة يصلّي فيها ويفرض الحجّ، فإذا خرج من المسجد وسار واستوت به البيداء حين يحاذي الميل الأوّل أحرم». انتهى، فهي وإن كان ظاهرها يؤيّد القول المذكور، ولكن لو أريد من الإحرام معناه الحقيقي، وليس كذلك؛ لأنّ الظاهر من ملاحظة أكثر الأخبار أنّ المراد من الإحرام هنا التلبية، كما يدلّ عليه صحيحة ابن عمّار وصحيحة البجلي من الأخبار المتقدّمة آنفاً، مضافاً إلى صحيحة ابن وَهْب [سأل] عن التهيّؤ للإحرام، فقال: «في مسجد الشجرة فقد صلّى فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقد ترى أناساً يحرمون فلا تفعل حتّى تنتهي إلى البيداء حيث الميل، فتحرمون كما أنتم في محاملكم، تقول: لبّيك اللّهمّ لبّيك»... الرواية، حيث جعل الإحرام هو التلبية.

وصحيحة ابن سنان: هل يجوز للمتمتّع بالعمرة إلى الحجّ أن يظهر التلبية في مسجد الشجرة؟ فقال: «نعم، إنّما لبّى رسول الله (صلى الله عليه وآله) على البيداء؛ لأنّ الناس لم يكونوا يعرفون التلبية فأحبّ أن يعلّمهم كيفية التلبية».[١]

وصحيحته الأُخرى: «أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن يلبّي[٢] حتّى يأتي البيداء».[٣]

---

١ . الكافي٤ :٣٣٤، ح ١٢؛ تهذيب الأحكام٥ :٨٤، ح ٢٨٠؛ الاستبصار٢ :١٧٠، ح ٥٦٢؛ وسائل الشيعة١٢ :٣٧٢، باب ٣٥، ح ٢.

٢ . في النسخة: يلبّ.

٣ . تهذيب الأحكام٥ :٨٤، ح ٢٧٩؛ الاستبصار٢ :١٧٠، ح ٥٦١؛ وسائل الشيعة١٢ :٣٧٠، باب ٣٤، ح ٥.

وفي صحيحة ابن حازم: «إذا صلّيت عند الشجرة، فلا تلبّ حتّى تأتي البيداء».[١]

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي ترشد إلى أنّ معنى الرواية ما ذكرناه، لاسيّما إلى ما قبله من قوله: «يصلّي فيها ويفرض الحجّ»؛ فإنّ الظاهر أنّ المراد منه إنّما هو إحرام الحجّ، وحينئذ فلا يراد من الإحرام بعد ذلك إلاّ التلبية نفسها كما قيل، أو إظهارها كما عن المتأخّرين، وقد قطع به جناب السيّد السند في الرياض حيث قال: «إلاّ على تقدير أن يراد من الإحرام فيه معناه الحقيقي وليس قطعاً؛ لمنافاته لصدره».[٢] وتبعه الفاضل المدقّق النراقي في التحتم.[٣]

وبالجملة فلو تركت الرواية على ظاهرها لكانت شاذّة، فالقول المذكور لا يخلو عن ضعف، والقول الأوّل الحاكم بالاتّحاد بين ذي الحليفة ومسجد الشجرة في غاية القوّة، وفي عقد الإحرام منه يحصل البراءة قطعاً إجماعاً ونصوصاً بخلاف خارجه، فهو المختار، والعلم عند الله الجبّار.

وإذا تقرّر أنّ ميقات المدينة إنّما هو مسجد الشجرة، فاعلم أنّ المحرم لو كان جنباً أو حائضاً أحرما به مروراً واجتيازاً؛ لحرمة اللبث، فإن تعذّر ذلك فهل يحرمان من خارجه كما صرّح به جماعة، أم يؤخّران الإحرام إلى الجحفة التي سيجيء ذكرها إشكال، والأحوط الإحرام منهما، وسيأتي مزيد توضيح له إن شاء الله.

ثمّ اعلم أنّ كون مسجد الشجرة ميقاتاً لأهل المدينة إنّما هو في حال الاختيار، أي بلا ضرورة، وأمّا مع ذلك فالظاهر أنّ ميقاتهم حينئذ الجُحْفَة، وهي بالجيم

١ . تهذيب الأحكام٥ :٨٤، ح ٢٧٨؛ الاستبصار٢ :١٧٠، ح ٥٦٠؛ وسائل الشيعة١٢ :٣٧٠، باب ٣٤، ح ٤.
٢ . رياض المسائل٦ :١٨٧.
٣ . مستند الشيعة١١ :١٧٨ ١٧٩.

المضمومة ثمّ الحاء المهملة الساكنة ثمّ الفاء، موضع على ثلاث مراحل من مكّة وسبع مراحل من المدينة كما حكي عن تحرير النَّوَوي وتهذيبه،[١] وسمّيت مَهْيعةً، بفتح الميم وسكون الهاء وفتح المثنّاة التحتانية ثمّ العين المهملة، ومعناها المكان الواسع.

وفي القاموس: الجُحْفَةُ بالضمّ ميقاتُ أهل الشام، وكانت قريةً جامعةً على اثنين وثمانين ميلاً من مكّة، وكانت تُسمَّى مَهْيَعَةً، فنزل بها بنوعبيد وهم إخوةُ عاد وكان أخرجهم العَماليقُ من يثربَ، فجاءهم سيلٌ جُحافٌ[٢] فاجْتَحَفَهُم، فسُمّيت الجُحفةُ. انتهى.[٣]

وعن المصباح المنير أنّها منزل بين مكّةَ والمدينة قريب من رابغ بالمعجمة بين بَدْر وخُلَيص.[٤]

وعلى كلّ حال فكونها ميقاتاً لهم في حال الضرورة ممّا لا يوجد فيه خلافٌ بين الأصحاب، وقد صرّح بذلك العلاّمة النجفي في الجواهر[٥] وغيره في غيره، مضافاً إلى ما رواه الشيخ عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «خصال عابها عليك أهل مكّة، قال: وما هي؟ قلت: قالوا: أحرم من الجحفة ورسول الله صلى الله عليه وآله أحرم من الشجرة، فقال: الجحفةُ أحدُ الوقتين، فأخذتُ بأدناهما وكنت عليلاً».[٦]

وما رواه في الكافي عن الحضرمي عنه عليه السلام قال: «قد رخّص رسول الله صلى الله عليه وآله

---

١ . حكى عنهما في كشف اللثام٥ :٢١٢، وفي ط. الحجري١ :٣٠٦.

٢ . في المصدر: الجُحافِ.

٣ . القاموس المحيط ٣ :١٧٩.

٤ . المصباح المنير٢ :٩١.

٥ . جواهر الكلام١٨ :١١٠.

٦ . تهذيب الأحكام٥ :٥٧، ح ١٧٦؛ وسائل الشيعة١١ :٣١٧، باب ٦، ح ٤.

لمن كان مريضاً أو ضعيفاً أن يُحْرِمَ من الجحفة».[١]

هذا، وقال ابن حمزة والجعفي من علمائنا على ما حكي عنهما بعدم التقييد،[٢] فجوّزا الإحرام لأهل المدينة من الجحفة اختياراً بلا عذر؛ لإطلاق بعض الصحاح، والتي اطّلعت عليها ثلاثة:

الأُولى: صحيحة علي بن جعفر المتقدّمة في أوّل المواقيت حيث قال فيها: «وأهل المدينة من ذي الحليفة والجحفة».

الثانية: صحيحة معاوية بن عمّار أنّه سأل أبا عبدالله عليه السلام عن رجل من أهل المدينة أحرم من الجحفة قال: «لا بأس».[٣]

الثالثة: صحيحة الحلبي قال سألت أبا عبدالله عليه السلام من أين يحرم الرجل إذا جاوز الشجرة؟ فقال: «من الجحفة ولا يجاوز الجحفة إلاّ محرماً».[٤]

والروايتان المتقدّمتان لا تكافئانها فتتركان أو تؤوّلان.

أقول وبالله التوفيق: الصحاح المذكورة شاذّة؛ لإعراض الأصحاب عن العمل بإطلاقها، ومع ذلك ففيها قصور الدلالة على العموم، أمّا الأُولى فليس المراد فيها أنّ أهل المدينة يحرمون من الموضعين كليهما، كما هو مقتضى حقيقة اللفظ، فمجازه أن يراد منه التوقيت في الجملة ولو في حال الضرورة.

وأمّا الثانية: فلجواز أن يكون السؤال عن المدني الذي مرّ على طريق الشام، فكأنّ السائل توهّم أنّ الشجرة ميقات المدني مطلقاً وإن مرّ على طريق آخر، وبالجملة فليست مصرّحة في مدني يمرّ على مسجد الشجرة، ثمّ لا يحرم منه

---

١ . الكافي٤ :٣٢٤، باب من جاوز ميقات أرضه بغير إحرام أو دخل مكّة بغير إحرام،ح٣؛ وفي ط.دارالحديث،٨ :٣٥٣؛ وسائل الشيعة١١ : ٣١٧، باب ٦، ح ٥.

٢ . حكى عنهما النراقي في مستند الشيعة ١١ : ١٨١ ١٨٢.

٣ . من لا يحضره الفقيه٢ :٣٠٦، ح ٢٥٢٧؛ وسائل الشيعة١١ :٣١٦، باب ٦، ح ١.

٤ . تهذيب الأحكام ٥ :٥٧، ح ١٧٧؛ وسائل الشيعة١١ : ٣١٦ ٣١٧، باب ٦، ح ٣.

اختياراً بدون عذر.

وأمّا الثالثة: فلا يبعد أن يراد من الرجل المذكور فيها الرجل المريض أو الضعيف بقرينة غيرها من الروايات، ومراعاةً لعادة الناس في الإحرام من ميقات المدينة، فإنّ الغالب إنّما كان هو الإحرام من الشجرة إلاّ أن يكون الرجل ذا عذر، فكأنّ السائل إنّما سأل عن الموضع الذي يحرم منه بعد تجاوز الشجرة ولم يسأل عن المتجاوز.

أو أن يقال: إنّ الرجل مطلق، ولكنّه لمّا وصل إلى قرب الجحفة صار من جملة ذوي الأعذار؛ لأنّ العود إلى الشجرة بعد التجاوز عنها سيّما إذا وصل إلى قرب الجحفة، وسيّما إذا استلزم العود التخلّف عن الرفقة، مشقّة وضرورة مبيحة للإحرام من الجحفة، وهذا أولى من الأوّل.

وعلى هذا يحصل المعارضة والتكافؤ بين الأخبار، فيلزم حمل المطلق على المقيّد، وهو الرواية الأخيرة منهما، أعني رواية الحضرمي؛ لأنّها متضمّنة لمعنى الشرط، فيدلّ بالمفهوم على اختصاص الرخصة بالمريض والضعيف، فهو الأقوى، ومع ذلك موافق لقاعدة الاحتياط.

وإذا تقرّر اختصاص جواز الإحرام من الجحفة مع عذر فينبغي التعرّض لمعناه، ولا ريب في أنّ المرض الذي لا يتحمّل معه مشقّة الإحرام من الشجرة ممّا يجوّز الإحرام من الجحفة، وكذا الضعف الكذائي لكونهما منصوصين، وأمّا تعميمه بالنسبة إلى كلّ عذر كالجنابة والحيض المانعين عن الدخول في مسجد الشجرة كما سبق منّا الإيماء إليه فلا يخلو عن إشكال؛ لوجود الفارق البيّن بين هذا وذاك.

الكلام مع صاحب مستند الشيعة [١]

وما ذكره الفاضل المدقّق النراقي بقوله: وتمثيل الضرورة في الأخبار بالعلّة والمرض والضعف لايوجب التخصيص بعد اتّحاد العلّة قطعاً وعدم القول بالفصل ظاهراً؛[٢] ففيه أنّ الأمر على عكس ما أفاد، فإنّ المروي في أحدهما: «كنت عليلاً» وفي الآخر: «رخّص رسول الله (صلى الله عليه وآله) لمن كان مريضاً أو ضعيفاً» وهذا يقتضي التخصيص بما ذكر، وحمله على التمثيل يفتقر إلى دليل، وإذ ليس فليس، سلّمنا التمثيل ولكن ليس العلّة بحيث يشمل الجنابة والحيض، كيف ولا مشقّة عليهما في الإحرام من الشجرة، بخلاف المريض والضعيف، وهو الفارق المانع من قياس هذا على ذلك وهو واضح.

وأمّا ما ذكره(رحمه الله) أخيراً من عدم القول بالفصل، ففيه أوّلا: أنّ مع ثبوت الفارق فيهما كما هو واضح لا عبرة بما ذكر، لحصول الاختلاف حينئذ في حكم الشيئين المختلفين حقيقة.

وثانياً: أنّ معظم الأصحاب على أنّ الجنب والحائض يجب عليهما الإحرام من خارج مسجد الشجرة، بل لا يوجد خلاف بينهم كما اعترف به جناب السيّد في الرياض،[٣] وعلى هذا فليس فيه قول ثان فضلاً عن ثالث.

وأمّا ما أفاد بقوله: «ولعدم دليل على توقيت الخارج لمثلهما»،[٤] فمن مثله بعيد، لأنّ المراد من خارج المسجد ما يحاذيه، وقد عدّ ﷺ من جملة المواقيت

١ . العنوان من هامش النسخة.

٢ . مستند الشيعة١١ :١٨٣.

٣ . قال في رياض المسائل٦ :١٨٦: فلو كان المحرم جنباً أو حائضاً أحرما به مجتازين، لحرمة اللبث. وإن تعذّر فهل يحرمان من خارجه كما صرّح به جماعة من غير مخالف لهم أجده، أم يؤخّرانه إلى الجحفة؟ إشكال ... .

٤ . مستند الشيعة١١ :١٨٣.

المحاذاة،[١] أي الموضع المحاذي للميقات، فاختاره وهو المشهور، فكيف لا يعتبر محاذاة مسجد الشجرة لهما؟

وقد اتّضح ممّا ذكرنا أنّ أوّل القولين وهو إحرامهما من محاذاة المسجد لا يخلو عن قوّة، والأحوط الإحرام منهما كما سبق منّا، والله هو العالم.

بقي الكلام في أنّه لو تجاوز المختار بناء على المختار من الشجرة بلا إحرام عمداً بدون عذر فلا شبهة في الإثم والعصيان وأمّا أنّه يصحّ إحرامه حينئذ من الجحفة كما حكي عن «س» و«ك»،[٢] أو لا، كما مال إليه البعض فيه إشكال، وللتأمّل فيه مجال، بل يستفاد من كلام السيّد السند في الرياض أنّ التأمّل لا يخلو عن وجه.[٣]

نعم قال العلاّمة النجفي في الجواهر ما ملخّصه: إنّ الظاهر هو جواز الإحرام حينئذ، لصدق الإحرام من الميقات الذي هو وقت لكلّ من يمرّ عليه وإن كان آثماً بعدم إحرامه أوّلاً عند المرور على الأوّل، إلاّ أنّ ذلك لا يخرجه عن صدق اسم المرور على الثاني، مضافاً إلى إطلاق نفي البأس عن الإحرام منه، وتقييد الحكم التكليفي لا يقتضي تقييد الحكم الوضعي المستفاد من ظاهر النصوص، ومن هنا قال بعض الناس: إنّه ينبغي القطع بذلك، فما وقع من بعض المتأخّرين من احتمال عدم المشروعية له بل ظاهرُ آخر الميلُ إلى العدم في غير محلّه.[٤] انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول: ما أفادﷺ جيّدٌ متينٌ ولكن قد يخطر بالبال أنّ الأخبار الدالّة على جواز الإحرام للمارّ على الميقات إنّما يستفاد من ظاهرها وجوب الإحرام منه

١ . المصدر السابق ١١ :١٨٧.

٢ . حكى عنهما (أي الدروس والمدارك) في رياض المسائل ٦ :١٨٩ ومستند الشيعة ١١ :١٨٢.

٣ . رياض المسائل ٦ :١٨٩.

٤ . جواهر الكلام ١٨ :١١٢.

لمن مرّ على الميقات أوّلاً، أي أوّل المواقيت في طريقه، وهي وإن لم تمنع الإحرام من الثاني ولكن في شمول الحكم المزبور بالنسبة إلى الميقات الثاني تردّد، لا سيّما بالنظر إلى تفريطه وجرأته على الشارع في العدول، وعلى هذا فالظاهر عند النظر القاصر أن يقال هنا بالتفصيل وهو أنّ المتجاوز المختار لو وصل بعد التجاوز إلى مرتبة لا يتمكّن من العود إلى الشجرة لمشقّة شاقّة، وللزوم التخلّف عن الرفقة ونحوه كالوصول في زمان مضيّق، فلا شبهة في جواز إحرامه حينئذ من الجحفة وإلاّ فلا، وهو الأوفق بسبيل الاحتياط، والعلم عندالله الجليل، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الميقات الثالث: الجحفة

الميقات الثالث الجُحفة المذكورة، وهي ميقات أهل الشام بلا خلاف ظاهر؛ للخبرين الحلبيين ورواية رفاعة وكلا روايتي علي بن جعفر ورواية عمر بن يزيد، وخبر علي بن رئاب والرضوي (عليه السلام)، وهي أيضاً ميقات أهل المغرب وأهل مصر بلا خلاف يوجد كذلك، لصحيحة ابن عمّار ورواية الخزّاز وعلي بن جعفر الأُولى وقد مرّ جميعها في الميقات الأوّل.

الميقات الرابع: يَلَمْلَمْ

الميقات الرابع يلملم ويقال: المَلَم ويَرَمْرَم، وهو ميقات أهل اليمن بلا خلاف يوجد، ووقع التصريح به في الأخبار السابقة عدا خبر الحميري المذكور ثَمّة؛ إذ فيه: «وقّت لأهل اليمن قَرْن المنازل» ولم أعثر على كلام من تعرّض له، فالظاهر أنّه متروك أو مؤوّل للشذوذ.

ويلملم المذكور إمّا جبل أصلاً كما في القاموس،[١] ومحكي المصباح المنير،[٢] أو وادٍ كما حكي عن بعض الكتب المسمّى بإصلاح المنطق واختاره فخر الإسلام في شرح الإرشاد، وكيف كان فهذا الموضع واقع على مرحلتين من مكّة بلا خلاف ظاهر، وقال الفاضل الهندي في كشف اللثام شرح القواعد: «إنّه على مرحلتين من مكّة بينهما ثلاثون ميلاً»؛[٣] وهو يدلّ على أنّ كلّ مرحلة خمسة عشر ميلاً.

الميقات الخامس: قَرْنُ المنازل

الميقات الخامس قَرْن المنازل بفتح القاف وسكون المهملة، خلافاً للجوهري؛[٤] فإنّه فتحها، وزعم أنّ أويساً القرني بفتح الراء منسوب إليه، واتّفق العلماء على تغليطه فيهما، وإنّما أويس من بني قرن بطن من مراد، كذا قال كاشف اللثام،[٥] وفي المستند بعد ذلك: لا يخفى أنّه لم يصرّح بالتحريك ولا بنسبة أويس إليه، وإنّما قال: والقرن حيّ من اليمن، ومنه أويس القرني. انتهى.[٦]

ولا يخفى على الناظر إلى كتاب الصحاح أنّ العبارة المسطورة غير مذكورة فيه، فلا أعلم من أيّ كتاب هي، وإنّما الموجود في نسختي الصحاح المكتوبة والمطبوعة هكذا: «والقَرَنُ مَوْضِعٌ، وهو ميقاتُ أهل نجد، ومنه سُمّي أويس القرني» وهذه نصّ في انتسابه إليه، نعم لا تعرّض فيها للحركة، ولكنّهم عوّلوا فيه على الإعراب

١ . القاموس المحيط ٤ :٢٥٠.
٢ . المصباح المنير ٢ :١٩.
٣ . كشف اللثام ٥ :٢١٥ وحكى فيه عن المصادر المتقدّمة.
٤ . الصحاح ٦ :٢١٨١ وسيأتي نصّ عبارته.
٥ . كشف اللثام ٥ :٢١٦، وفي ط. الحجري ١ :٣٠٧.
٦ . مستند الشيعة ١١ :١٨٤.

الذي كان متعارفاً من أهل اللغة مع المبالغة في تصحيحه، فلا تغفُل.

وكيف كان فهو إمّا جبل أصلاً مشرفاً على عرفات على مرحلتين من مكّة كما يستفاد من كشف اللثام،[١] وإمّا قرية عند الطائف، أو اسمُ الوادي كلِّه كما في القاموس.[٢]

وعلى كلّ حال فهو ميقات أهل الطائف باتّفاق الأصحاب؛ لتصريح أكثر الصحاح السابقة، وأمّا ما في صحيحة عمر بن يزيد المتقدّمة أنّ قرن المنازل ميقات أهل نجد، مع أنّك قد عرفت من أنّ ميقاتهم العقيق فقد فسّره بعضهم بأهل الموضع المرتفع، وأريد منه الطائف، ويجوز أن يكون لنجد طريقان: أحدهما إلى العقيق والآخر إلى القرن، وفي الكشف أنّ للطائف وأهل نجد، أي نجد الحجاز، قرن المنازل. انتهى.[٣]

---

١ . كشف اللثام٥ :٢١٦، وفي ط. الحجري١ :٣٠٧.

٢ . القاموس المحيط٤ :٣٦٥.

٣ . كشف اللثام٥ :٢١٦.

ويستفاد من ظاهره أنّ نجد اسم لموضعين فنجدٌ حجازي ونجد عراقي، وعلى هذا فلو قيل إنّ العقيق للثاني والقرن للأوّل لم يبق المنافاة، والله هو العالم.

الميقات السادس: محاذاة الميقات

الميقات السادس محاذاة الميقات، أي الموضع المحاذي لأحد المواقيت، وهو ميقات من حجّ على طريق لا يفضي إلى أحد المواقيت، ومنه طريق البحر. وكونُها ميقاتاً لمن ذكر مشهورٌ بين الأصحاب كما في المستند،[١] بل في الرياض،[٢] نسبه إلى الشهرة العظيمة في الجملة، قائلاً: «إذ لم نجد مخالفاً في المسألة عدا الماتن في ظاهر الشرائع؛ حيث عزى الحكم إلى القيل مشعراً بتمريضه أو توقّفه فيه، وتبعه فيه جماعة من المتأخّرين».

وفي الجواهر أنّه «ظاهر الأصحاب؛ إذ لم أجد من أفتى بظاهرها يعني المرسلة الآتية، ونسبة الحكم إلى القيل يمكن أن يكون لاعتبار أقرب المواقيت إلى مكّة أو لغير ذلك، لا لاعتبار وجوب المرور بالميقات».[٣] إلى آخر ما أفادﷺ، وذلك لصحيحتي ابن سنان:

أحدهما: «من أقام بالمدينة وهو يريد الحجّ شهراً أو نحوه ثمّ بدا له أن يخرج في غير طريق المدينة فإذا كان حذاء الشجرة والبيداء مسيرةَ ستّة أميال فليُحْرِمْ منها».[٤]

والثانية: أنّهعليه السلام قال: «من أقام بالمدينة شهراً وهو يريد الحجّ ثمّ بدا له أن يخرج في غير طريق أهل المدينة الذي يأخذونه، فليكن إحرامه من مسيرة ستّة

---

١ . مستند الشيعة١١ :١٨٧.

٢ . رياض المسائل في شرح المختصر النافع٦ :١٩٤.

٣ . جواهر الكلام١٨ :١١٧.

٤ . من لا يحضره الفقيه٢ :٣٠٧، ح ٢٥٣٢؛ وسائل الشيعة١١ :٣١٨، باب ٧، ح ٣.

أميال، فيكون حذاء الشجرة من البيداء». انتهى.[١]

وقد مرّ أنّ المستفاد من الأخبار أنّ الشجرة على ستّة أميال من المدينة، ولا تقييد في الحديث بعدم إمكان مروره على الشجرة، فدلّ الصحيحان على أنّ الإحرام يجوز من محاذاة الشجرة مع إمكان المرور عليها، وأمّا خصوصية الشجرة فليست بمقصودة فيهما، وذلك على طريق تنقيح المناط ولو بمساعدة فهم الأصحاب وعملهم، فالقولُ بالتفصيل، أي بجواز الإحرام من محاذاة الشجرة دون غيرها من المواقيت، باطلٌ بالإجماع المركّب، فثبت جواز الإحرام من محاذاة كلّ من المواقيت مع إمكان المرور على الميقات، وأمّا مع عدم إمكانه فبطريق أولى، هذا أحد القولين في المسألة.

والثاني: أنّ المرور على الميقات لابدّ منه ولا يكفي المحاذاة في شيء من المواقيت؛ لمعارضة الصحيحتين بالرواية التي ذكرها ثقة الإسلام في الكافي حيث قال: وفي رواية أخرى: «يُحرِم من الشجرة ثمّ يأخذ أيّ طريق شاء».[٢] ولأنّ الواجب الإحرام من نفس الميقات، فيجب المرور عليه ليحرم منه.

ولم أعثر على من اختاره وقوّاه من العلماء صريحاً، ولكن قد مال إليه الشيخان الجليلان البحرانيان الشيخ حسين البحراني شارح المفاتيح، والمحدّث البحراني صاحب الحدائق، حيث قال أوّلهما مشيراً إلى الصحيحين:

إنّ موردهما الخاصّ، وفيهما المحاذاة غير المحاذاة المعروفة؛ لأنّها مقدّرة بالمسافة التي ما بين المدينة ومسجد الشجرة، فإذا قطعها وجب عليه الإحرام من أيّ جهة كان وإن لم يكن مسامتاً لها.

---

١ . الكافي٤ :٣٢١، باب مواقيت الإحرام، ح ٩، و ط. دارالحديث٨ :٣٤٥؛ وسائل الشيعة١١ :٣١٨، باب٧، ح١.

٢ . ورد الحديث في ذيل الصحيحة الثانية لابن سنان، وتقدّم تخريجه في التعليقة السابقة.

ثمّ ختم الكلام على قوله: وبالجملة فالمسألة قوية الإشكال والاحتياط في الدين يقتضي تعمّد المرور على الميقات والإحرام منه اتّباعاً للمنقول، وتخلّصاً من هذا الإشكال. انتهى ملخّصاً.

وهكذا في الحدائق.[١]

أقول وبالله التوفيق: القول الأوّل قوي وهو المختار؛ للصحيحتين المزبورتين المعتضدتين أوّلا بأصل البراءة من وجوب المسير إلى الميقات على من لم يرد عليه؛ لاختصاص نصوص المواقيت في غير أهلها بمن أتاها، ولا دلالة فيها على الوجوب على من لم يردها.

وثانياً: بالشهرة العظيمة بين الأصحاب حتّى لا يوجد له مخالف صريح كما عرفت.

وثالثاً: بانتفاء العسر والحرج في الشريعة السمحاء.

وأمّا رواية الكليني فلا تعارضهما؛ لكونها مرسلة أوّلاً، وشذوذها ثانياً، واستلزمها الحرج ولو في بعض الأوقات ثالثاً، وعدم دلالتها على وجوب المسير إلى الميقات رابعاً.

فالأولى أن يجمع بينهما بحمل المرسلة على الأفضلية والاستحباب، ولكن مع الإمكان، فأمّا ما ذكره الشارح الموصوف أنّ موردهما الخاص، فقد أشرنا إلى جوابه فيما تقدّم من أنّه إذا سلّم كفاية المحاذاة في بعض المواقيت تعدّى الحكم إلى جميعها؛ لبطلان القول الثالث بالإجماع المركّب.

وأمّا قوله: «وفيهما المحاذاة غير المحاذاة المعروفة» إلخ، ففيه أنّ المحاذاة في اللغة بمعنى الموازاة، قال في القاموس: «حاذاه آزاه والحِذاءُ الإزاء».[٢]

---

١ . الحدائق الناضرة ١٤: ٤٥٢.

٢ . القاموس المحيط ٤: ٤٥٧.

ومحصّله أنّ المراد من المحاذي للشيء ما كان مساوياً له في الجهة بحيث يعدّ كلّ منهما في جنب الآخر عرفاً، وقد صرّح بذلك في مجمع البحرين ثمّ قال: «ومنه حديثُ المأمومِ يَقُومُ عن يمينِ الإمام بحذائه، أي بجنبه» إلى قوله: «والمرأة تصلّي بحِذاءِ الرجل، أي بإزائه».[١]

وفي الصراح: «حذاء، برابر در جهت».

وفي بعض اللغات: الموازاة بمعنى المساواة والمقابلة.

وأمّا السَّمْتُ فهو بالفتح بمعنى الطريق، والسامت بمعنى السالك في الطريق بظنّه كما صرّح في القاموس،[٢] ولم يتعرّض أهل اللغة المتداولة لمجيئه من باب المفاعلة إلاّ أنّه المعروف، قال الشهيدان في الروضة: (ولو حجّ على غير ميقات كفته المحاذاة) للميقات، وهي مسامتته بالإضافة إلى قاصد مكّة عرفاً...[٣]

وهذا نصّ في أنّ المحاذاة بمعنى المسامة، فما يستفاد من عبارته من التفاوت في معناهما ليس كما ينبغي.

وبالجملة فمقصود الأصحاب من المحاذاة إنّما هي المحاذاة العرفية، وليس معناها إلاّ كون أحد المحاذيين في جنب الآخر عرفاً كما هو واضح، فلا يجوز أن يعتبر في الحديث المحاذاة بغير معناها العرفي في مثل هذا المقام، ولا دلالة في أحدهما بل ولا إيماء أيضاً إلى أنّ المحاذاة فيهما بغير معناها المتعارف.

وأمّا تقدير مسافة ستّة أميال فهو يؤيّد لما ذكرناه؛ لأنّ المحاذي للشجرة لا يوجد إلاّ مع فصله من المدينة كفصل الشجرة منها على السواء، وهو ستّة أميال كما ذكر، نعم لو لم يذكر فيهما المحاذاة واقتصر على أنّه يحرم بعد ذهابه

١ . مجمع البحرين١ :٩٧.

٢ . القاموس المحيط١ :٣٢٧.

٣ . الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية٢ :٢٢٦ ٢٢٧ وجعلنا المتن ما بين الهلالين ليمتاز من الشرح.

من المدينة ستّة أميال لكان وجهاً للتوهّم المذكور، وأمّا مع ذلك فهو نصّ في المقصود، والكلام المذكور بعيد من مثله، وبالجملة فهو ممّا لا شبهة فيه.

نعم، قد وقع الخلاف بينهم بعد ما تقرّر كفاية المحاذاة بالإجمال في الميقات الذي يحرم من محاذاته، فقيل: هو الميقات الأقرب إلى طريقه وهو مذهب العلاّمة في محكي التذكرة والمنتهى، بل لعلّه المشهور.[١]

وقيل: من الأقرب إلى مكّة كما في الشرائع وغيره.[٢]

وقيل: أيّ ميقات كان كما حكي عن الإسكافي والحلّي.[٣]

أقول: وأجودها الأوّل وهو المختار؛ لأنّ المحاذاة العرفية ممّا لا بدّ منه، ولا يصدق المحاذاة في العرف إلاّ بالنسبة إلى الميقات الذي هو أقربها إلى ذلك الطريق، سواء كان أبعدها عن مكّة أو أقربها إليها أيضاً.

ثمّ إن كان أقربها إلى الطريق واحداً، مثل يلملم بالنسبة إلى من يسافر من هذه البلاد إلى مكّة في طريق البحر كما هو معروف، فيلزم الإحرام من محاذاته فحسبُ، وإن وجد ميقاتان كلّ منهما قريب عن ذلك الطريق مع تساوي بُعدهما عن مكّة، كالطريق الواقع بين يلملم والقرن مثلاً، فله الخيار في الإحرام بمحاذاة أيّهما شاء، وإن كان كلّ واحد منهما قريباً من الطريق ولكنّهما مختلفان في البعد عن مكّة بأن يكون أحدهما أبعد عنها من الآخر، كالطريق المفروض من المدينة إلى مكّة، بحيث يكون فيه موضع يحاذي الشجرة ثمّ موضع يحاذي الجحفة أو يكون الموضع الثاني يحاذي العقيق ولعلّ الطريق الذي سأل عنه في الصحيحين يكون كذلك، فيلزم الإحرام من المحاذاة الأُولى، وهو محاذاة

---

١ . حكى عنهما في مستند الشيعة١١ :١٨٨ .

٢ . في مستند الشيعة (١١ :١٨٨) عن القواعد.

٣ . حكى عنهما في مستند الشيعة١١ :١٨٨ .

أبعدهما عن مكّة، وهكذا لو فرض طريق فيه موضع يحاذي الجحفة ثمّ موضع آخر يحاذي القرن أو مثله من المواقيت القريبة عن مكّة كان الإحرام من المحاذي الأوّل وهكذا القياس.

ولعلّ كلام العلاّمة طاب ثراه في المنتهى يؤول إلى هذا؛ فإنّه بعد ما اختار أنّه أقرب المواقيت إليه، أي إلى السالك في ذلك الطريق، قال: «والأولى أن يكون إحرامه بحذاء أبعد المواقيت[1] من مكّة».[2] إلى آخره؛ إذ ليس المراد أنّ الأبعد الذي هو أبعد من الطريق أيضاً حتّى لم يبق المحاذاة العرفية، بل المقصود على الظاهر ما ذكرناه، نعم فيه أنّه أولى وعند النظر القاصر لا بدّ منه عند محاذاة أبعد المواقيت من مكّة مع قربه عن الطريق، فإن لم يوجد محاذاته فلا عبرة به.

فإن قيل: الظاهر من الصحيحين المزبورين اعتبار المحاذاة من أبعد المواقيت عن مكّة، وهو ميقات المدينة، يعني الشجرة، إذ لم يلتف إلى ميقات العراق لو حاذاه بعد ذلك وهو العقيق.

قلت: ما يظهر من الصحيحين فهو على الظاهر يرجع إلى ما فصّلناه؛ لأنّ المذكور فيهما هو الإحرام من محاذاة الشجرة، ولا يوجد المحاذاة العرفية للشجرة إلاّ في الطريق الذي كانت الشجرة أقرب المواقيت إليه، فلو فرض أنّ الشجرة مثلاً في الشرق وطريق في الغرب فلا يكون في ذلك الطريق موضع يصدق عليه في العرف أنّه يحاذي الشجرة، نعم يظهر منهما عدم الالتفات إلى المحاذاة الثانية، أي التي توجد بعد المحاذاة الأُولى، وهو كذلك كما ذكرناه.

وبالجملة فمدار الحكم على تحقّق المحاذاة العرفية بحيث يصدق أنّ الميقات الفلاني في جنب هذا الطريق بالتفصيل الذي مضى آنفاً.

---

١ . في المصدر: بحذو الأبعد من المواقيت.

٢ . منتهى المطلب ١٠: ١٩١.

وبهذا يظهر ما في القول الثاني؛ لأنّه يحصل فيه مخالفة الصحيحين المذكورين ولو في بعض الأحوال والأوضاع؛ فإنّه لو وصل إلى ما يحاذي الشجرة مثلاً فلا يلزم الإحرام منه على القول المذكور مع أنّه خلاف ما يستفاد منهما.

وأمّا ما قيل إنّه أجود الأقوال لأصل البراءة من محاذاة الأبعد، فالجواب أنّ أصل البراءة يقتضي عدم وجوب الإحرام من أقرب المواقيت أيضاً، فلو سلّم وجوبه من الصحيحين فلِمَ لا يسلّم بالنسبة إلى الأبعد مع ظهورهما فيه كما عرفت.

إلاّ أن يقال: إنّ ذلك الحكم لم يثبت منهما أصلاً، بل ثبت من اتّفاقهم على أنّ المسافة التي ما بين أقرب المواقيت وبين مكّة، وهي مرحلتان، لا يجوز قطعها بدون الإحرام من أحد أطرافها كما قيل.

وفيه أنّ الشأن في اتّفاقهم على ذلك وفي ثبوت الحكم المذكور منه وكذا ما في القول الثالث الأخير فإنّه كذلك مخالف لما يستفاد من الصحيحين ويخالف كلا القولين.

وإذا عرفت هذا فاعلم أنّ المتّجه اعتبار العلم بالمحاذاة، ولكن صرّح غير واحد بكفاية الظنّ بها، ولعلّه للحرج والأصل وانسياقِ إرادة الظنّ في أمثال المقام، والظاهر تعيين تحصيل العلم بها مع التمكّن، وأمّا مع عدمه فيكفي الظنّ.

ثمّ إن ظهر تقدّم الإحرام على المحاذي أعاد منه، وإن ظهر التأخّر فاستقربوا الإجزاء؛ للحرج وأصل البراءة؛ لأنّه كلّف باتّباع ظنّه، ولكن الإعادة هنا أيضاً مع الإمكان أحوط، وإن لم يتمكّن من الإعادة فالظاهر هو الإجزاء، وإن لم يكن له سبيل إلى العلم والظنّ فقال العلاّمة في محكي المنتهى والتحرير: أحرم من بُعد بحيث يعلم أنّه لم يتجاوز من الميقات إلاّ محرماً. قال كاشف اللثام: وفيه نظر ظاهر.[1] انتهى.

---

١ . كشف اللثام٥ :٢٢٤، وفي ط. الحجري١ :٣٠٨.

والظاهر أنّه أراد أنّ الإحرام كما لا يجوز تأخيره من الميقات وما يحاذيه فكذلك لا يجوز تقديمه عليه أيضاً، فمن أين الحكم المزبور؟!

أقول: الحكم بعدم جواز تأخيره وتقديمه إنّما هو مع العلم بالميقات وما يحاذيه أو الظنّ حتّى عدّ بذلك مخالفاً لحكم الشارع عمداً واختياراً، وأمّا مع فقدهما فمن أين الحكم بعدم جوازه، نعم لا يظهر عند ذلك الحكم الواقعي من الشارع، فجوّزنا عليه الإحرام بالطريق المذكور من باب المقدّمة تحصيلاً للمأمور، وبالجملة فهو من قبيل الاحتياط ولا يراد من الاحتياط إلاّ ذلك، فما ذكره العلاّمة لا يخلو عن قوّة، ومع ذلك كلّه فالاحتياط في المقام المرور على نفس الميقات مع التمكّن وعدم الحرج ولكن من خارج المحاذاة ومقدّماً عليها بحيث لا يحصل التجاوز عنها مُحِلاًّ ثمّ الإحرام منه، وأمّا مع الحرج فالمتعيّن عندي هو الإحرام من محاذاة أقرب المواقيت إلى الطريق على التفصيل المتقدّم، وأحوط منه مع التمكّن وعدم الحرج والضيق تجاوز المحاذاة محرماً ثمّ تجديد الإحرام من نفس الميقات.

وأمّا ما سمعناه من بعض الناس أنّ جماعة من سالكي البحر قد تركوا الإحرام اختياراً من محاذاة يلملم مع إرادة دخول مكّة زعماً منهم باستغناء الإحرام من نفس يلملم بعد الوصول إليه فقد أخطأوا في ذلك وأثموا؛ لأنّ الظاهر عند النظر القاصر حصول الإثم والعصيان في التجاوز عن المحاذاة بدون الإحرام، إذا كان المقصود دخول مكّة ولو بعد الإحرام من يلملم، وإن قلنا بإجزاء إحرامهم من الميقات مع حصول العصيان بالتجاوز من المحاذاة محلاًّ على نحو ما ذكرناه سابقاً، فيمن يحرم من الجحفة بعد تجاوزه عن الشجرة اختياراً بدون عذر.

نعم لو كان دخول الميقات مقصوداً بالذات بأن يكون لغرض أو حاجة

دون الإحرام لجاز تجاوز المحاذاة بدونه، ثمّ لو بدأ وأراد الإحرام منه لم يكن به ضيرٌ، وهكذا الحكم لو أراد المسير إلى المدينة، بأنّه لو كان مقصوداً بالذات لزيارة النبي صلى الله عليه وآله مثلاً، فلا يلزم الإحرام من المحاذاة البتّة، ولو لم يقصد منه إلاّ دخول مكّة من ذلك الطريق مع إرادة أن لا يقطع ذلك السفر بنيّة إقامة العشرة في أثنائه وإنّما أراد منه مزيد الأجر بطول المسافة فالظاهر لزوم الإحرام من محاذاة يلملم مثلاً، والأحوط حينئذ تجديده إذا وصل على ميقات المدينة راجعاً إلى مكّة، والله يعلم.

بقي الكلام فيمن سلك طريقاً لا يوصل إلى ميقات ولا إلى ما يحاذيه أصلاً فقد اختلفوا فيه، وعندي أنّه خلاف بلا ثمر؛ إذ المواقيت محيطة بالحرم من الجوانب، قال جناب السيّد السند في الرياض: فذو الحليفة شامية، ويلملم يمانية، وقرن شرقية، والعقيق غربية.[١] انتهى.

فأين الطريق الذي لا يوصل إلى ميقات ولا إلى محاذاته؟! هذا ماسنح للعبد المستهام في المقام، والعلم عند الله العزيز العلاّم.

الميقات السابع: دويرة الأهل

الميقات السابع دويرة الأهل، أي دار الرجل الذي منزله أقرب من المواقيت الخمسة المذكورة إلى مكّة، فذلك المنزل هو ميقاته بلا خلاف يعرف كما حكي عن الذخيرة بل عن المدارك: إنّه مجمع عليه بين الأصحاب،[٢] وفي الجواهر بل الإجماع بقسميه عليه،[٣] وعن المنتهى أنّه قول أهل العلم كافّة إلاّ مجاهد.[٤]

---

١ . رياض المسائل٦ :١٩٥.

٢ . حكى عنهما في مستند الشيعة١١ :١٨٥.

٣ . جواهر الكلام١٨ :١١٣.

٤ . عنه في مستند الشيعة١١ :١٨٥.

ويدلّ عليه صحيحة ابن عمّار الأُولى المذكورة في الميقات الأوّل، والخبر العاشر وهو الرضوي عليه السلام المذكور ثمّة.

وصحيحة ابن عمّار الأُخرى عن أبي عبدالله عليه السلام: «من كان منزله دون الوقت إلى مكّة فليحرم من منزله».[١]

وعن التهذيب أنّه في حديث آخر أنّه: إذا كان منزله دون الميقات إلى مكّة فليحرم من دويرة أهله.[٢]

وبمعناه صحيح مِسْمَع أو حسنه عن أبي عبدالله عليه السلام: «إذا كان منزل الرجل دون ذات عرق إلى مكّة فليحرم من منزله».[٣] بناء على أن لا ميقات أقرب إلى مكّة منها.

ومرسلة الصدوق: «من كان منزله دون المواقيت ما بينها وبين مكّة فعليه أن يحرم من منزله».[٤]

ومرسلته الأُخرى قال: «سألته عن رجل منزله خلف الجحفة من أين يحرم؟ قال عليه السلام: من منزله»».[٥]

وفي صحيح ابن مُسكان حدثني أبو سعيد قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عمّن كان منزله دون الجحفة إلى مكّة قال: «يحرم منه».[٦]

إلى غير ذلك من النصوص الدالّة على أنّ منزل الرجل إذا كان خلف المواقيت فإنّما هو ميقاته، ولا عبرة فيه بكون المنزل محاذياً لأحد المواقيت

---

١ . تهذيب الأحكام٥ :٥٩، ح ١٨٣؛ وسائل الشيعة١١ :٣٣٤، باب ١٧، ح ١.
٢ . تهذيب الأحكام٥ :٥٩، ح ١٨٤؛ وسائل الشيعة١١ :٣٣٤، باب ١٧، ح ٢.
٣ . تهذيب الأحكام٥ :٥٩، ح ١٨٥؛ وسائل الشيعة١١ :٣٣٤، باب ١٧، ح ٣.
٤ . من لا يحضره الفقيه٢ :٣٠٦، ح ٢٥٣١؛ وسائل الشيعة١١ :٣٣٥، باب ١٧، ح ٧.
٥ . من لا يحضره الفقيه٢ :٣٠٦، ح ٢٥٣٠؛ وسائل الشيعة١١ :٣٣٥، باب ١٧، ح ٦.
٦ . تهذيب الأحكام٥ :٥٩، ح ١٨٦؛ وسائل الشيعة١١ :٣٣٤، باب ١٧، ح ٤.

المذكورة وعدمه كما هو مقتضى إطلاق النصوص والفتاوى، على أنّ فرض المحاذاة مستبعد بناءً على تساوي المواقيت الثلاثة التي هي ذات عرق ويلملم والقرن في البعد عن مكّة وقد فرض أنّ المنزل دونها إلى مكّة وإن كان يمكن ذلك؛ لعدم تحقّق المساواة الحقيقية؛ لأنّ الظاهر أنّها تقريبية مع حصول التفاوت اليسير بينها، نعم يجوز ذلك في المنزل الذي يكون خلف الجُحفة مع عدم كثير بُعد منها، لأنّ المستفاد من كلام أكثر الفقهاء وأهل اللغة أنّ كلاً من المواقيت الثلاثة المذكورة على مرحلتين من مكّة، وهذه المسافة بقدر ثمانية وأربعين ميلاً، وهي منتهى مسافة حاضري مكّة كما صرّح به في الجواهر[١] نقلاً عن الشهيد(رحمه الله)، والظاهر من كلام بعض أهل اللغة كما تقدّم أنّ الجحفة واقعة على ثلاث مراحل من مكّة، وحينئذ فيمكن أن يكون المنزل خلفها ولكن يحاذي أحد الثلاثة المذكورة، فكان من الجائز أن يحرم الرجل المزبور حينئذ من منزله، ومع عدم محاذاته يحرم من موضع يحاذي أحدها، ولكن لم يعتبر المحاذاة مطلقاً في النصوص، بل جعل نفس منزله ميقاتاً، وكيف كان فالأخبار المزبورة ناصّة كفتوى غير واحد من الأصحاب على اعتبار قرب المنزل عن[٢] مكّة، خلافاً للمحكي عن المحقّق(رحمه الله) في موضع من المعتبر حيث اعتبر قربه إلى عرفات مطلقاً،[٣] وتبعه الشهيد في اللمعة،[٤] ولكن صرّح بالاعتبار المذكور في حجّ الإفراد خاصّة. وقال شيخنا الشهيد الثاني بعد عبارته[٥]: «اعتبر القرب إلى عرفات لأنّ الحجّ بعد الإهلال به من الميقات لا

١ . جواهر الكلام١٨ :١١٤.
٢ . كذا.
٣ . المعتبر٢ :٧٨٦.
٤ . اللمعة الدمشقية:٥٦.
٥ . أي عبارة الشهيد الأوّل.

يتعلّق الغرض فيه بغير عرفات بخلاف العمرة؛ فإنّ مقصدها بعد الإحرام مكّة، فينبغي اعتبار القرب فيها إلى مكّة».[١] إلى آخر ما أفاد طاب ثراه، ولم نعثر على دليل القول، وهو على خلاف النصوص المذكورة الدالّة على قربه من مكّة مطلقاً، فالمختار هو الأوّل.

ثمّ هل يشمل الحكم أهل مكّة أيضاً حتّى يحرموا من منازلهم مطلقاً أو لا؟ فيحرموا من المواقيت المقرّرة، وجهان، أمّا على القول المزبور فدخولهم تحت الحكم ممّا لا كلام فيه؛ لأنّ منازلهم الواقعة في مكّة أقرب إلى عرفات من المواقيت، وأمّا على المختار فلا يخلو عن إشكال؛ لعدم دليل صالح من الأخبار، والأقربية لا تتمّ؛ لاقتضائها المغايرة عرفاً.

وأمّا ما ذكره الفاضل المدقّق النراقي بقوله: «ولا يخفى أنّ الأقرب إنّما ورد في كلام الأصحاب دون أخبار الأطياب»[٢] انتهى، ففيه أنّ المدار ليس على لفظ الأقرب بل على مفاده، وقد ورد به بعض الأخبار بل الأخبار الكثيرة، ففي صحيحة ابن عمّار الأُولى: «ومن كان منزله خلف هذه المواقيت ممّا يلي مكّة فوقته منزله».[٣] لأنّ «يلي» قريب عن معنى الأقرب، وفي كثير منها «دون الوقت إلى مكّة» ومفادها ذلك أيضاً، بناء على خروج الغاية عن المغيى، وفي الرضوي: «من كان منزله دون هذه المواقيت ما بينها وبين مكّة» الحديث وهكذا في مرسلة الصدوق وهما نصّان في المغايرة،[٤] فلا وجه لما ذكر، ولكن مع ذلك فالمشهور بين الأصحاب، كما ذكره جماعة، عدم المغايرة فيه بين أهل مكّة

---

١ . شرح اللمعة٢ :٢١٠.

٢ . مستند الشيعة١١ :١٨٧.

٣ . الكافي٤ :٣١٨، باب مواقيت الإحرام، ح ١؛ تهذيب الأحكام٥ :٥٥، ح ١٦٦ وص٢٨٣، ح٩٦٤؛ وسائل الشيعة١١ :٣٠٨، باب ١، ح ٢ و:٣٣٣، باب ١٧، ح ٨.

٤ . كذا في النسخة بالهمز، وكذا في الموارد الآتية وله وجه.

وغيرهم، بل زاد بعضهم فنفى الخلاف فيه بينهم،[١] مشعراً بدعوى الإجماع كما حكاه في الذخيرة عن التذكرة،[٢] ولعلّه كما صرّح به البعض[٣] لما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله): «فمن كان دونهنّ فمهّله من أهله»، ومرسلة الصدوق: «عن رجل منزله خلف الجحفة من أين يحرم؟ قال: من منزله» ولكن في الصحيحين الواردين في المجاور أن يحرم للحجّ من الجعرانة، وهو مطلق، أي سواء انتقل فرضه إلى فرض أهل مكّة أم لا، إلاّ أن يقيّد بالأخير، أو يجعل ذلك من خصائص المجاور.

والثاني أولى من الأوّل، ولولا الشهرة العظيمة بل الإجماع المدّعى لكان القول بالمغائرة قوياً، ولا ريب في كونه أحوط، بمعنى أن يحرم أهل مكّة من المواقيت مهما أمكن، كما لا شبهة في كونه أفضل بالنسبة إليهم، بل قيل[٤] هو الأفضل بالنسبة إلى غيرهم ممّن كان بين المواقيت وبين مكّة أيضاً، قال في كشف اللثام: «وجهه ظاهر لبعد المسافة وطول الزمان».[٥] والله يعلم.

الميقات الثامن: مكّة

الميقات الثامن مكّة، وهي ميقات المتمتعين في إحرام حجّهم خاصّة مع الاختيار والتذكر. بلا خلاف ظاهر بل في كشف اللثام والرياض الإجماع عليه فتوىً ورواية فلا نطيل الكلام في المقام،[٦] ولا يتعيّن شيء من مكّة له، ولكن قالوا: إنّ أفضل مواضعها المسجد الحرام وأفضل مواضعه المقام؛ لرواية عمر

١ . كذا في النسخة والرياض٦ :١٩٢.
٢ . ذخيرة المعاد:٥٧٣؛ تذكرة الفقهاء٧ :١٩٠، وفي ط. الحجري١ :٣٢٠.
٣ . هو السيّد علي الطباطبائي.
٤ . قائله الكيدري في إصباح الشيعة، كما عنه في كشف اللثام٥ :٢١٧.
٥ . كشف اللثام٥ :٢١٧، وفي ط. الحجري١ :٣٠٧.
٦ . كشف اللثام٥ :٣٨ وفي ط. الحجري١ :٢١٨؛ رياض المسائل٦ :١٣١.

بن يزيد: «إذا كان يوم التروية فاصنع كما صنعت بالشجرة، ثمّ صلّ ركعتين خلف المقام، ثمّ أهّل بالحجّ، فإن كنت ماشياً فلبّ عند المقام، وإن كنت راكباً فإذا نهض بك بعيرك».[١] والله يعلم.

الميقات التاسع: أدنى الحلّ

الميقات التاسع أدنى الحلّ، والحلّ ما خرج عن منتهى الحرم، والحرم ما أحاط بمكّة من جميع جوانبها، وعن بعض الأفاضل[٢] أنّ له علامات مبنية، وهي الأنصاب من جميع جوانبه خلا جهة جدّة وجهة الجعرانة؛ فإنّه ليس فيهما أنصاب. انتهى.[٣]

والمراد بأدنى الحلّ أقربه إلى الحرم وما هو ألصق به منه، والمعتبر ما قارب الحرم عرفاً كما يستفاد من كلام شيخنا الشهيد الثاني في شرحيه،[٤] وهو ميقات العمرة الواقعة بعد حجّ الإفراد والقران، فإنّ المفرد والقارن إذا أرادا الاعتمار بعد الحجّ خرجا إلى أدنى الحلّ فأحرما منه، كما ذكره غير واحد من الأصحاب، بل عن كشف اللثام لا نعلم في ذلك خلافاً،[٥] بل عن المنتهى نفي الخلاف في ذلك أيضاً.[٦]

والظاهر عدم الوجوب من أدنى الحلّ على وجه التعيين؛ فإنّا لم نعثر على قائل به؛ لجواز إحرامهما لها من أحد المواقيت المعهودة، بل قد يتوّهم من

---

١ . تهذيب الأحكام٥ :١٦٩، ح ٥٦١؛ الاستبصار٢ :٢٥٢، ح ٨٨٦؛ وسائل الشيعة١٢ :٣٩٧، باب ٤٦، ح ٢.
٢ . هو صاحب الجواهر.
٣ . جواهر الكلام٢٠ :٢٩٤.
٤ . مسالك الأفهام في شرح شرائع الإسلام٢ :٢٠٢؛ شرح اللمعة٢ :٢٢٣، واللفظ للمسالك.
٥ . كشف اللثام٥ :٢٢١ وفيه نقل ذلك عن التذكرة.
٦ . منتهى المطلب٢ :٦٦٧ وعنه في كشف اللثام٥ :٢٢١ ومستند الشيعة١١ :١٨٩.

المراسم[١] وجوب الإحرام منها،[٢] وقد صرّح الشهيد في الدروس على ما حكي عنه بالتخيير لهما بين الإحرام من أدنى الحلّ وبين الإحرام من أحد المواقيت، بل لعلّ الأخير أفضل؛ لبعد المسافة وطول الزمان كما ذكره في الجواهر،[٣] وحينئذ فأدنى الحلّ كان رخصة لا عزيمة، فما مرّ من الاتّفاق عليه فالظاهر أنّ المراد منه الاتّفاق على الرخصة المذكورة، أو الاتّفاق على وجوب أن يخرجا عن حدّ الحرم؛ لعدم جواز إحرامهما للعمرة من الحرم ولا

١ . أورده في كشف اللثام٥ :٢٢٢.
٢ . في هامش النسخة: أي من المواقيت المقرّرة «١٢ منه».
٣ . جواهر الكلام١٨ :١١٩.

من مكّة كما صرّحوا به.

ثمّ المتّفق عليه حينئذ استحباب الإحرام لهما من الجعرانة أو من الحديبية أو من التنعيم.

والجِعْرانة بكسر الجيم وسكون العين وبالراء المخفّفة المهملة ـ: موضع بين مكّة والطائف بينها وبين مكّة ثمانية عشر ميلاً على ما حكي في الكشف عن بعض أهل اللغة، وعن الفيّومي أنّها على سبعة أميال من مكّة، قال: وهو سهو في سهو؛ فإنّ الحرم من جهته تسعة أميال أو بريد.[1] انتهى.

والحديبية على صيغة التصغير والمثنّاة التحتانية المشدّدة، وبعضهم على تخفيفها بل قيل: إنّهم متّفقون على التخفيف وأنّ التشديد لم يسمع من فصيح، وكيف كان فهي في الأصل اسم بئر خارج الحرم على طريق جدّة عند مسجد الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان.

قال الفيّومي: دون مرحلتين.

وقال النَّووي: على نحو مرحلة من مكّة.

وعن الواقدي: إنّها على تسعة أميال من المسجد الحرام.

وقيل: اسم شجرة حدباء ثمّ سمّيت بها قرية هناك ليست بالكبيرة.

قيل: إنّها من الحلّ.

وقيل: من الحرم.

وقيل: بعضها في الحلّ وبعضها في الحرم.

ويقال: إنّه أبعد أطراف الحلّ إلى الكعبة.[2]

---

١ . كشف اللثام٥ :٢٢٠.

٢ . نقل هذه الفقرة، من قوله: «الحديبية» إلى هنا، من كشف اللثام٥ :٢٢٠ ٢٢١ وفي ط. الحجري١ :٣٠٧.

والتنعيم على لفظ المصدر، سمّي به موضع على ثلاثة أميال من مكّة أو أربعة، وقيل: على فرسخين على طريق المدينة، به مسجد أميرالمؤمنين عليه السلام ومسجد سيّد الساجدين زين العابدين عليه السلام ومسجد عائشة، سمّى به لأنّ على[١] يمينه جبلاً[٢] يسمّى نعيماً وعلى شماله جبلاً اسمه ناعم، واسم ذلك الوادي نعمان، يقال: هو أقرب أطراف الحلّ إلى مكّة.

ثمّ استحباب إحرامهما من المواضع الثلاثة ممّا يستفاد من عدّة أخبار: منها ما تضمّن اعتمار النبي (صلى الله عليه وآله) من الجِعْرانة، ومنها ما فيه أمره (صلى الله عليه وآله) لعائشة بالاعتمار من التنعيم، ومنها قول الصادق (عليه السلام) في صحيح ابن يزيد: من أراد أن يخرج من مكّة ليعتمر أحرم من الجعرانه أو الحديبية أو ما أشبههما[٣] بل هذا الخبر يكفي في المطلوب عمّا سواه.

وعلى هذا فأفضلية ذهابهما إلى أحد المواقيت المعهودة، كما احتمله بعض الأعلام، إنّما يكون بمعنى التأكيدي؛ فإنّ الإحرام لمّا ثبت استحبابه من أحد المواضع الثلاثة المذكورة التي هي خلف المواقيت إلى مكّة فالذهاب إلى الميقات للإحرام منه لا يكون إلاّ بمعنى الاستحباب المؤكّد، ولو قيل بالاستحباب التخييري لم يبعد.

وأمّا ما بين أدنى الحلّ الشامل للمواضع الثلاثة وبين المواقيت فلا استحباب في الإحرام منه، بل جوازه منه لا يخلو عن إشكال، بل الأحوط عدمه اقتصاراً على موضع اليقين، والعلم عند الله ربّ العالمين.

---

١ . في كشف اللثام: عن، وكذا في المورد الآتي.

٢ . في النسخة: جبل، والتصويب من الكشف، وكذا في المورد الآتي.

٣ . أورد هذه الفقرة، أعني من قوله: «والتنعيم» إلى هنا من كشف اللثام٥ :٢٢١، وفي ط. الحجري١ :٣٠٨.

الميقات العاشر: فخّ

الميقات العاشر فخّ وهو بفتح الفاء وتشديد المعجمة بئرٌ معروف على نحو فرسخ من مكّة، وفي القاموس موضع بمكّة دفن بها ابن عمر، وفي السرائر: إنّه موضع على رأس فرسخ من مكّة...[١]

وهو ميقات الصبيان عند جماعة منهم المحقّق في المعتبر، وقريب منه العلاّمة في التحرير والمنتهى، وأفتى به في الدروس، وقوّاه في المسالك وإن جعل الإحرام بهم من الميقات أولى، وتبعه في الجواز جماعة من المتأخّرين.[٢]

واستدلّ له بالصحيحين:

أحدهما: صحيحة أيّوب بن الحرّ قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن الصبيان من أين نجرّدهم؟ فقال: «كان أبي يجرّدهم من فخّ».[٣]

والثاني: صحيحة علي بن جعفر عن أخيه موسى عليه السلام وهي نحوها.[٤]

والقول الثاني أن لا بدّ من أن يحرم بهم من أحد المواقيت المقرّرة وإن جاز تأخير نزع المخيط والثياب عنهم إلى فخّ، وهو المنقول عن السرائر وبه أفتى المحقّق الثاني وقد جعله في التنقيح مراد الماتن.[٥]

أقول: القول الثاني أقوى عند النظر القاصر؛ لعموم نصوص المواقيت والنهي عن تأخير الإحرام عنها مختاراً، وعبادة الصبي شرعية أو تمرينية إذا جاء

---

١ . أورد هذه الفقرة من كشف اللثام٥ :٢١٨.

٢ . أورد عن هذه الجماعة بما ساقه في الرياض٦ :١٩٥.

٣ . الكافي٤ :٣٠٣، باب حج الصبيان...، ح ٢؛ من لا يحضره الفقيه٢ :٤٣٣، ح ٢٨٩٤؛ تهذيب الأحكام٥ :٤٠٩، ح ١٤٢١؛ وسائل الشيعة١١ :٢٨٨، باب ١٧، ح ٦.

٤ . تهذيب الأحكام٥ :٤٠٩، ح ١٤٢٢؛ مسائل علي بن جعفر:٢٦٨، ح ٦٥١؛ قرب الإسناد:٢٣٨، ح ٩٣٧.

٥ . نقل عنهم في مستند الشيعة١١ :٣٣٣.

بها على نحو ما يجيء به المكلّف لا بغيره، ولم يثبت التفرقة بين الصبي والمكلّف في موضع الإحرام؛ لأنّ مدلول الصحيحين إنّما هو التجريد، فلا بدّ من حمله على معناه الحقيقي، وهو نزع شيء أو نزع الثياب خاصّة، والمعتبر في الإحرام أمور عديدة لا يدخل منها تحت هذا اللفظ إلاّ نزع الثياب والمخيط، فلا يراد الإحرام من التجريد إلاّ بنوع من المجاز وهو لا يعارض المعنى الحقيقي في مثل المقام، ووجود القرينة الصارفة ممنوع؛ لتحقّق بعض القرائن على خلافه كصحيحة معاوية بن عمّار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «قدّموا من كان معكم من الصبيان إلى الجحفة أو إلى بطن مرّ ثمّ يصنع بهم ما يصنع بالمحرم ويطاف بهم ويسعى بهم...».[1]

وهو يشعر باعتبار الميقات ولو ميقات الاضطرار، وأيضاً فاحتمال أن يراد من التجريد الإحرام إنّما هو بالنسبة إلى فخّ خاصّة وهو في طريق المدينة، وأمّا غيره من الطرق فلا يجوز أن يجاوز بهم من الميقات المقرّر بدون الإحرام، والظاهر أنّه لا خلاف فيه، نعم لا كلام ولا إشكال في جواز تأخير تجريدهم إلى فخّ للصحيحين وإن لم يكن بهم عذر في التجريد قبله، والظاهر أنّه مختصّ به أيضاً، فلو مرّوا بطريق آخر فالأولى بل الأحوط تجريدهم مع الإحرام من الميقات كغيرهم، إلاّ أن يكون لهم فيه مشقّة وصعوبة، فيجوز التأخير لذلك لا مطلقاً، والعلم عند الله سبحانه.

وههنا مسائل:

الأُولى: اعلم أنّه لا بدّ من تحصيل العلم بالميقات الذي وقّته رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأهله، ومع عدم السبيل إلى العلم فالعبرة بالظنّ المتآخم له؛ لأنّه القائم

---

١ . تهذيب الأحكام٥ :٤٠٩، ح ١٤٢٣؛ وسائل الشيعة١١ :٢٨٧، باب ١٧، ح ٣.

مقامه شرعاً في كثير من المواضع، وقد يستفاد من كلام غير واحد من الأصحاب الاكتفاء في معرفتها بالشياع المفيد للظنّ الغالب مطلقاً، ولعلّه لصحيح معاوية بن عمّار عن أبي عبدالله عليه السلام: «يجزيك إذا لم تعرف العقيق أن تسأل الناس والأعراب عن ذلك».[١] بل ظاهره يشعر بالاكتفاء على مطلق الظنّ، والله يعلم.

الثانية: قال ابن إدريس(رحمه الله): «ميقات أهل مصر ومن صعد البحر جُدَّة».[٢] وهي ـ بضمّ الجيم وشدّ الدال المهملة بلدة على ساحل البحر على نحو مرحلتين من مكّة، والجدّة في الأصل شاطىء النهر، وحكى الأزهري أنّ أصلها كدّ بالنبطي فعربت.

والظاهر أنّ المراد بجعلها ميقاتاً لأهل مصر أنّها ميقاتهم إذا أتوها من البحر؛ وفيه نظر لثبوت أنّ ميقات أهل مصر هو الجحفة كما تقدّم ولم نعثر على مستنده في كون الجدّة ميقاتاً مطلقاً ولم نجد من الأصحاب له موافقاً.

قال العلاّمة طاب ثراه في المختلف: «فإن كان الموضع الذي ذكره ابن إدريس؛ يحاذي أقرب المواقيت صحّ وإلاّ فلا؛ فإنّه ليس في شيء من الأحاديث، والذي ورد في ميقات أهل مصر الجحفة».[٣] إلى آخر ما أفاد(رحمه الله) وهو الحقّ.[٤]

وقد سمعنا أنّ الجدّة قريبة من الطريق الذي يقرب منه يلملم، بل كادت تساويه في البعد عن مكّة؛ لأنّ كلاًّ منهما على مرحلتين منها كما عرفت، فلا يبعد أن يكون الجدّة على محاذاة يلملم وعند ذلك جاز الإحرام منها باعتبار المحاذاة كما فصلناه سابقاً، لا باعتبار خصوصها، ولكن قد سمعت بعض الحجّاج الموثقين عدم تحقّق المحاذاة فيها في هذا الزمان، مع ذلك فلا مساغ

١ . من لا يحضره الفقيه٢ :٣٠٤، ح ٢٥٢٤؛ وسائل الشيعة١١ :٣١٥ ٣١٦، باب ٥، ح ١.
٢ . السرائر١ :٥٢٩.
٣ . مختلف الشيعة٤ :٤٣.
٤ . من أوّل المسألة إلى هنا أخذه من كشف اللثام٥ :٢٢٤، وفي ط. الحجري١ :٣٠٨.

حينئذ للإحرام منها.

الثالثة: المواقيت التي وقّتها رسول الله (صلى الله عليه وآله) هي لأهلها المفصّل سابقاً ولمن أتى عليها من غير أهلها أيضاً، فكلّ من حجّ أو اعتمر على طريق، كالعراقي يمرّ بمسجد الشجرة فهي ميقاته كأهل المدينة المارّين بالشجرة بلا خلاف ظاهر، بل عن جماعة الإجماع عليه، بل قال صاحب المستند:

إنّه إجماع محقّق فهو الحجّة فيه، مضافاً إلى انتفاء العسر والحرج في الشريعة، وإلى ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «هنّ لهنّ ولمن أتى عليهنّ من غير أهلهنّ»، وصحيحة صفوان وفيها: «إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقّت المواقيت لأهلها ومن أتى عليها من غير أهلها، وفيها رخصة لمن كانت به علّة، فلا يجاوز الميقات إلاّ من علّة» وغير ذلك.[١]

الرابعة: كلّ من دخل مكّة وجب أن يكون محرماً إلاّ من استثني، أمّا الحكم الأوّل فهو على الظاهر متّفق عليه بين الأصحاب لا يوجد فيه خلاف، مضافاً إلى خبر علي بن أبي حمزة قال: سألت أبا إبراهيم عليه السلام عن رجل يدخل مكّة في السنة المرّة والمرّتين والثلاث كيف يصنع؟ قال: «إذا دخل فليدخل ملبّياً، وإذا خرج فليخرج مُحِلاًّ».[٢]

وفي صحيح محمّد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام هل يدخل الرجل مكّة بغير إحرام؟ قال: «لا إلاّ مريضاً أو من به بطنٌ».[٣]

---

١ . مستند الشيعة١١ :١٩١.

٢ . الكافي٤ :٥٣٤، باب العمرة المبتولة، ح ٣، و ط. دارالحديث٩ :٢٠٨؛ من لا يحضره الفقيه٢ :٣٧٩، ح ٢٧٥٤؛ الاستبصار٢ :٣٢٦، ح ١١٥٨؛ تهذيب الأحكام٥ :٤٣٥، ح ٥٠٨؛ وسائل الشيعة١٢ :٤٠٥، باب ٥٠، ح ١٠.

٣ . من لا يحضره الفقيه٢ :٣٧٩، ح ٢٧٥٣؛ تهذيب الأحكام٥ :٤٤٨، ح ١٥٦٤؛ وسائل الشيعة١٢ :٤٠٣، ح ٤.

وفي صحيحه الآخر عنه أيضاً: سألته هل يدخل الرجل الحرم بغير إحرام؟ قال: «لا، إلاّ أن يكون مريضاً أو به بطن».[١]

وفي صحيح عاصم بن حُمَيد قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أيدخل أحدٌ الحرم إلاّ محرماً؟ قال: «لا، إلاّ مريض أو مبطون».[٢]

والظاهر أنّ المراد من «الحرم» هو مكّة جمعاً فيما بينها، أو أن يراد أنّ من دخل الحرم قاصداً دخول مكّة؛ فإنّ من لا يريد دخولها ولا يريد النسك بل أراد حاجة في خارج مكّة فلا يجب عليه الإحرام من الميقات بلا خلاف ظاهر، وفي المدارك إجماع العلماء عليه،[٣] وأولى منه عدم لزوم الإحرام من محاذاة الميقات إذا لم يكن دخول مكّة مقصوداً، بأن يكون المقصود مكاناً آخر لغرض أو حاجة دون الإحرام منه كما فصّلناه سابقاً.

وأمّا الحكم الثاني فقد استثنوا من الحكم الأوّل مواضع:

الأوّل: المريض بأيّ مرض كان، لا سيّما من به البطن؛ فإنّه ممّن يجوز له دخول مكّة بغير إحرام، كما دلّ عليه الصحاح الثلاثة المتقدّمة آنفاً، وبه قطع الشيخ على ما حكي في جملة من كتبه والمحكي عن يحيى بن سعيد وغيرهما كالمحقّق في النافع بل قال العلاّمة النجفي في الجواهر: «لا أجد فيه خلافاً بينهم».[٤]

ولكن ربّما يعارض الصحاح المذكورة بصحيحي رفاعة:

أحدهما: قال سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل به بطن ووجع شديد يدخل مكّة حلالاً؟ فقال: «لا يدخلها إلاّ محرماً»، وقال: «يحرمون عنه أنّ الحطّابة

---

١ . الاستبصار٢ :٢٤٥، ح ٨٥٦؛ تهذيب الأحكام٥ :١٦٥، ح ٥٥١؛ وسائل الشيعة١٢ :٤٠٣، باب ٥٠، ح ٢.

٢ . الاستبصار٢ :٢٤٥، ح ٨٥٥.

٣ . مدارك الأحكام٧ :٢٣٤.

٤ . جواهر الكلام١٨ :٤٣٩.

والمجتلبة أتوا النبي (صلى الله عليه وآله) فسألوه فأذن لهم أن يدخلوا مكّة حلالاً».[١]

والآخر قال: سألته عن الرجل يعرض له المرض الشديد قبل أن يدخل مكّة قال: «لا يدخلها إلاّ محرماً».[٢]

وفي الجمع بينهما احتمالات:

أحدها: حمل خبري رفاعة على الاستحباب، وهو المحكي عن الشيخ،[٣] ونفى عنه البأس في الرياض واستظهره في الجواهر.[٤]

وثانيها: أن يراد من الصحاح الثلاثة المجوّزة لدخول المريض بغير إحرام المريض الذي لا يتمكّن من الإتيان بالمناسك ولو بالركوب، لا سيّما من لا يتمكّن من نيّة الإحرام أيضاً كالمجنون الزائل عقله، ويراد من خبري رفاعة الموجبين للإحرام المريض الذي يتمكّن من ذلك، ويؤيّده عموم خبر أبي حمزة المتقدّم.

وثالثها: حمل خبري رفاعة على التقية، واستقر به في الحدائق.[٥]

والأوّل لا يخلو عن قوّة والأوسط هو الأحوط، والله يعلم.

الثاني: الحطّابة والمجتلبة؛ لدلالة صحيح رفاعة المذكور، والظاهر أنّ المراد بالمجتلبة من يجلب الأشياء إلى البلد كالحنطة والدقيق والشعير والحشيش

---

١ . الاستبصار٢ :٢٤٥، ح ٨٥٧؛ تهذيب الأحكام٥ :١٦٥، ح ٥٥٢؛ وسائل الشيعة١٢ :٤٠٣، باب ٥٠، ح ٣.

٢ . الكافي٤ :٣٢٤، باب من جاوز أرضه بغير إحرام...، ح ٤؛ وسائل الشيعة١٢ :٤٠٥، باب ٥٠، ح ٨.

٣ . قاله في ذيل صحيحة رفاعة.

٤ . رياض المسائل٦ :٣٥٠؛ جواهر الكلام١٨ :٤٣٩.

٥ . الحدائق الناضرة١٥ :١٢٥.

والفواكه ونحوها،[١] وقد عبّر أكثر الأصحاب عنها بالمتكرّر الذي هو أعمّ منها، وهو غير بعيد؛ للعسر والحرج وإن كان الأحوط الاقتصار على النصوص.[٢]

الثالث: من خرج من مكّة بعد ما أحلّ من إحرامه السابق ثمّ عاد إليها في الشهر الذي كان قد أحرم فيه فلا حاجة له إلى الإحرام عند دخول مكّة، بل يدخلها محلاًّ، وقال بعضهم: «لو عاد في الشهر الذي خرج فيه وإن لم يكن شهر إحرامه السابق فكذلك يدخلها محلاًّ»، وهذا القول وإن كان لا يخلو عن رجحان ولكن الأوّل أحوط، اقتصاراً على موضع اليقين.

ولو عاد في الشهر الذي لم يحرم سابقاً فيه ولم يخرج فيه أيضاً فيجب عليه الإحرام بالاتّفاق، والأحوط الإحرام وإن عاد في شهر الخروج ما لم يعدّ في شهر إحرامه السابق.

إلى غير ذلك من المستثنيات التي يطول ذكرها.

تذنيب: قال السيّد في المدارك: الظاهر أنّه[٣] إنّما يجب الإحرام لدخول مكّة إذا كان الدخول إليها من خارج الحرم، فلو خرج أحد من مكّة ولم يصل إلى خارج الحرم ثمّ عاد إليها دخل بغير إحرام.[٤] انتهى.

وظاهر كلامه قدس سره أنّه إجماعي، فإن ثبت ذلك فلا كلام، وإلاّ فالاحتياط حينئذ الإحرام من أدنى الحلّ إن أمكن، وإلاّ فمن موضعه، والله يعلم.

وأيضاً قال طاب ثراه: ويجب على الداخل فيها[٥] أن ينوي بإحرامه الحجّ

---

١ . في النسخة نحوهما، والتصويب من الحدائق١٥ :١٢٥.

٢ . كما ذهب إليه في مدارك الأحكام٧ :٣٨٤.

٣ . في المصدر: - الظاهر أنّه.

٤ . مدارك الأحكام٧ :٣٨١.

٥ . في المصدر: - فيها.

والعمرة؛ لأنّ الإحرام عبادة و[١]لا يستقلّ بنفسه، بل إمّا أن يكون بحجّ أو عمرة، ويجب إكمال النسك الذي تلبّس به ليتحلّل من الإحرام. انتهى، وهو جيّد.[٢]

ثمّ لا يخفى أنّ الإحرام إنّما يوصف بالوجوب إذا وجب الدخول،[٣] وإلاّ كان شرطاً غير واجب كوضوء النافلة هذا، وأمّا لو أخلّ الداخل في الإحرام عمداً اختياراً مع الوجوب فلا شبهة في العصيان والإثم، وأمّا قضاؤه ففي وجوبه خلاف، والظاهر هو الوجوب والله يعلم.

الخامسة: من أحرم قبل هذه المواقيت عالماً عامداً لم ينعقد إحرامه بلا خلاف ظاهر، وللإجماع المنقول، والنصوص المستفيضة، وقد مضى بعضها في الميقات الأوّل، واستثني من ذلك صورتان:

إحداهما: أنّ من نذر الإحرام من موضع معيّن قبل المواقيت صحّ عند جماعة ومنعه آخرون، والأحوط الاجتناب عن جعله منذوراً، وإن نذر فعليه أن يحرم من ذلك الموضع ثمّ يحرم من الميقات احتياطاً.

وثانيتهما: أن يعتمر في رجب وخاف خروجه قبل الوصول إلى أحد المواقيت، فإنّه يجوز له الإحرام قبل الميقات ليدرك فضل الشهر على الأشهر، والاحتياط فيه كما في السابق، وكذلك لا يجوز لمريد النسك تأخير الإحرام عن الميقات عمداً اختياراً، إجماعاً فتوى ونصّاً، لأنّ ذلك مقتضى التوقيت.

السادسة: لو لم يتمكّن من الإحرام أصلاً من الميقات وإن كان فرضاً نادراً، أخّر الإحرام منه، ولو تمكّن من الإحرام باطناً، أي خفياً، كما في التقية

---

١ . في المصدر: – و.

٢ . مدارك الأحكام٧ :٣٨١ ٣٨٢.

٣ . في مدارك الأحكام (٧ :٣٨٢) مع وجوب الدخول.

وجب الإتيان به كذلك، ويؤخّر إظهاره، كما سبق في بعض الأخبار عن صاحب الزمان ـ عليه السلام وروحي فداه ـ.

ولو تمكّن من بعض واجبات الإحرام دون بعض فالأولى الإتيان بما أمكن، بل الظاهر الوجوب؛ لعدم ثبوت الارتباط، والقضاء مع ذلك مهما أمكن سبيل الاحتياط.

السابعة: لو ترك الإحرام من الميقات لمانع أو نسيان أو جهل بالحكم أو بالميقات وجب عليه الرجوع إليه والإحرام منه مع الإمكان بلا خلاف فيه بين العلماء كما عن المنتهى،[1] لتوقّف الواجب عليه وللأخبار المستفيضة.

ولو لم يتمكّن من الرجوع إلى الميقات فإن لم يدخل مكّة بعدُ أحرم حيث زال العذر، وإن دخلها خرج إلى ميقاته إن أمكن، وإلاّ خرج إلى خارج الحرم، ولو تعذّر ذلك أحرم من مكّة كما صرّح به المحقّق،[2] بل في الجواهر أنّ ذلك في كلام غير واحد من الأصحاب،[3] ولا يخلو عن قوّة.

الثامنة: من لا يريد النسك أصلاً فمرّ على الميقات وهو لا يريد دخول مكّة، أو يريده ولكنّه ممّن لا يجب عليه الإحرام كالحطّاب ونحوه لم يجب عليه الإحرام من الميقات حينئذ، فأمّا لو تجاوزه محلاً ثمّ بدا له فأراد النسك أو أراد دخول مكّة من كان غير قاصده فحكمه ما تقدّم أيضاً، أي يرجع إلى الميقات إن أمكن، وإلاّ فعليه ما على الناسي والمعذور.

التاسعة: لو أراد النسك ثمّ أخّر الإحرام عن الميقات عمداً اختياراً لم ينعقد إحرامه من غير ذلك الميقات حتّى عاد إليه فأحرم، فإن تعذّر العود إلى ذلك

١ . منتهى المطلب٢ :٦٧٠ ط. الحجري، وعنه في مستند الشيعة١١ :١٩٦ وأورد فيه الروايات الدالّة عليه.

٢ . المختصر النافع:٨٠.

٣ . جواهر الكلام١٨ :١٢٦ وزاد عليه: مرسلين له إرسال المسلّمات.

الميقات فالظاهر عدم صحّة إحرامه من موضع آخر، وفاقاً للمشهور، فيفوت منه الحجّ ويجب عليه القضاء بعد ذلك، والبعض على سقوط القضاء، والأوّل هو الظاهر، ولا ريب في كونه أحوط.

العاشرة: حكم من كان منزله دون الميقات إذا تجاوز عن منزله إلى مكّة حكم المتجاوز عن أحد المواقيت المذكورة؛ لأنّ منزله ميقاته كما عرفت.

وأمّا المكّي فإذا بعد عن مكّة ثمّ حجّ على ميقات من المواقيت الخمسة الآفاقية، أحرم منه وجوباً بغير خلاف يعرف، كما حكي عن غير واحد، إذ لا يجوز لقاصد مكّة التجاوز عن الميقات بغير إحرام، وقد صار هذا ميقاتاً له باعتبار وروده عليه، وإن كان ميقاته في الأصل غير ذلك، ويدلّ عليه النصوص الكثيرة كما حكي.

ثمّ إنّ المكّي المذكور لو تجاوز عن الميقات الذي كان قد مرّ عليه بدون الإحرام، فالظاهر أنّ حكمه فيه كغيره، والعلم عند الله العلاّم، وله الحمد كثيراً في البدو والختام.

أللّهمّ كما وفّقتني لهذا بفضلك العميم، فاجعله خالصاً لوجهك وتقبّله منّي إنّك أنت الجواد الكريم.

وقد فرغ مؤلّفها العاصي الراجي عفو ربّه الغني القوي، المصطفى بن محمّد هادي بن المهدى بن السيّد دلدار علي النقوي عن جمعها وتأليفها مع شدّة الاستعجال، ضحوة الخميس الثامن والعشرين من شهر الصيام، سنة تسعين بعد ألف ومئتين (١٢٩٠هـ) من هجرة سيّد الأنام عليه وآله آلاف التحية والسلام.

كتبه مرزا رسول علي بن مرزا محمّد علي غفر الله ذنوبه وستر الله عيوبه .

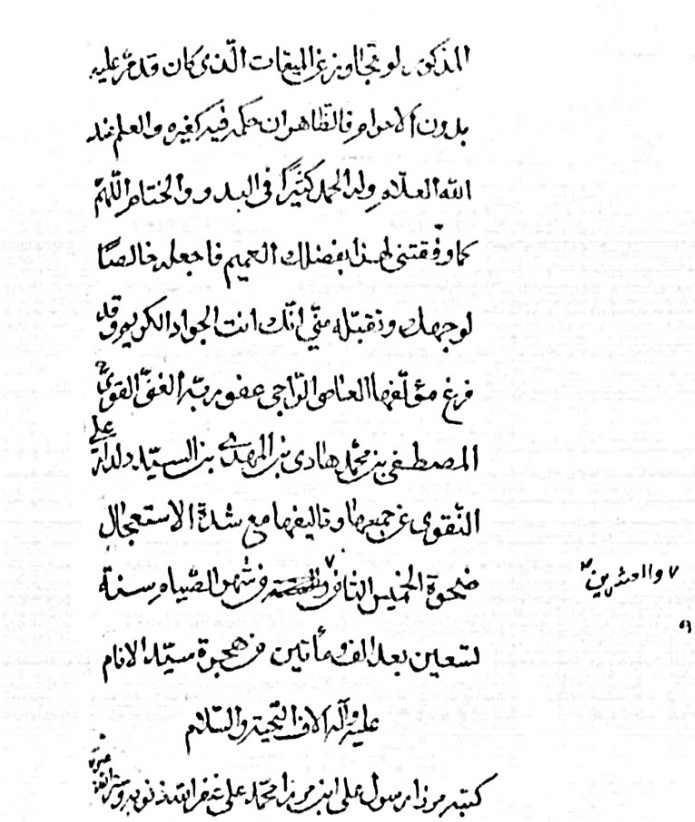

الصفحة الأخيرة من النسخة المخطوطة

مطارحات في العقيدة (٤)

سماحة العلامة السيد كمال الحيدري

إعداد: حسن الحاج

مضمون حديث الغدير

كان كلامنا فيما سبق عمّا يتعلّق بسند حديث الغدير. ولم يقع كلامٌ يستحق أن يذكر بين علماء المسلمين في أنّ سند هذا الحديث متواتر قطعيّ، وأنه لا إشكال في صدوره من النبيِّ الأكرمﷺ، وإنما وقفنا عند سند حديث الغدير؛ لأنّ الشيخ ابن تيمية عندما جاء إلى سند حديث الغدير قال عنه: إنّ هذا الحديث يشتمل على مقطعين:

المقطع الأول، قولهﷺ: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**» فهذا المقطع مشكوك ومطعون فيه وهو ضعيف، وهو آخر ما اختاره.

أما المقطع الثاني، قولهﷺ: «**اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه**» فقال: إنه كذب على رسول اللهﷺ.

وقد انتهينا إلى أنّ المقطع الأول متواتر، فهو قطعي الصدور عن رسول اللهﷺ وأن المقطع الثاني قوي الإسناد، و صحيح السند.

وموضوعنا الآن هو فيما يتعلّق بفقه ومضمون ودلالة حديث الغدير:

مفردتا المولى والأولى

وقبل الكلام عن المراد من كلمة المولى في: «فمن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه» لا بدَّ في البداية من بيان أمرين مهمّين:

الأول: ينبغي أن لا نذهب بعيداً يميناً ويساراً؛ لبيان ما هو المراد من المولى، بعد أن فسّر رسولُ اللهﷺ ذلك لفظاً أو اصطلاحاً، وبالتالي فلا معنى لأن نرجع إلى اللغة، وإن كان المولى لغوياً يحتمل عدّة معانٍ ولكن إذا اختار رسول اللهﷺ واحداً من معانيها وفسرها به، لابد أن نكتفي بتفسيره، ولا نحملها على أي معنى لغويّ مخالف لما جاء عنهﷺ.. ولا أن نعود إلى كلمات الآخرين وغير ذلك. فكما أنهﷺ في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾.[1]

عيّن أنّ مصداق أهل البيتعليهم السلام هم الخمسة: (رسول اللهﷺ والزهراء وعليٌّ والحسن والحسينعليهم السلام)، وطبّقه عليهم، فلا معنى لأن نذهب إلى كلمات اللغويين أو آيات قرآنية أخرى استعملت أهل البيت في الأزواج أو لم تستعمله، فبعد قولهﷺ وتفسيره، ليس لنا إلا أن نلتزم به.

الثاني: أنَّ رسول اللهﷺ له مقامات في القرآن الكريم، واختصَّ بها، منها:

---

١ . الأحزاب: ٣٣.

* قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾.[١]

فهو صلى الله عليه وآله قد حظي بمقام الخاتمية، وهذا يعدُّ فضيلة له صلوات الله عليه وآله اختص بها من بين سائر الأنبياء والمرسلين، لم يسبقه أحدٌ إليها ولا يلحقه أحدٌ بها، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين؛ فالأنبياء والرسل به ختموا، والنبوة به ختمت، والرسالة به ختمت، كما أنّ الشرائع التي سبقته ختمت بشريعته الباقية إلى يوم الدين...

* قوله تعالى في حقّه صلى الله عليه وآله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾.[٢]

وهذا المقام الكبير، تفرّد به صلى الله عليه وآله فلم يذكره التنزيل العزيز لأحد من الأنبياء والرسل سواء أكانوا من أولي العزم أم لم يكونوا منهم.. وهذه الأولوية التي أعطيت لرسول الله صلى الله عليه وآله إنما هي ناشئة وامتداد لأولوية الله سبحانه وتعالى. ومع أنها قد اختصّت به صلى الله عليه وآله دون غيره من الأنبياء والرسل، له أن يجعلها لغيره، كما ثبت هذا بحديث الغدير أن جعلها صلى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام.

فالمولوية الثابتة لعلي عليه السلام هي على حدّ المولوية الثابتة لرسول الله صلى الله عليه وآله والتي هي ناشئة من مولوية الله تعالى وامتداد لها، مع التفاضل. فأولويته تعالى ومولويته مطلقة، فيما مولويته صلى الله عليه وآله مقيدة وتلك ذاتية، أي لم تعطَ له سبحانه من قبل غيره، ومولويته صلى الله عليه وآله بإعطائه سبحانه وتعالى، وعشرات الفوارق الموجودة بين المولوية والولاية الثابتة لله سبحانه وتعالى، والتي لرسول الله صلى الله عليه وآله أو التي جعلت للإمام عليٍّ عليه السلام، كالفرق بين الغني المطلق والفقير المطلق ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ

---

١ . الأحزاب: ٤٠.

٢ . الأحزاب: ٦.

﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.[١]

فنحن عندما نثبت شيئاً لأحد من غير الله لايتبادر إلى الذهن أننا نريد أن نقول: هذه على حدٍّ ما ثبت لله، محال هذا!.

ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بين هذه المولوية بنحوين، أي فسرها لنا:

التفسير الأول:

فسرها بمعنى الأولوية لأنه صدّر حديث الغدير: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم... فمن كنت مولاه فعلي مولاه» والمولى هنا بمعنى الأولى.

التفسير الثاني:

أنّ المراد من المولى هو الولي قال: «من كنت وليه فعلي وليه».

إذن المولى بتفسير رسول الله صلى الله عليه وآله إما بمعنى الأولى وإما بمعنى الولي.

ولنقف هنا:

أولاً: عند المراد من الأولوية في الآية المذكورة، الذي اختصّ صلى الله عليه وآله بها دون غيره من الأنبياء والرسل.

وثانياً: عند فاء التفريع في قوله: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه» لنتعرف على أي شيءٍ فُرعت؟

فما هو المراد من الأولوية؟

ذكر علماء الأصول أنّ المتعلّق إذا حذف يدل على العموم على الإطلاق ونحو ذلك، فالقرآن الكريم لم يقل: إنّ النبيَّ أولى في القضية الكذائية بالنسبة

---

١ . سورة فاطر: ١٥.

إلى المؤمنين، وإنما قال: النبيُّ أولى مطلقاً وإلا لو كان المقصود أنه أولى في بعض الأمور دون بعض، كان عليه أن يبيّن، وحيث لم يبيّن، فإنه صلى الله عليه وآله أولى بالمؤمنين في جميع شؤونهم دينيةً كانت أو دنيويةً، بدليل أن الآية المباركة لم تقيّد أولويته بمتعلّق، والمتعلّق لم تذكره الآية أي أنه محذوف، وبالتالي فأولويته صلى الله عليه وآله عامة لا خاصة، ومطلقة غير مقيدة. وهذا ما أثبته جملة من الأعلام والمحقّقين، أشير إلى واحد منهم:

الطبري في تفسيره لهذه الآية: يقول تعالى ذكره: النبيّ محمد أولى بالمؤمنين، يقول: أحقّ بالمؤمنين به من أنفسهم، أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم، فيجوز ذلك عليهم.[١]

فكل حكمٍ صدر من النبي صلى الله عليه وآله في مؤمن سواء كان عاماً أو خاصاً في أمور دينية أو سياسية أو اجتماعية أو فردية أو شخصية، يجب الالتزام به. كما إذا وقع تعارض بين حكم الشخص على نفسه، وحكم النبيِّ صلى الله عليه وآله عليه، يقدم حكم النبيِّ صلى الله عليه وآله. وقد ورد في الحديث: «الناس مسلطون على أموالهم» إلا أنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله له أن يمنعهم من التصرف، وهكذا.

فهذا المقام الذي اختصَّ الله به نبيَّه صلى الله عليه وآله وجاء في التنزيل العزيز، لم يعط لغيره صلى الله عليه وآله. وانطلاقاً من هذا المقام راح رسول الله صلى الله عليه وآله يثبتُ لعليٍّ عليه السلام مقامات عديدة، كان منها:

«من سبَّ عليّاً فقد سبّني...».[٢]

* عن أبي الطفيل قال: سمعت أمَّ سلمة تقول: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أحبَّ عليّاً فقد أحبني، ومن أحبني فقد

١ . تفسير الطبري لأبي جعفر الطبري(ت٣١٠) تحقيق: الدكتور التركي؛ الاحزاب:٦.
٢ . مسند أحمد٦ : ٣٢٣ ، عن أمِّ سلمة.

أحب الله، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله».[١]

وأيضاً قوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي».[٢]

وهكذا هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله كما في آية المباهلة ٦١ سورة آل عمران: ﴿**فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ**﴾.

وبما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ما دام حيّاً موجوداً في الحياة الدنيا، لا معنى لأن يكون أحدٌ أولى بالمؤمنين من أنفسهم منه صلى الله عليه وآله وهنا يرد التالي:

هل أعطي مقام الأولوية القرآنية لأحدٍ بعد رسول الله أم لم يُعطَ؟

وهل ثبت لعلي عليه السلام أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟

المورد الأول:

ذكر الإمام أحمد بن حنبل: «... فِطرٌ عن أبي الطفيل قال: جمع عليٌّ رضي الله عنه الناسَ في الرحبة، ثمَّ قال لهم: أنشدُ اللهَ كلَّ امرئٍ مسلمٍ سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خُم ما سمع، لما قام، فقام ثلاثون من الناس. وقال أبونعيم: فقام ناسٌ كثيرٌ، فشهدوا حين أخذه بيده، فقال للناس: «أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم»؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «من كنت مولاه، فهذا مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه». قال: فخرجت وكأنّ في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم، فقلت له: إني سمعت علياً رضي الله عنه يقول كذا وكذا. قال: فما تُنكر؟ قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك له».

يقول العلامة شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال

١ . المعجم الكبير ٢٣ : ٣٨١.

٢ . صحيح البخاري٥ : ٢٤؛ صحيح مسلم١٥ : ١٧٥.

الشيخين غير فطر ـ وهو ابن خليفة فمن رجال أصحاب السنن، وروي له البخاري مقروناً، وهو ثقة. حسين بن محمد: هو المرّوذي، وأبو نعيم...

وأخرجه ابن حبان (٦٩٣١) من طريق أبي نعيم، بهذا الإسناد، وقرن بأبي نعيم يحيى بن آدم، وزاد قولَ أبي نعيم: فقلتُ لفطر: كم بين هذا القول وبين موته (يعني موت عليٍّ)؟ قال: مئة يوم.

وأخرجه مطولاً ومختصراً النسائي في الكبرى (٨٤٧٨) وابن أبي عاصم في «السنة»، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٧٦٢) والطبراني في الكبير (٤٩٦٨) من طرق عن فطر،...[١]

المورد الثاني:

ذكر أحمد بن حنبل: ...عن ابن عباس عن بريدة، قال: غزوتُ مع عليٍّ اليمن، فرأيتُ منه جفوةً، فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ ذكرتُ عليّاً، فتنقصتُه، فرأيتُ وجه رسول الله ﷺ يتغيّرُ، فقال: «يا بريدة، ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم»؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: «من كنتُ مولاه، فعليٌّ مولاه».

قال: إسناده صحيح على شرط الشيخين...[٢]

المورد الثالث:

... عن البراء بن عازب، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجته التي حجّ، فنزل في بعض الطريق، فأمر الصلاة جامعة، فأخذ بيد علي، فقال: ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: ألستُ أولى بكلِّ مؤمن من نفسه؟

١ . أنظر مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط:٣٢ رقم الحديث ١٩٣٠٢، الصفحات٥٦ -٥٨ مع هوامشها.

٢ . مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط: ٣٨، رقم الحديث ٢٢٩٤٥، الصفحات٣٢- ٣٤ مع هوامشها.

قالوا: بلى، قال: «فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم والِ من والاه، اللهم عادِ من عاداه».

وعلق عليه الألباني بقوله: صحيح، وأحال إلى سلسلة الأحاديث الصحيحة ح١٧٥٠.[١]

المورد الرابع:

عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول اللهﷺ وأمر بدوحات فقممن ثم قال: «كأني دعيت فأجبتُ، كأني دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني وإنهما لن يتفرقا.. إلى أن قال: إنّ الله عز وجل مولاي وأنا ولي كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي من كنت وليه فهذا وليه».

رجاله ثقات، رجال الشيخين، فالحديث صحيح أيضاً.

وهكذا جاء في موارد أخرى، منها:

* مشكل الآثار للإمام الطحاوي

قال: «كأني دعيت فأجبت، ونزل بغدير خم...».[٢]

كتاب الشريعة للإمام الآجري: فرفع النبيُّ رأسه، فقال: «ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قال: قلت: بلى، قال: «فمن كنت مولاه ...».[٣]

* ما رواه إسحاق بسند صحيح وحديث غدير خم: «ألستم تشهدون أنّ الله ورسوله أولى بكم من أنفسكم وأنّ الله ورسوله مولاكم؟ قالوا: بلى.

قال: «فمن كان الله ورسوله مولاه، فإنّ هذا مولاه.

---

١ . صحيح سنن ابن ماجة للعلامة الألباني١: ٥٦، الرواية رقم ٩٤.

٢ . مشكل الآثار ٥ : ١٨ رقم الحديث: ١٧٥٦.

٣ . كتاب الشريعة، للإمام الآجري ٤ : ٢٠٤٤.

* إتحاف الخيرة المهرة للإمام البويصري:

قال: «ألستم تشهدون...».[١]

عجيب رسول الله ﷺ يأخذ منهم الشهادة بالله وبالنبوة، إذن فالقضية بدرجة عالية من الأهمية مرتبطة بالإمامة مرتبطة بالأمور العقائدية أو بالأمور العملية، وإلا لماذا يحتاج إلى الشهادة بالله والنبوة.

هذه بعض المصادر وإلا الله يعلم أن هناك عشرات الأعلام الذين فرّعوا قضية المولى على الأولى.

العلاقة بين صدر الحديث والتفريع:

وفي كلٍّ هذا رسول الله ﷺ يتكلم عما بعد حياته. كما أنّ الفاء مفرعة على الأولوية الثابتة لرسول الله ألستم تشهدون. أي من كنت أولى به من نفسه فهذا وليه. فتثبت له الأولوية التي ثبتت لرسول الله ألستم تشهدون.

هذا وأنّ لصدر الحديث علاقة بالتفريع المتمثل بالفاء في قوله: «فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه» وإلا يكون ذكرها في صدر الحديث لغواً، فإذا لم يكن هذا التفريع دالاً على الأولوية، فلماذا يذكر هذا المقدار في صدر الحديث؟

ما هو معنى المولى في الحديث؟

لقد بيّن رسول الله ﷺ معناه عندما جعل المولى بمعنى الأولى في الحديث. فرسول الله ﷺ هو الذي فسّر المولى بالأولى بقرينة أنه ذكر أولويته، ثم فرّع عليها مولوية علي عليه أفضل الصلاة والسلام. وبعد أن بيّنه ﷺ فلا نذهب إلى كلمات اللغويين وإلى كلمات العلماء، كما لا مجال في أن نقول شيئاً في قبال ما قاله رسول الله ﷺ حتى على فرض عدم وجود حديث آخر بهذا المضمون.

---

١ . إتحاف الخيرة المهرة للإمام البويصري، طبعة دار الوطن ٧ : ٢١٠.

فحديث الغدير كاملاً فرّع مولوية عليٍّ عليه السلام على الأولوية الثابتة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

نعم لو لم يكن صلى الله عليه وآله فسر لنا ذلك؛ وأنّ المولى جاءت بمعنى الأولى، لذهبنا لا فقط إلى كلمات اللغويين، بل إلى المفسرين والأحاديث والروايات...

مع الشيخ ابن تيمية:

وأما ابن تيمية فعلى قاعدته عندما جاء إلى مسألة أولوية عليٍّ عليه السلام قال: وكذلك قوله: «أنت أولى بكل مؤمن ومؤمنة» كذب أيضاً.[1]

المولى، الأولى، مع المفسرين :

أبدأ هنا بذكر ما قاله المفسرون قبل ذكر ما قاله المحدّثون واللغويون، وما جاء في الأحاديث؛ حتى يتضح للذين راحوا يصيحون ليلاً ونهاراً أنّ القرآن لم يستعمل المولى إلا بمعنى المحبة والنصرة، ماذا هم قائلون في:

﴿مَأْوَاكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ﴾ التي جاءت في الآية ١٥ من سورة الحديد:

﴿فَٱلْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَاكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾؟!

إذن معنى هذا الجزء من الآية: أنّ النار مولى الذين كفروا، فهل ﴿مَوْلاَكُمْ﴾ هنا: أنّ النار تحبّكم وتنصركم؟

وإذا لم تكن ﴿مَوْلاَكُمْ﴾ تعني النصرة والمحبة، فما هو معناها؟

وما معنى أنّ النار مولى الذين كفروا؟

تعالوا معنا إلى عشرات التفاسير لأعلام المفسرين ومن مختلف الأجنحة الإسلامية سواء كانوا من هذا الاتجاه أو من ذاك الاتجاه. ابتداءً من القرن

---

١ . منهاج السنة تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم٤ :٢٥٦.

الثالث إلى يومنا هذا، لنرى كيف فسروا هذه المولوية للنار، وسيتضح أن ﴿مَوْلَاكُمْ﴾ هل تعني أولى بكم، أو هي ناصركم أو أنها تحبّكم؟

﴿مَوْلَاكُمْ﴾: أولى بكم. يعني أحق بكم أنتم أحق بالنار من غيركم...

مولاكم أولى بكم قال الفراء في قوله تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ يعني أولى بكم وكذا قال أبو عبيدة.[١]

وهكذا ابن كثير الدمشقي وعبارته هذه: قال: ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي هي أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيابكم وبئس المصير.[٢]

في ذيل هذه الآية المباركة: ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ يجوز أن يكون مصدراً، أي ولايتكم، أي ذات ولايتكم، وأن يكون مكاناً، أي مكان ولايتكم وأن يكون بمعنى أولى بكم...كما ذكره جملة من المفسرين، منهم:

العلامة الحلبي في الدر المصون في علوم الكتاب المكنون تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق، الجزء١٠، الآية.

وعن نخبة من كبار علماء المملكة العربية السعودية، الذين هم على نهج محمد بن عبد الوهاب، ومن المدافعين عن الشيخ ابن تيمية، هذه عبارتهم في

---

١ . أنظر كلاً من الجامع الصحيح، صحيح البخاري (ت ٢٥٦ من الهجرة) أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط٣ : ٧١٧ (الحديث ١٥)؛ كتاب التفسير سورة الحديد؛ و فتح الباري في شرح صحيح البخاري للحافظ العسقلاني تحقيق: عبد الرحمن بن ناصر البراك ١٠ : ٦٧٣ ؛ تفسير الطبري المتوفى٣١٠ من الهجرة تحقيق: الدكتور عبد المحسن التركي٢٢ : ٤٠٨ ؛ وكتاب (الهداية إلى بلوغ النهاية لأبي محمد مكي القيسي المتوفى ٤٣٧ من الهجرة) ؛ مجموعة رسائل جامعيةكلية الدراسات العالية جامعة الشارقة ١١: ٧٣٢٠ ؛ تفسير القرآن للإمام العلامة الإمام السمعاني المتوفى ٤٨٩ من الهجرة ٥ :٣٧١؛ تفسير البغوي معالم التنزيل للإمام البغوي المتوفى ٥١٦ من الهجرة، دار طيبة ٤ : ٣٢٦؛ زاد المسير في علم التفسير، للإمام ابن الجوزي المتوفى ٥٩٧ من الهجرة ٨ : ١٦٧.

٢ . تفسير القرآن العظيم، دار عالم الكتب١٣ :٤٢١.

ذيل هذه الآية المباركة من سورة الحديد: «فاليوم لا يقبل من أحد منكم أيها المنافقون عوض ليفتدي به من عذاب الله ولا من الذين كفروا بالله ورسوله مصيركم جميعاً النار هي أولى بكم منكم بمنزل».[١]

«مأواكم النار هي مولاكم أي مستقركم ومكان إيوائكم النار وهي أولى بكم لخبث نفوسكم» هذا ما جاء في أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، تأليف أبي بكر جابر الجزائري الواعظ بالمسجد النبوي الشريف الناشر مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة٥ : ٢٦٦.

وأما القرطبي فيقول: ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي أوْلى بكم، والمولى من يتولى مصالح الإنسان، ثم استعمل فيمن كان ملازماً للشيء. وقيل: أي النار تملك أمرهم؛.[٢]

إذن معنى المولى في الآية هو الأولى، وهو من يتولى مصالح الناس،.. وهو معنى المولى في الحديث: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه». وبالتالي فليس هي المحبة أو النصرة.

وكذا تملك أمرهم، وهومعنى الأولوية التي أشرنا إليها معنى النار مولى الذين كفروا يعني تملك أمرهم وأنّ الإنسان يملك أمر غيره من المؤمنين، و هي الإمامة أو الولاية السياسية. قال: أي النار تملك أمرهم بمعنى أنّ الله تبارك وتعالى يُرَكِّب فيها الحياة والعقل فهي تتميز غيظاً على الكفار، ولهذا خوطبت في قوله تعالى:

---

١ . التفسير الميسر إعداد نخبة من العلماء، المملكة العربية السعودية وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوى والإرشاد مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الأمانة العامة للشؤون العلمية في ذيل هذه الآية المباركة من سورة الحديد (ص٥٣٩).

٢ . أنظر الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي تحقيق الدكتور التركي ج٢٠ مؤسسة الرسالة، الآية.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾.

وهذا الإمام الشوكاني بعد أن يقول: ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي هي أولى بكم، يذكر التالي: والمولى في الأصل من يتولى مصالح الإنسان.[١]

فتحصل إلى هنا:

* أنّ هناك شاهداً قرآنياً يثبت لنا هذه الحقيقة وهي أن المولى استعمل وأريد به الأولى كما رأينا في كلمات أعلام المفسرين من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين.

* أنّ المراد من المولى في الحديث هو الأولى بدليل تفريع النبيّ صلى الله عليه وآله المولى على الأولى، الذي ورد في صدر الحديث.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله بيّن هذه المولوية وفسرها لنا بنحوين:

التفسير الأول:

فسرها بمعنى الأولوية لأنه صدّر حديث الغدير: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم.. فمن كنت مولاه فعلي مولاه» هذا التفسير الأول وهو أنّ المولى هنا بمعنى الأولى.

التفسير الثاني:

أنه المراد من المولى هو الولي قال: «**من كنت وليه فعلي وليه**».

إذن المولى بتفسير رسول الله صلى الله عليه وآله إما بمعنى الأولى وإما بمعنى الولي.

المولى والمتولي:

إنّ كلمة المولى، كما تحاول بعض الدراسات أن تصور للقارئ أن كلمة المولى

---

١ . أنظر فتح القدير، تأليف الإمام الشوكاني المتوفى بصنعاء١٢٥٠ من الهجرة ٥ :٢٢٧.

لم تأتِ إلا بمعنى الحبّ والنصرة والمحبة ونحوها، فالأصل في هذه الكلمة المحبة، ولازمه أن من يدعي أنّ لفظ المولى يدل على الإمامة السياسية، والمتولي لشؤون الأمة، لابد أن يقيم دليلاً وقرينة على ذلك؛ لأنّ كلامه هذا على خلاف أصل هذه الكلمة وهي المحبة. ومعنى هذا أنّ رسول الله ﷺ عندما قال: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**» يعني من كان يحبني فليحب عليّاً. وانتهت القضية، ومن يخالف هذا الكلام، ويدعي أن للمولى معنىً آخر غير المحبة، عليه أن يقيم الدليل، فيما الذي يقول بأنّ المولى بمعنى المحبة، لا يحتاج إلى دليل..

إذن لو ثبت أنّ كلمة مولى أصلاً معناها المحبة إذن الحق معه، أما إذا ثبت أنّ لها معاني أخرى وتستعمل استعمالات أخرى فكل من أراد أن يقول بمعنى المتولي للأمور، فعليه أن يقيم الدليل، كما أنّ من يقول بمعنى المحبة لابد أن يقيم دليلاً على ذلك، ولا يمكن أن يرسلها إرسال المسلمات...

فلنرجع جميعاً إلى كتب اللغة وكلمات العلماء لنرى أنّ المولى له معنىً آخر غير المحبة والنصرة أو لا؟

قبل أن أبيّن ذلك، لا بدَّ لي من أن أبيّن أنّ مشكلتنا ليس مع الاتجاه العام من المسلمين من علماء أهل السنة، وإنما مشكلتنا مع هذا المنطق:

الذي جاء في كتاب (الرياض الندية على شرح العقيدة الطحاوية): الرافضة بأي شيء يطعنون فيه (يعني في أبي بكر) لما أنهم رووا فيما يرونه أنّ علياً هو الإمام، في الحديث الذي يسمونه حديث الغدير، مع أنّ أكثره كذب، وفيه: أنه ﷺ قال: «**من كنت مولاه فإنّ علياً مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه**».

نقول: هذا صحيح أنّ علياً من النبي ﷺ بمنزلة هارون من موسى، وهو مولى المسلمين، وكذلك نقول في أبي بكر وفي بقية الخلفاء وسائر الصحابة، هم

موالي المسلمين، وليست الولاية إلا ما تقتضيه المحبة...[١]

وكأنّ حديث الغدير لا مسانيد له، وإنما هو من مبتدعات الشيعة فمشكلتنا مع هذا المنطق، الذي راح يدلس بشكل رسمي على كل علماء المسلمين الذين أثبتوا تواتر حديث الغدير ولو على حدّ قوله: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**» حتى لو لم تكن زيادة حتى ابن تيمية الذي قال: إنه مطعون فيه.. في النتيجة قال: بعض حسنه، ولكن هذا الرجل تجاوز هذا، فهو ملكي أكثر من الملك، فما جاء به إطلاقات واحدة وراء الأخرى وكأن رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان عارفاً أن يجعل ما قاله في عليٍّ عليه السلام، في أبي بكر وفي بقية الخلفاء، أو أنه صلى الله عليه وآله نسي أن يتمم الحديث فجاء هذا الرجل ليتمم كلامه صلى الله عليه وآله ثمَّ يقول: معنى مولى يعني المحبة يعني من أحبني فليحب علياً من كان يحبني فليحب علياً فإذن أولاً: ضعف السند وثانياً: فرض أن المضمون... ولم يقم أي دليل لو كان يعلم ما يقول، فلو كانت القضية هي المحبة وتشمل جميع الصحابة وجميع المسلمين لماذا قالها الرسول صلى الله عليه وآله فقط لعليٍّ عليه السلام، ألا كان له أن يعمم؟!

والآن أمامكم أحد أعلام الوهابية المعاصرين أو أتباع محمد بن عبد الوهاب وهو محمد بن صالح العثيمين حين سئل فضيلة الشيخ عن قول الإنسان إذا خاطب ملكاً يا مولاي فأجاب بقوله: الولاية تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول ولاية مطلقة وهذه لله عزّ وجلّ، وهذه لا يشاركه فيها غيره.

القسم الثاني: ولاية مقيدة مضافة، فهذه تكون لغير الله ولها في اللغة معانٍ كثيرة: منها: الناصر والمتولي للأمور والسيد.[٢] هذا هو المورد الأول للشيخ.

١ . أنظر الرياض الندية على شرح العقيدة الطحاوية، للإمام بن العز الدمشقي تعليق فضيلة الشيخ الدكتور عبدالله عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين وخرّج أحاديثه الدكتور طارق الخويطر دار الصميعي، للنشر والتوزيع ٤ :٦٠٠.

٢ . مجموع فتاوى ومسائل فضيلة الشيخ، دار الثريا، للنشر ٣ : ١٣٦ رقم السؤال٥٠٧.

فالناصر والمتولي للأمور والسيد وأنا لا أتصور بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مقصوده هنا السيد، إما مقصوده الناصر وإما مقصوده المتولي... والذي يتولى أمور المسلمين يسمى مولى.

فيما أن هذه المفردة تتضمن معاني عديدة، فعلى كلّ من يذهب إلى معنى منها دون المعنى الآخر، أن يقيم دليلاً على ما يختاره منها. فليس الأصل فيها الناصر والمحبة والنصرة ونحو ذلك المتولي.

أما المورد الثاني للعثيمين فهو فيما ذكره في «القسم الثاني ولاية مقيدة مضافة وهذه تكون لغير الله ولها في اللغة معانٍ كثيرة منها الناصر والمتولي للأمور».[1]

ثم يقرأ يقول: (وقال فيما يروى عنه: «من كنت مولاه فعلي مولاه» ويقال للسلطان ولي الأمر إلى أن يقول وعليه يعرف) التفتوا لهذه الجملة [وعليه يعرف أنه لا وجه لاستنكار بعض الناس لمن خاطب ملكاً بقوله مولاي] يعني أنت إذا قلت لملك: إنه مولاي، يقول هذا غير مستنكر؛ لأنّ المراد بمولاي أي المتولي أمري.

إذن فرسول الله عندما قال: «**من كنت مولاه**» كان مقصوده من كان يحبني وأحبه!

وهو في هذا الجوّ وفي أخريات حياته يقول: «دعيت فأجبت» ثم يقول: «الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، فمن كنت مولاه فعلي مولاه، أيعقل أنه يريد المحبة؟! وهل كان عليٌّ عليه السلام غير محبوب حتى يطلب منهم ذلك؟! وهل هذه المعاني لكلمة مولى أو مولاي كانت غائبةً عنه صلى الله عليه وآله حين قال قوله في يوم الغدير؟!

فاتضح بشكل واضح أنّ المولى يستعمل بمعنى المتولي لأمور الناس أي الإمامة أوالولاية السياسية. وعلى هذا الأساس لا يحق لأحد أن يأتي ويقول:

---

١ . القول المفيد على كتاب التوحيد، للعثيمين، دار ابن الجوزي٢: ٣٤٣.

إنّ كلمة مولى في حديث الغدير تعني الناصر والمحب نعم له أن يحتمل هذا المعنى فلا يحق لأحد أن يقول يراد هذا إلا بدليل ونحن ندعي أنّ الدليل يقول: إنّ المولى يعني المتولي للأمور وقد أشرنا إلى الدليل الأول، وهو دليل الأولوية.

والدليل الثاني، وهو دليل: «**من كنت وليه فعلي وليه**».

وهناك شواهد روائية استعملت لفظة المولى بمعنى تولي الأمور، أكتفي بروايتين منها:

عن البراء بن عازب قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله تحت شجرتين فصلى الظهر، وأخذ بيد عليٍّ فقال: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم»؟! قالوا: بلى قال صلى الله عليه وآله: «ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه»؟! قالوا: بلى قال: فأخذ بيد عليٍّ عليه السلام، فقال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه».[1]

هذا المقدار ذكرناه سابقاً، ولكن محل الشاهد في هذه الجملة التي أشرنا إليها وذكرنا أننا سنقف عندها لاحقاً.

١ . مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق: شعيب الارنؤوط ٣٠ : ٤٣٠.

قال: [فلقيه عمر بعد ذلك] يعني بعد واقعة الغدير، بعد ما سمع من رسول الله ﷺ ما قاله في حقّ عليٍّ عليه السلام [فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب] هذه الجملة الأولى، ثمَّ جاءت الثانية [أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة] في ذيل الحديث (رقم ٢) يقول: [صحيح لغيره وهذا إسنادٌ ضعيف من أجل علي بن زيد وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين] محل الشاهد عبارته: صحيح لغيره.

ذكرنا مراراً وتكراراً أنّ المراد من صحيح لغيره كما قال العلامة العثيمين في كتابه (مصطلح الحديث محمد بن صالح العثيمين) عرف الصحيح لغيره قال: [الحسن لذاته إذا تعددت طرقه] يوجد لهذا الحديث أكثر من سند، له طرق متعددة وكلها حسان. وجميعها حسنة لذا قال: [وإنما سمي صحيحاً لغيره؛ لأنه لو نظر إلى كل طريق بانفراد لم يبلغ رتبة الصحة، فلما نظر إلى مجموعها قوي حتى بلغها] صار بمستوى الصحة.

وفي (ص١٦) يقول: [وتفيد أخبار الآحاد سوى الضعيف] يعني الضعيف مستثنى، أما لصحيح لذاته والصحيح لغيره والحسن لذاته والحسن لغيره مشمول.. يقول: [يجب العمل به بما دلت عليه بتصديقه إن كان خبراً وتطبيقه إن كان طلباً] إذا كان من الأمور العقائدية يجب الاعتقاد به وإذا كان من الأمور الفقهية يجب العمل به.

ثمَّ ماذا يدل كلام الخليفة الثاني لعليٍّ عليه السلام عندما قال له: «هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة»؟ فهل فهم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب من كلمة مولى معنى المحبة، وقدّم تهنئته، وبدأ يحبّه، وكأنه لم يكن قبل هذا يحبُّ علياً، وبعد كلام رسول الله ﷺ ثبت لعمر أنه يجب أن يحبّ علياً، و قبل ذلك لم يثبت؟ أيقبلون هذا في الخليفة الثاني؟! [فلقيه عمر

بعد ذلك] ويقول له: أصبحت وأمسيت ولازمه أنّ عمر بن الخطاب لم يكن قد سمع من رسول الله ﷺ: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» هذا الحديث بعد أن ينقله يقول: [هذا حديث صحيح متفق عليه ورواه الجمُّ الغفير].[١]

ولازمه أيضاً أنّ الخليفة الثاني عاش مع رسول الله ﷺ وكان قريباً منه، وهو لا يعلم أن ميزان الحبّ والبغض، وأن ميزان الإيمان والنفاق؛ هو حبُّ وبغضُ عليٍّ عليه السلام والآن عرف أن الميزان هو حبّ وبغض عليٍّ...

وقد نزل القرآن الكريم قبل ذلك: ﴿**قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾، أليس عليٌّ عليه السلام من أهل القربى، إلا أن يقولوا: إنّ عمر لم يكن يعلم أنّ عليّاً من أهل القربى؟! أيوافق أحد على هذا المنطق؟! وماذا يستطيع أن يجيب أي منصف عن مثل هذه التساؤلات حول (أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة)؟! كما أنّ غير الخليفة الثاني، من الصحابة راح يبارك لعليٍّ عليه السلام الولاية ويسلّم عليه بها... فمن المحال أن يكون المراد من المولى هنا معنى المحبة.

فعن رياح بن الحارث قال: جاء رهط إلى علي عليه السلام بالرحبة في العراق، فقالوا: السلام عليك يا مولانا قال كيف أكون مولاكم وأنتم قومٌ عرب؟

قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه فإنّ هذا مولاه»، قال رياح: فلما مضوا تبعتهم فسألت من هؤلاء قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري.[٢]

فلماذا يستكثرون علينا ويتهموننا بأننا أهل بدعة؛ لأننا نقول لعليٍّ عليه السلام:

---

١ . أنظر فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق وصي الله بن محمد عباس ٢ : ٦٦٩.
٢ . مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط ٣٨: ٥٤١ رقم الرواية ٢٣٥٦٣.

مولانا. ونسلّم عليه بالمولوية إنه ما تعلمناه من رسول الله ﷺ ﴿**ما آتاكم الرسول فخذوه**...﴾ وهو ما فعله الصحابي أبو أيوب الأنصاري ومن معه!

والرواية أيضاً وردت في (سلسلة الأحاديث الصحيحة٤ :٣٤٠ فليس فقط العلامة شعيب الأرنؤوط، وإنما العلامة الألباني أيضاً، وفي الأخير يقول: [قلت: وهذا إسناد جيد رجاله ثقات]. وكذلك انظر المصنف للإمام ابن أبي شيبة، تحقيق محمد عوامة... وغير ذلك.

إذن بشكل واضح وصريح بما لا مجال للريب فيه أنّ المولى حتى لو لم نقبل القرينة الأولى أو القرينة الثانية يتضح من كلام عمر بن الخطاب أنّ المولى يراد به المتولي للأمور بشهادة أنكم تقولون للملك يا مولانا وإلا لو كانت بمعنى المحبة لا معنى لأن يقول: أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة. وإذا لم تكن من مختصات علي بن أبي طالب عليه السلام، أي أنها لجميع المسلمين ولجميع الخلفاء ولجميع الصحابة فلماذا لم يقلها رسول الله ﷺ لأحدٍ منهم؟ ولماذا لم يهنأ عمر غير عليٍّ عليه السلام بها من أصحاب رسول الله ﷺ؟

المولى و الولي، مع اللغويين:

إنّ المولى والولي بمعنى واحد من حيث البحث اللغوي، فهذا ابن منظور قال: والولي والمولى واحدٌ في كلام العرب...

وفي الحديث: أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاها فنكاحها باطل، وفي رواية: وليها، أي متولي أمرها...: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بغَيْرِ إِذْنِ وَلِيّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ».

«بغير إذن مولاها» «بغير إذن وليها». فهما بمعنىً واحد.

وروى ابن سلام عن يونس قال: المولى له مواضع في كلام العرب منها

المولى في الدين وهو الولي؛ وذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ﴾. أي لا ولي لهم، ومنه قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كنت مولاه فعلي مولاه» أي من كنت وليه...[١]

ونحن إذا رجعنا إلى آية الكرسي: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾، نجدها تشير إلى ما قلناه حول معنى الولي:

* ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ متولي أمورهم ﴿يُخْرِجُهُمْ﴾ بهدايته وتوفيقه ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي ظلمات الجهل والذنوب ﴿إِلَى النُّورِ﴾ أي نور الهدى والمغفرة...[٢]

* وقد جاء تفسير (الولي) بمعنى (ولي الأمر) في تفسير الرازي حيث قال: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيه مسألتان. المسألة الأولى: الولي فعيل بمعنى فاعل من قولهم: ولي فلان الشيء يليه ولاية فهو وال و ولي. وأصله من الولي الذي هو القرب، قال الهذلي: [وعدت عواد دون وليك تشغب] ومنه يقال: داري تلي دارها أي تقرب منها، ومنه يقال للمحب المعاون: ولي، لأنه يقرب منك بالمحبة والنصرة ولا يفارقك، ومنه الوالي لأنه يلي القوم بالتدبير والأمر والنهي ومنه المولى. وجاء تفسير (الولي) بمعنى (متولي الأمر) في تفسير النيسابوري حيث قال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. أي متولي أمورهم وكافل مصالحهم. فعيل بمعنى فاعل.[٣]

* ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾. اللغة: الولي: ... وهو القرب من غير فصل، وهو الذي يكون أولى بالغير من غيره، وأحق

---

١ . لسان العرب، ابن منظور ١٥ : ٤٠٨.

٢ . بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٦٤ : ٢٣.

٣ . خلاصة عبقات الأنوار، السيد حامد النقوي ٨ :١١٣ ١١٤.

بتدبيره ومنه: الوالي، لأنه يلي القوم بالتدبير، وبالأمر والنهي، ومنه: المولى من فوق، لأنه يلي أمر العبد بسدّ الخلة، وما به إليه الحاجة.[١]

ثم يأتي العلامة ابن منظور فيقول: «وقول عمر لعليٍّ عليه السلام أصبحت مولى كل مؤمن أي ولي كل مؤمن» إذن أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن أي أصبحت وليي وولي كلّ مؤمن.[٢]

ورسول الله صلى الله عليه وآله مرة قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وأخرى قال: «من كنت أنا وليه فعلي وليه».

الرواية عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله عن حجة الوداع ونزل بغدير خم أمر بدوحات فقممن... إلى أن يقول: «كأني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي أهل بيتي فانظروا...» إلى أن يقول: «إن الله عزّوجلّ مولاي، وأنا ولي كل مؤمن»، ثم أخذ بيد عليٍّ رضي الله عنه فقال: «من كنت وليه فهذا وليه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه» فقلت لزيد زيد بن أرقم: سمعته من رسول الله؟

فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينه وسمعه بأذنيه...

قال أبو جعفر (الطحاوي): فهذا الحديث صحيح الإسناد، لا طعن لأحد في أحد من رواته فيه، إن كان ذلك القول كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بغدير خم في رجوعه من حجه إلى المدينة لا في خروجه لحجه من المدينة.[٣]

ثمَّ إنّ البعض يحاول أن يجعل هذه الرواية قبل الوصول إلى مكة قبل الحج ولكن الطحاوي يؤكد أن هذه كانت بعد الخروج من مكة، فالبعض يحاول

١ . تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي ٢ : ١٦٣ ١٦٤.

٢ . أنظر لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، دار إحياء التراث، بيروت في مادة ولي ١٥ : ٤٠١.

٣ . شرح مشكل الآثار، للإمام الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٥ : ١٨.

أن يربط هذه القضية بقضية خلاف بين عليّ عليه السلام و عدد من الصحابة، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «**من كنت مولاه فهذا علي مولاه**».

وتعالوا معنا إلى العلامة شعيب الأرنؤوط، في ذيل الحديث يقول: رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أن حبيب بن أبي ثابت مدلّس وقد عنعن... ثمَّ يقول شعيب الأرنؤوط: فالحديث صحيح كما يقول الإمام الطحاوي.

ثم يأتي العلامة شعيب الأرنؤوط في تعليقة أخرى له في صحيح ابن حبان١٥: ٣٧٦ بعد أن ينقل الرواية أيضاً بنفسها يقول: إسناده حسن غير فطر بن خليفة وهو صدوق... إلى أن يقول في (ص٣٧٧): وهذا حديثٌ حسن صحيح...

إذن هذا هو المورد الأول.

أما المورد الثاني فهو في رواية طويلة أنا أقرأ بعضها [قال علي رضي الله عنه: «أنشد الله من سمع النبيَّ صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم الله وليي، وأنا ولي المؤمنين من كنت مولاه فعلي مولاه».

أنظروا إلى التسلسل إذن نفس الولاية الثابتة لله تعالى على الناس ثبتت لرسوله صلى الله عليه وآله على الناس وثبتت لعليٍّ عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على الناس.[1]

فهل يجرأ أحد ويقول: إنّ ولاية الله على الناس فقط هي المحبة والنصرة، وهذا هو القرآن يقول: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ يعني فقط بينهما محبة، أو تدبير وإدارة ولاية وسلطة...

وممن أكد صحة هذا الخبر الذهبي وابن كثير، بعد أن ينقل الرواية يقول: وهذا حديث صحيح قال شيخنا أبو عبدالله الذهبي: وهذا حديث صحيح.

---

١ . كتاب الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما للإمام العلامة عبد الرحمن الحنبلي المقدسي، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبدالملك بن عبدالله بن دهيش٢ : ١٠٦ رقم الرواية ٤٨١.

في الحاشية يقول المحقق: أخرج هذا الحديث الحاكم في المستدرك من طريق وقال هذا حديث صحيح و وافقه الذهبي.[١]

قال: «**من كنت وليه فهذا وليه اللهم والِ من والاه..**». يقول: إسناده صحيح... ثم يذكر عشرات المصادر، قلت: أخرجه أحمد وابن حبان والبزار والطبراني وابن أبي عاصم في السنة والهيثمي في مجمع الزوائد...[٢]

بالإمكان الرجوع إلى تحقيق الداني بن منير آل زهوي، فبشكل مفصل أشار إلى سند هذه الصيغة: «**من كنت وليه فهذا وليه**».

إذن الصيغة الثانية تثبت لنا الإمامة السياسية والقيادة السياسية والخلافة السياسية في تدبير شؤون أمر المسلمين بعد رسول الله ﷺ لا الخلافة العلمية، لا الخلافة الدينية فقط، كما يحاول البعض أن يتلاعب حين يقول: «نحن نقبل الإمامة الدينية لعليٍّ...».

إلى هنا استطعنا من خلال طريقين أن نثبت أنّ حديث الغدير يثبت الإمامة السياسية

الطريق الأول: أنّ مولى بمعنى أولى صيغة مفعل على صيغة أفعل.

الطريق الثاني: أنّ صيغة مولى بمعنى ولي، على صيغة فعيل.

وهناك عوامل متعددة لاختلاف الصيغة، و سواء كان الحديث بصيغة أفعل أو كان بصيغة فعيل فهو بمعنى واحد.

---

١ . أنظروا البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير تحقيق: الدكتور عبدالله عبدالمحسن التركي٧: ٦٨٦.

٢ . خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، للإمام الحافظ النسائي ٧١- ٧٢ رقم الحديث ٧٩ باب قول النبيِّ: «من كنت وليه فعليّ وليه».

الصدُّ والإخراجُ

محسن الأسدي

﴿... وَصَدٌّ عَن سَبيلِ ٱللَّهِ وَكُفرٌ بِهِ وَٱلمَسجِدِ ٱلحَرَامِ وَإِخرَاجُ أَهلِهِ مِنهُ أَكبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾

هذا جزءٌ من الآية المباركة التالية:

﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهرِ ٱلحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُل قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ... . وَٱلفِتنَةُ أَكبَرُ مِنَ ٱلقَتلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُم حَتَّىٰ يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُم إِنِ ٱستَطَاعُوا وَمَن يَرتَدِد مِنكُم عَن دِينِهِ فَيَمُت وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَت أَعمَالُهُم فِي ٱلدُّنيَا وَٱلآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصحَابُ ٱلنَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[1]

الوقوف عند المسجد الحرام، وبالذات عند فقرتي الصدِّ عنه وإخراج أهله منه، هو ما أتمنى التوفيق فيه في المقالة هذه. وبدايةً هناك:

---

١ . البقرة: ٢١٧.

أولاً: أمران محرمان:

الزمان: الشهر الحرام.

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَاوٰتِ وَٱلأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.[1]

فالأشهر الحرم الأربعة: ثلاثة متتابعة هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ويبدو أنّها حرمت تسهيلاً للحجيج وأماناً لهم، حتى يؤدوا مناسكهم في أجواء سالمة آمنة تطمئن فيها قلوبهم، فليس فيها غزو ولا عدوان ولا تجاوز أو اعتداء أو أذى.. وقد صرّح ابن عاشور بأنَّ حرمتها جاءت لوقوع الحج فيها ذهاباً ورجوعاً وأداءً ..

وأنَّ الآية دليل على تحريم القتال في الأشهر الحُرم، وتقرير لما لتلك الأشهر من الحرمة التي جعلها الله لها منذ زمن قديم، لعله من عهد إبراهيم عليه السلام فإن حرمة الزمان تقتضي ترك الإثم في مُدَّته.

وهذه الأشهر هي زمن للحج ومقدماته وخواتمه وللعمرة كذلك، فلو لم يحرم القتال في خلالها لتعطل الحج والعمرة، ولذلك أقرها الإسلام أيام كان في بلاد العرب مشركون؛ لفائدة المسلمين وفائدة الحج، قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ...﴾.[2]

وشهر واحد مفرد وهو رجب وكان في الجاهلية شهر العمرة وقد حرَّمته مضر كلها؛ ولذلك يقال له: رَجبُ مضر. فالآية قررت حرمة القتال في الأشهر الحرم لحكمة تأمين سبل الحج والعمرة، إذ العمرة أكثرها في رجب، هذا ما

١ . التوبة: ٣٦.

٢ . المائدة: ٩٧.

ذكره ابن عاشور أيضاً.[١]

ومعنى الحرم: أن المعصية فيها أشد عقاباً، والطاعة فيها أكثر ثواباً، والعرب كانوا يعظمونها جداً حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه لم يتعرض له.[٢]

وهذا المعنى للحرمة يشمل الزمان الحرام كالأشهر الحرم، وأيضاً المكان الحرام كالمسجد الحرام.

و المقطع القرآني أعلاه، ووفقاً لسبب النزول، يتحدث عن:

الزمان: هو شهر رجب، وهو واحد من الأشهر الأربعة المحرمة.

المكان: المسجد الحرام

المكان: هو المسجد الحرام، وله أسماء أخرى عديدة: البيت، أو البيت الحرام، أو الكعبة، أو البيت المعمور، و العتيق، و البلد .. وهو ما صرحت به آيات قرآنية كريمة، منها:

البيت:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً...﴾.[٣]

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ...﴾.[٤]

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ...﴾.[٥]

ففي هذا قوام لمصالحهم ديناً ودنياً ...

وفي آيات غيرها.

---

١ . ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، الآية: ٢١٧ البقرة.

٢ . تفسير مفاتيح الغيب للرازي، الآية: ٣٦ التوبة.

٣. البقرة: ١٢٥.

٤ . البقرة: ١٢٧.

٥ . المائدة: ٩٧.

البيت العتيق:

﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ * لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.[١]

البيت المعمور:

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾.[٢]

البلد:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً ...﴾.[٣]

وثانياً:

إنَّ هذه الحرمة مكاناً وزماناً تعطل في حالة انتهاكها، صحيح أنّ القتالَ في المسجد الحرام محظور ومحرمٌ، وانتهاكه أمرٌ خطيرٌ، وصحيح أن ذلك القتال محرمٌ وكبيرٌ في هذه الأشهر، لكن هناك أربعة أمور ارتكبت من قبل المشركين هي أعظم عند الله تعالى من حرمة القتال في الشهر الحرام، وهي:

- **الصدُّ عن سبيل الله تعالى**.
- **الكفرُ به**.
- **الصدُّ عن المسجد الحرام**.
- **إخراجُ أهله منه**.

فهذه الأربعة هي الأكبر عند الله .

والذي يبدو أنَّ هذه ذكرت أفعالاً خطيرةً ارتكبها المشركون في مكة، تُنهي

---

١ . الحج: ٢٩، ٣٣.
٢ . الطور: ٤.
٣ . البقرة: ١٢٦.

الحرمة للمكان الحرام وللزمان الحرم. وإلا فإنَّ ما فعلوه كثيرٌ من تعذيبٍ وقتلٍ وتشريدٍ وسلبٍ للأموال، وانتهاكٍ لحرمات المؤمنين... والذي يفعل كلَّ هذا ليس من حقّه أن يعترض على قتالٍ قد يكون حدث في شهر حرام، أو في مكان حرام؛ فالصدُّ عن سبيل الله والكفر بالله وإخراج أهل المسجد الحرام من الحرم أكبرُ عند الله، والشرك والكفر أعظمُ، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾.

وأما ثالثاً:

فكلُّ ما أريده من هذا المقطع القرآني، الذي يتوفر على أمور، هو الوقوف عند أمرين منها يخصّان المسجد الحرام، والمتمثلين بعملين أوقعهما مشركو مكة واقترفتهما أيديهم ضدَّ هذا المسجد المبارك، والذي يمتلك قدسيّةً كبيرةً، ودوراً عظيماً في حياة المسلمين الدينية والدنيوية، عبر صدّ الناس عنه، وعبر إخراج أهله منه، وقد ترتبت على فَعلَتِهم هذه عواقبُ عديدةٌ.. وحيث إنَّ هذا المقطع، نزل بسبب ما حصل لسرية عبدالله بن جحش وقتلهم عمرو بن الحضرمي وأخذهم أموالهم وكان ذلك على ما قيل في شهر رجب، وبعد أن راح المشركون يتهمون المسلمين بأنهم بدأوا القتال بالأشهر الحرم وقد تعمدوا التغافل عما فعلوه من جرائم بعضه أعظم مما عيروا به المسلمين، كما في قوله تعالى: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: صدّ المشركين لمن يريد الإيمان بالله وبرسوله وفتنتهم لمن آمن وسعيهم في ردّهم عن دينهم وكفرهم الحاصل في الشهر الحرام والبلد الحرام الذي هو بمجرده كافٍ في الشرِّ والضرر وانتهاك الحرمات، فكيف وقد كان في شهرٍ حرامٍ وبلدٍ حرامٍ؟!

﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ﴾ أي: أهل المسجد الحرام وهم النبيُّ ﷺ وأصحابه فهم الأحقُّ به، وهم عُمّارُ المسجد على الحقيقة وليس غيرهم من المشركين

فأخرجوهم ﴿مِنْهُ﴾ ومنعوهم من الوصول إليه فكل واحدة من أفعالهم هذه هي ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ في الشهر الحرام والذي راحوا يعيبونه على بعض المسلمين، فكيف وقد اجتمعت كلها فيهم، وغدت سلوكَهم اليومي الذي يمارسونه ضدّ المؤمنين برسالة الله تعالى ورسولهﷺ؟!

سبب النزول:

أما عن سبب النزول، فقد ذكر الشيخ الطبرسي في مجمع البيان، وهو يتعرض لتفسير هذه الآية ٢١٧ من سورة البقرة التالي: «قال المفسرون: بعث رسول الله سريّة من المسلمين، وأمَّر عليهم عبدالله بن جحش الأسدي، وهو ابن عمّة النبيِّﷺ، وذلك قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمه المدينة، فانطلقوا حتى هبطوا نخلة، فوجدوا بها عمرو بن الحضرمي في عير تجارة لقريش في آخر يوم من جمادى الآخرة، وكانوا يرون أنه من جمادى وهو رجب، فاختصم المسلمون، فقال قائل منهم: هذه غرة من عدو وغُنْم رزقتموه، ولا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا؟! وقال قائل منهم: لا نعلم هذا اليوم إلا من الشهر الحرام، ولا نرى أن تستحلوه لطمَع أشفيتم عليه (أي أشرفتم عليه)، فغلب على الأمر الذي يريدون عرض الحياة الدنيا، فشدوا على ابن الحضرمي، فقتلوه وغنموه عيره، فبلغ ذلك كفار قريش، وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المشركين والمسلمين، وذلك أول فيء أصابه المسلمون، فركب وفدُ كفار قريش حتى قدموا على النبيِّﷺ فقالوا: أيَحلّ القتال في الشهر الحرام ؟! فأنزل الله هذه الآية».

فالذي يظهر أن المسلمين ظنوا أن هذا اليوم الذي وقع منهم القتال فيه هو آخر يوم من جمادى الآخرة؛ لذلك ندموا على ما فعلوه بعدما تبين لهم

خطؤهم، حيث سقط في أيديهم، وظنوا أنهم هلكوا حتى أنزل الله تعالى هذه الآية، التي يمكن استفادة براءتهم منها، بعد أن وجد المشركون فيما حدث في سرية نخلة فرصة لاتهام المسلمين بأنهم قد انتهكوا حرمة الشهر الحرام.. فقد صرحت الآية بأن القتال في الشهر الحرام إثم كبير، ولكن ما عليه المشركون أكبر وأعظم؛ فهم الذين انتهكوا حرمة البيت ابتداء، بإخراج أهله منه؛ وهم من صدَّ عن سبيل الله والبيت الحرام، ولذلك كان على المسلمين أن يقاتلوهم في أي مكان وزمان.

إنَّ مشركي مكة لم يكتفوا بأن يكون كفرهم وشركهم نظرياً أو عقيدةً مجردةً عن الفعل، بل راحوا يحولونه إلى سلوكٍ فعليٍّ لهم، يمارسونه مع من يختلفون معهم بالعقيدة والرأي والسلوك، بأن حوّلوا كفرهم وشركهم إلى عدوان بغيض وعمل سيءٍ، فاتخذوا الصدَّ عن سبيل الله بشكل عام، وعن المسجد الحرام بشكل خاص ديدنَهم وعملَهم الدائب والمستمر؛ هذا ما نجده في التعبير القرآني، فكلمة «كفروا» في الآية:٢٤ الحج: ﴿**إن الذين كفروا**﴾ جاءت بصيغة الماضي، بينما كلمة «يصدون» ﴿**وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾، و في الآية:٣٤ الأنفال، وهكذا في آيات أخرى: ٤٥ ،٤٧ الأنفال و٣٤ التوبة و١٩ هود و٣ إبراهيم؛ ﴿**وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ**﴾ جـــاءت بصيغة المضارع، الدالة على الحال والمستقبل، فالكفر قرار واحد، تمسكوا به، أما الصد عن سبيل الله، وعن المسجد الحرام، فهو عمل يتصف بالاستمرارية والدوام...

يقول ابن عاشور:[1] وجاء ﴿**يصدون**﴾ بصيغة المضارع للدلالة على تكرر ذلك منهم وأنه دأبهم سواء فيه أهل مكة وغيرهم؛ لأن البقية ظاهَرُوهم على ذلك الصد ووافقوهم. أما صيغة الماضي في قوله: ﴿**إن الذين كفروا**﴾ فلأنّ

١ . التحرير والتنوير: الآية ٢٥ الحج.

ذلك الفعل صار كاللقب لهم مثل قوله: ﴿**إن الله يدخل الذين آمنوا...**﴾.[١]

وأيضاً عن هذه الآية وما جاء فيها يقول ابن عاشور:

﴿**وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ**﴾.

«إنحاء على المشركين وإظهار لظلمهم بعد أن بكَّتهم بتقرير حرمة الأشهر الحرم الدال على أن ما وقع من أهل السرية من قتل رجل فيه كان عن خطإ في الشهر أو ظن سقوط الحرمة بالنسبة لقتال العدو، فإن المشركين استعظموا فعلاً واستنكروه وهم يأتون ما هو أفظع منه، ذلك أن تحريم القتال في الشهر الحرام ليس لذات الأشهر؛ لأن الزمان لا حرمة له في ذاته، وإنما حرمته تحصل بجعل الله إياه ذا حرمة، فحرمته تبع لحوادث تحصل فيه، وحرمة الأشهر الحرم لمراعاة تأمين سبيل الحج والعمرة ومقدماتهما ولواحقهما فيها، فلا جرم أن الذين استعظموا حصول القتل في الشهر الحرام، واستباحوا حرمات ذاتيَّة بصدّ المسلمين، وكفروا بالله الذي جعل الكعبة حراماً، وحَرَّم لأجل حجها الأشهرَ الحرم، وأخرجوا أهل الحرم منه، وآذوهم، لأَحْرِياء بالتحميق والمذمة، لأن هاته الأشياء المذكورة كلها محرمة لذاتها لا تبعاً لغيرها. وقد قال الحسن البصري لرجل من أهل العراق جاء يسأله عن دم البعوض إذا أصاب الثوب هل ينجسه، وكان ذلك عقب مقتل الحسين بن عليّ رضي الله عنهما «عجباً لكم يا أهل العراق تستحلون دم الحسين وتسألون عن دم البعوض؟!».

إذن ومن خلال ذلك، هناك أمور ذكرها المقطع القرآني، أقف عند أمرين منها، وهما:

---

١ . الحج: ٢٣.

أولاً: الصدُّ عنه.

ثانياً: إخراج أهله منه.

وقبل ذلك نوجز شيئاً عن المسجد الحرام وأوليائه وأهله، فالمسجد الحرام ذكره التنزيل العزيز بهذه التسمية خمس عشرة مرةً، و قد شاءت السماءُ له أن يحتلَّ قلب مدينة مكة المكرمة، ويكون أول بيت وضع للناس، بقعةً مباركةً، وحرماً طاهراً مطهراً، وقياماً للناس وهدًى للعالمين... ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**﴾.[١] تتوسطه الكعبة المشرفة، قبلة المسلمين أينما كانوا، وأن يكون ساحةً لأداء شعائر الله تعالى في الحج والعمرة. كما أنه بُني للناس جميعاً، لا لفئة مهما شرفت، ولا لأمّة مهما عظمت، يستوي فيه الجميع: المقيمون فيه الملازمون له، والقادمون له من البادية وأطرافها البعيدة، وقد وصف التنزيل العزيز الطائفة الأولى بمفردة «العاكف» فيما وصف الأخرى بمفردة «الباد»:

﴿... **وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ** ...﴾.[٢]

كما أنَّ المسجد الحرام أسس لكلِّ من يشمله الأذان بالحج الذي أمر به إبراهيم عليه السلام ﴿**وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾.[٣]

فهو لكل طائف وعاكف وراكع وساجد، بعد أن بوّأ الله تعالى مكانه لخليله: ﴿**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً**﴾ وأمره وابنه إسماعيل بتطهيره: ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ**﴾.

﴿**وَعَهِدْنَآ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَاكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ**

---

١. آل عمران: ٩٦.

٢. الحج: ٢٥.

٣. الحج: ٢٧.

﴿ٱلسُّجُودِ﴾.

كما أنه تعالى جعله مثابةً للناس أمناً وقياماً لا لطائفة دون آخرى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً﴾ فغدا مهوى الأفئدة، لا أفئدة أهله المحيطين به، بل أفئدة العالمين من أي مكان جاؤوا، ومن أي بقعة قدموا... والآية واضحة في هذا: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.[١] ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِياماً لِّلنَّاسِ﴾.[٢] .. وأمر الجميع باتخاذ المقام مصلى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾. وصار المسجد قبلة للمسلمين أينما كانوا: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.[٣]

كما أنه الحرام أي الممنوع من فعله، فكان (الحرام) وصفاً للمسجد، فصار المسجد الحرام، والبيت الحرام، وبالتالي فهو الحرام عن كلِّ طاغية متجبر وظالم ومتعسف، ليس لهم مكان فيه، وليس لظالم دور فيه، وبما أن الشرك ظلم، فالمشركون لا وظيفة لهم فيه، وليس لهم أن يأمروا وينهوا ويمنعوا عنه.. وهكذا مكة المكرمة التي صارت به حراماً: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾.[٤]

وصار هو وما حوله بسببه حرماً آمناً: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً﴾.[٥]

---

١ . إبراهيم : ٣٧.
٢ . المائدة: ٩٧.
٣ . البقرة: ١٤٤.
٤ . النمل: ٩١.
٥ . القصص: ٥٧.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً﴾.[١]

فهو بهذا كلّه وغيره وضع وشرع للناس جميعاً، وهو بهذا وبغيره سلب أي حقٍّ لمشركي مكة في المسجد، وأي اختصاص لهم به دون غيرهم وإن بعدوا، بل ثبّت السبب الذي يبرّر إدانتهم فمحاسبتهم.

وهنا يذكر ابن عاشور سبب مؤاخذته لمشركي مكة، وأنّهم لا مزية لهم في وجودهم بمكة.. حيث يقول عن هذا الوصف أنّه جاء:

«للإيماء إلى علّة مؤاخذة المشركين بصدّهم عنه؛ لأجل أنهم خالفوا ما أرادالله منه، فإنه جعله للناس كلهم يستوي في أحقية التعبّد به العاكفُ فيه، أي المستقرّ في المسجد، والبادي، أي البعيد عنه إذا دخله. والمراد بالعاكف: الملازم له في أحوال كثيرة، وهو كناية عن الساكن بمكة؛ لأنّ الساكن بمكة يعكف كثيراً في المسجد الحرام، بدليل مقابلته بالبادِي، فأطلق العكوف في المسجد على سكنى مكة مجازاً بعلاقة اللزوم العرفي. وفي ذكر العكوف تعريض بأنهم لا يستحقون بسكنى مكة مزية على غيرهم، وبأنهم حين يمنعون الخارجين عن مكة من الدخول للكعبة قد ظلموهم باستئثارهم بمكة».[٢]

ويبدو أنَّ التعبير بالمسجد الحرام أو بالبيت الحرام أو بالكعبة يُراد منه جميع الحرم، لا خصوص الكعبة البناء المنظور، ولا المسجد أو البيت بمساحته المحيطة ببنية الكعبة، بل الأوسع من ذلك، وقد حدَّ بالمواقيت المعروفة...

هذا، وأن لهم كما يبدو أقوالاً في تعيين المراد منه، كما صرح به العديد من المفسرين..

فمن يذهب إلى أنه لا فقط المسجد المعروف بحدوده، بل المراد به مكة.

وهناك من يذهب إلى أنه مجموع مساحة الحرم.

---

١ . العنكبوت ٦٧.

٢ . التحرير والتنوير: الآية.

أوهو خصوص المسجد المبارك المحيط بالكعبة. فقد ورد أن الحرم كله مسجد، فعن عطا: أن المراد بالمسجد الحرام الحرم. والحرم كله مسجد وقبلة.

والمسجد الحرام في الاصطلاح كما قال النووي قد يراد به الكعبة فقط وقد يراد به المسجد حولها معها وقد يراد به مكّة كلها مع الحرم حولها وقد جاءت نصوص الشرع بهذه الأقسام...

ويقول ابن عاشور: والمسجد الحرام المسجد المعهود عند المسلمين، والحرام المجعول وصفاً للمسجد هو الممنوع. أي الممنوع منع تعظيم وحرمة، فإن مادة التحريم تؤذن بتجنب الشيء فيفهم التجنب في كل مقام بما يناسبه. وقد اشتهر عند العرب وصف مكة بالبلد الحرام أي الممنوع عن الجبابرة والظلمة والمعتدين ووصف بالمحرم في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿...**عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ...**﴾[1] أي المعظم المحترم وسمي الحرم قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً**﴾.[2]

فوصف الكعبة بالبيت الحرام وحرم مكة بالحرم أوصاف قديمة شائعة عند العرب، فأما اسم المسجد الحرام فهو من الألقاب القرآنية جعل علماً على حريم الكعبة المحيط بها وهو محل الطواف والاعتكاف ولم يكن يعرف بالمسجد في زمن الجاهلية إذ لم تكن لهم صلاة ذات سجود والمسجد مكان السجود فاسم المسجد الحرام علم بالغلبة على المساحة المحصورة المحيطة بالكعبة ولها أبواب منها باب الصفا وباب بني شيبة ولما أطلق هذا العلم على ما أحاط بالكعبة لم يتردد الناس من المسلمين وغيرهم في المراد منه فالمسجد الحرام من الأسماء الإسلامية قبل الهجرة وقد ورد ذكره في سورة الإسراء وهي مكية.

---

١ . إبراهيم: ٣٧.

٢ . القصص: ٥٧.

والجمهور على أن المراد بالمسجد الحرام هنا الكعبة، لاستفاضة الأخبار الصحيحة بأن القبلة صرفت إلى الكعبة، وأن رسول الله ﷺ أمر أن يستقبل الكعبة، وأنه صلى إلى الكعبة يوم الفتح، وقال: هذه القبلة، قال ابن العربي: «وَذَكَرَ المسجد الحرام والمراد به البيت، لأن العرب تعبر عن البيت بما يجاوره أو بما يشتمل عليه». وعن ابن عباس: البيت قبلة لأهل المسجد، والمسجد قبلة لأهل الحرم، والحرم قبلة لأهل المشرق والمغرب. قال الفخر: وهذا قول مالك، وأقول: لا يعرف هذا عن مالك في كتب مذهبه.[١]

هذا وأن المسجد الحرام كان يضمُّ معظم بيوت أهل مكة فى زمن الرسول ﷺ. وأن معظم مدينة مكة المكرمة القديمة تعدُّ ضمن المسجد الحرام. ولو قدر للحرم المكي الاتساع، فقد يصل حدود المشاعر المقدسة فى مكة.

إذن فأهل مكة ماداموا مشركين، فهم ليسوا أهلاً للمسجد الحرام، وليسوا أولياءه، وماداموا لا يؤمنون بربِّ هذا البيت، وبما أراده الله تعالى منهم عقيدةً وشريعةً، فهم لا يستحقون أن يُنسبوا إلى البيت الحرام بأي عنوان، فأهل المسجد هم أولئك الذين وردت بهم تلك الآيات، وأما أولياؤه فهم كلُّ من يتصف بالتقوى: ﴿**وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾.[٢]

إذن فمن كان أقوم بطاعة الله تعالى فهو أحق الناس بالمسجد وهم أهله الحقيقيون باعتراف السماء حين سمّتهم بذلك في قوله تعالى: ﴿**وإخراج أهله منه**﴾ فهؤلاء هم أهله، وقد أخرجوا لإيمانهم، فيما المشركون وإن كانوا ساكنين

---

١ . أنظر تفسير الكشاف٢ : ١٤٧؛ ومجمع البيان٣ :٢٠ ؛ و الموسوعة الفقهية الكويتية؛ والقاموس الفقهي لغةً واصطلاحاً لسعدي أبي الجيب ٨٦-٨٧ ؛ تفسير التحرير والتنوير، سورة البقرة: ١٤٤.

٢ . الأنفال: ٣٤.

في مكة؛ لكنهم ليسوا أهله، كما هو مفهوم الآية.

ملاحظة:

وهنا تحضرني هذه الفائدة، وقد يكون سبقني إليها أحدٌ والله العالم بمراده ولكني أحب أن أسجلها، فلعلها تكون إشارةً وتنبيهاً آمل أن يبحث في صدقها. فالآية تقول: ﴿**وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ**﴾.[1] بعد أن نفت كونهم، أقصد المشركين، أولياء المسجد الحرام أو البيت الحرام.. وحصرت أولياءه بالذين هم متقون، الذين يتصفون بالتقوى، ومن المعروف أن سدنة البيت الحرام ورعاية المسجد وسقاية الحاج هم بنو هاشم، وبالتالي فيمكن أن تساق الآية دليلاً على إيمان أبي طالب، فهو من الموحدين المتقين، وهو من الذين يصدق عليهم أنه من أوليائه، ومن القائمين بحقوق البيت، ولا يمكن أن يكون ولياً وهو مشرك.

***

الصدُّ عنه.

لقد أكّد القرآن الكريم كما ذكرنا أنَّ أولياء هذا المسجد المبارك هم المتقون لا غيرهم، فماداموا يحملون هذه المنقبة (التقوى) فهم أهله بنصِّ الآية٣٤ الأنفال: ﴿**وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوَاْ أَوْلِيَآءَهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾. وبهذا نفى التنزيل العزيز أن يكون الذين صدّوا عن المسجد الحرام وأخرجوا أهله منه أهل المسجد، بل وليسوا أولياءَه، فسحب الغطاء عنهم الذي كانوا يتسترون به، ويتفاخرون به، ويفرضون سيطرتهم وسلطانهم على الناس من خلاله، وما كونهم أشراف

---

١ . الأنفال: ٣٤.

مكة إلا بسبب ولايتهم لهذا المسجد، وها هو القرآن الكريم قد أنهى أهليتهم وولايتهم ومنقبة الشرف المذكورة، وقد خسروا كلَّ ذلك بصريح التنزيل العزيز.

الصدُّ لغةً:

ففي المعجم الوسيط: صدَّ عنه يصُدُّ صدًّا وصُدُودًا: أعرض. و صدَّ منه يصِدُّ صدًّا : ضجَّ وأعرض.

و في التنزيل العزيز: ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾.(١)

و صدَّ فلاناً عن كذا يصُدُّ صدًّا: منعه و صرفه، و في التنزيل العزيز: ﴿**فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ**﴾.(٢)

فهو صادٌّ من قوم صُدّادٍ، و هي صادَّة من نسوةٍ صوادٍّ. وفي مجمع البيان: الصَدّ والمنع والصرف نظائر يقال: صَدَّ عن الشيء يَصِدُّ صُدوداً وصَدّاً، إذا أعرض وعدل عنه، وصدّ غيره يصُده صدّاً إذا عدل به عنه ومنعه، والصَددَ ما استقبلك وصار في قُبالتك لأنه يعدل إلى مواجهتك..

وفي اللسان: صدَّ يصدُّ صداً: ضجَّ وعجَّ، والصدُّ من الجبل: ما يحول، والصديد: ما حال بين اللحم والجلد من القيح، وضرب مثلا لمطعم أهل النار. قال تعالى: ﴿**وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ، يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ**﴾.(٣)

و قال السرقسطي: وصد عن الشيء صدوداً، أعرض، وصدَّ أيضاً: ضجَّ.(٤)

ولطالما ترددت هذه المفردة (الصدُّ) على ألسنة الشعراء في قصائدهم،

---

١ . الزخرف: ٥٧.

٢ . النمل: ٢٤.

٣ . إبراهيم: ١٦ – ١٧.

٤ . أنظر: المعجم الوسيط؛ والمفردات للراغب؛ ولسان العرب؛ والأفعال٣: ٣٨٥. صدّ.

خصوصاً تلك التي يخاطبون بها عشّاقهم، وهذه أبيات مما عثرت عليه:

فيـمَ الجفـا وعـلامَ الصـدُّ والملـلُ ... مـا بالهـا انقطعـتْ مـا بيننا الرسـلُ
يـا أيهـا الصـدُّ الـذي وجـه العـلى ... منـه يُـزان بمنظـرٍ مطبـوعِ
نَسـيتُ وَما أنسَـى عِتاباً عـلى الصّدّ ... ولاخَفَـراً زَادَتْ بـهِ حُمـرَةُ الخـدِّ
ذرِ الصدَّ إني لست أَقوى على الصدِّ ... وعُـد للـذي عوَّدتني منك مـن وُدِّ
فـإلى متـى هـذا الصـدود وذا الجفا ... فلقد جـوى من أدمعي مـا قد كفى
عذبينـي بـكل شيء سـوى ... الصـدّ فـما ذقت كالصـدود عـذابا

الصدُّ في التنزيل العزيز:

هو من الألفاظ المشتركة، وقد ورد بمشتقاته في القرآن الكريم اثنتين وأربعين مرةً، فالصدُّ يتوفر على أكثر من معنى، فالصدود والصد قد يكون انصرافاً عن الشيء وامتناعاً، نحو: ﴿**يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا**﴾.[١] وقد يكون صرفاً ومنعاً نحو: ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ**﴾.[٢] ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللّٰهِ**﴾.[٣] ﴿**وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّٰهِ**﴾.[٤] ﴿**قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّٰهِ**﴾.[٥] ﴿**وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللّٰهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ**﴾.[٦] ...إلى غير ذلك من الآيات.

وقد ذكر الصدُّ وبالذات عن المسجد الحرام في أكثر من آية قرآنية، معطوفاً في آيتين على الصدِّ عن سبيل الله، فإضافةً للآية موضع الكلام، جاء في الآية

١ . النساء :٦١.
٢ . النمل: ٢٤.
٣ . محمد: ١.
٤ . الحج: ٢٥.
٥ . البقرة :٢١٧.
٦ . القصص: ٨٧.

٢٥ الحج: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ...﴾. وجاء في الآية: ٢ المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ... وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ...﴾.

والآية: ٣٤ الأنفال: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ ٱللّٰهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.

والآية: ٢٥ الفتح: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾.

إنَّ صفتي الكفر والصد وهما ما فعله المشركون، يقفان مانعاً بين الإنسان و قيامه بالعمل الصالح، أياً كان هذا العمل، أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر، أو مجرد أداء لمناسك البيت الحرام كطواف حول البيت أو سعي بين الصفا والمروة... والعمل الصالح هذا يقلق المشركين ويوأرّقهم، ولا يطيقونه، فنراهم

يندفعون إلى منع ذلك، و نصب العوائق أمام ممارسة الناس لحرياتهم المشروعة، هي حقهم الطبيعي لهم في أداء عباداتهم. فالكفر عقيدةً ومنهجاً وممارسةً وكل ما يستتبعه يقف حجر عثرة في طريق الإنسان حتى لا يتكامل مادياً ومعنوياً، وبالتالي لا يجلب لأخيه الإنسان فرداً وجماعةً وأمةً إلا الفساد والخراب بدل الإصلاح والبناء. وإلا الضرر وزرع الأحقاد والبغضاء بين بني البشر..

وهنا أذكر الصحابي الجليل سعد بن معاذ مثالاً للصدِّ المذكور، الذي فعله كبيرهم؛ كبير المشركين أبو جهل، حين انطلق سعد إلى مكة معتمراً، فنزل على أمية بن خلف بمكة، فقال لأمية: أنظر لي ساعة خلوة؛ لعلي أن أطوف البيت، فخرج به قريباً من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان، من هذا معك؟

فقال: هذا سعد.

فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد آويتم الصباة، وزعمتم أنكم تنصرونهم، وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعتَ إلى أهلك سالماً.

فقال له سعد ورفع صوته عليه : **أما والله لئن منعتني هذا؛ لأمنعك ما هو أشدّ عليكم منه: طريقك** على أهل المدينة. والمعروف من مشركي مكة أنهم مَنَعُوا المسلمين بعد هجرتهم من زيارة البيت الحرام.

هذا وأن ابن عاشور يقول: وسبيل الله: الإسلام، فصدهم عنه هو الذي حقق لهم عذاب النار، كما حقق اهتداءُ المؤمنين إليه لهم نعيمَ الجنّة.

والصدّ عن المسجد الحرام مما شمله الصدّ عن سبيل الله فخصّ بالذكر للاهتمام به، ولينتقل منه إلى التنويه بالمسجد الحرام، وذكر بنائه، وشرع الحجّ له من عهد إبراهيم عليه السلام. والمراد بصدّهم عن المسجد الحرام صدّ عرفه المسلمون

يومئذ. ولعله صدّهم المسلمين عن دخول المسجد الحرام والطواف بالبيت. والمعروف من ذلك أنهم مَنَعُوا المسلمين بعد الهجرة من زيارة البيت...

يقول ابن عاشور: «ومن ذلك مَا صنعوه يوم الحديبية. وقد قيل: إنّ الآية نزلت في ذلك. وأحسب أنّ الآية نزلت قبل ذلك سواء نزلت بمكة أم بالمدينة.

وعن الآية ٢٥ الحج ، يقول الطاهر بن عاشور: «هذا مقابل قوله: ﴿**وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ**﴾.[١] بالنسبة إلى أحوال المشركين، إذ لم يسبق لقوله ذلك مقابل في الأحوال المذكورة في آية: ﴿**فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ**﴾.[٢] كما تقدم.

فموقع هذه الجملة الاستئناف البياني. والمعنى: كما كان سبب استحقاق المؤمنين ذلك النعيم اتّباعهم صراط الله، كذلك كان سَبَبُ استحقاق المشركين ذلك العذَاب كفرَهم وصدّهم عن سبيل الله».

فالمشركون في مكة، مع كفرهم، ظلّوا يصدون عن سبيل الله، ويصدون عن المسجد الحرام، ويخرجون أهل المسجد منه، وكل هذا يسجل إثماً عظيماً وظلماً وفساداً، وكلها تتصف بأنها الأكبر في حسابه تعالى؛ لأن ذلك الصدّ عن سبيل الله تعالى يعدُّ صدّاً عن الصراط المستقيم، الموصل إلى الهدى والحق والعدل والرشد والخير والسداد، وبالتالي يكون هذا الصدُّ صارفاً الناس عن السبيل الذي فيه الحياة للقلوب والأنفس، ويطهرها من الرجس والشرك وعبادة الأوثان، ويحررالناس من الخضوع للطاغوت واتباع الهوى، ويجعلهم وقد خضعوا لربهم مخلصين له الدين، وبهذا ينالون فوزاً عظيماً..

إذن فالصدّ عن المسجد الحرام، وإبعاد أهله الحقيقين المؤمنين، وهما أمران يتفرعان عن كفرهم وصدّهم عن سبيل الله، يشكل صداماً مع الحق ومع

---

١ . الحج: ٢٤.
٢ . الحج: ١٩.

الحياة، التي صرحت به الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ...﴾.[1]

وهو أيضاً بعدٌ عن السماء بل وعداءٌ صريح لها، وتحدّ لمشروعها الراشد و الهادي.. والصدُّ هو عين الطغيان بلا ريب، و فعل خطير مدمر مهلك، لا يقترفه إلا من لا يعقل ولا يتدبر ولا يفكر. وإذا عرفنا خطورة عملهم هذا، وما يترتب عليه من آثار سيئة على الناس، فإن اقتران الصدّ عن المسجد الحرام، وعطف هذا الصدّ عن المسجد الحرام على الصدّ عن سبيل الله، وعلى الكفر به، يجعل قضية كلٍّ من الصدِّ والإخراج قضية كبرى خطيرة وفعلة شنعاء وخطوة نكراء، وكيف لا يكون الأمر هكذا، وهم يصدّون عن بيت، قيّمته السماءُ بآيات قرآنية عديدة، فردُّ الناس عن قصده يساوي الصدّ عن سبيل الله، والكفر به، وهو منع للأفئدة التي تريد أن تهوي إليه تبتغي الهدى، ومنع عن هداه؛ وكل هذا يظهر لنا أن المسجد الحرام يمثل معلماً من معالم الهدى، ومحطةً من محطات سبيل الله إلى الخير والنور، فيجب أن يكون مكان التوبة هذا والاستجابة مفتوحاً على الدوام، لكل فؤاد يهوي إليه، ولكل قلب يتضرع فيه، ولكل نفس تريد التوبة فيه، ولكل يد ترفع للدعاء فيه، ولكل إنسان يريد أن يطيع الله فيه عبر عباداته وتأدية مناسك الحج والعمرة، ويجب أن يبقى مسموحاً لكل أمة تأمّه، تبتغي فضلاً من الله ورضواناً.. ويتعلمون فيه الأمن والسلام؛ لأن الأمن من صفاته، والسلام من خصائصه، وهما من أبرز وأهم صفات الله سبحانه وتعالى.

فالصدُّ عنه صدٌّ عن السلام والأمان والتحلي بهما.. السلام والأمان الذي يأمن به جميع المخلوقات، لا فقط الإنسان ينعم به، فالحيوان فيه آمن، والنبات

---

١ . الأنفال: ٢٤.

فيه آمن، وحتى القاتل فيه آمن حتى يخرج أو يُخرج منه..

الإخراج:

وإخراج أهله منه إخراج لهم من ذلك السلام و الأمان، وهو بالتالي اعتداء واضح عليهم، حرمان لهم جميعاً من هذه النعمة ونعم أخرى عديدة، يشهدونها في ساحات الحرم، يوفرها لهم هذا المسجد والعبادة فيه، وهي منافع كثيرة ومتنوعة: ﴿**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ...**﴾.[1]

فالصدُّ والإخراجُ عملان هدفهما حرمان عباد الله تعالى عن التكامل الروحي والنفسي، وإبعادهم عن التوبة من الذنوب، وعن التخلي عن المعاصي، ومنعهم عن الثراء المادي والمعنوي، وهو ما يوفره المسجد المبارك والمناسك التي تؤدى فيه وفيما حوله، وقد تحدث عنه التنزيل العزيز بآيات منها: ﴿**ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُم وليُوفوا نذورَهم وَلْيَطَّوَّفُوا بِالبَيتِ الْعَتيق**﴾.[2]

فكيف لا يكون عملهم المتمثل بالصدّ والإخراج جريمةً خطيرةً يستحقون عليها العذاب الأليم في الدنيا والآخرة؟!

هذا، وأن الإخراج الذي وقع لأهل المسجد، من المعلوم أنه مفردة جاءت في التنزيل العزيز بمشتقات عديدة، وبألفاظ متناظرة: الإبعاد والهجرة والطرد والتشريد والنفي، وقد ذكرت في آيات عديدة كان منها: الأنبياء: ١٠١، النساء: ١٠٠، هود: ٣٠، الأنفال: ٥٧، المائدة: ٣٣.

والإخراج لغةً من الفعل خَرَجَ يخرُج خُرُوجاً: برز من مقرّه أو حاله وانفصل. وأخرج الشيءَ: أبرزه، وأظهره.

أخرج فلاناً من المكان: طرده منه، جعله يتركه ويغادره، أزاله عنه، ومنه

١. الحج: ٢٨.
٢. الحج: ٢٩.

أخرج المحتلَّ من بلاده، أخرج المستأجر من العقار ومنه أخرج فلاناً من حياته.

وقد عبرت عنه كما ذكرنا الآيات بألفاظ مترادفة متناظرة، منها الخروج ومشتقاته، ومنها الهجرة ومشتقاتها، ومنها الإبعاد و الطرد والتشريد و النفي..

هذا، ولعلَّ الإخراج في الاصطلاح الشرعي هو الانتقال من مكان إلى مكان، أو من دار إلى دار بالنفس اختياراً وبنية مشروعة أو بأسباب خارجة عنه قهراً أو قسراً..

وما إن وقع الإخراج وتعدد من قبل أعداء الله ورسوله، حتى وقعت الهجرة الأولى للمسلمين إلى الحبشة، فالهجرة للمدينة، ثمَّ الهجرة المباركة لرسول الله ﷺ فكانت هجرته ﷺ: صورة صادقة ومؤلمة، تلك التي راح رسول الله ﷺ يرسمها لنا بكلماته، وقد لاحت في تقاسيمها آلامه، حين أخرجه قومه من وطنه الحبيب وأرضه المباركة الطيبة، فقد ذكر الترمذي في جامعه الصحيح عن عبدالله بن عدي بن حمراء الزهري قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً على الحزورة (التل الصغير) فقال: «والله إنك لخير أرض الله، وأحبّ أرض الله إلى الله، ولولا أنني أخرجت منك ما خرجت».

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة: «ما أطيبك من بلد، وأحبك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك».[1]

ولا زالت أصداء هذه الكلمات التي انطلقت منه ﷺ تؤلم كل من يقرأ سيرته، ويطلع على معاناته، وما لاقاه من الأذى وهو يؤدي رسالته، رسالة الخير والهدى والعطاء..

وهي صورة يشترك بها معه من تبعه ممن آمن بدعوته، وهم:

---

١ . صحيح سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل مكة،ح:٨٨٠ ، ح:٨٨٠ .

﴿... الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ...﴾.[1]

﴿... وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا...﴾.[2]

و الآيتان توضحان أنهم قد أخرجوا من ديارهم ومن أموالهم. وقد حملوا أحزانهم على فراق أرضهم وديارهم بما فيها من أهلهم وأموالهم، حتى غدت هذه الحالة ذكريات تؤرقهم، وتحضهم على تهيئة أسباب العودة لوطنهم.

وهي صورة صادقة تبرز فيها أهم الملامح للمهاجرين، أخرجوا إخراجاً من ديارهم وأموالهم، أكرههم على الخروج الأذى والاضطهاد، والتنكر من قرابتهم وعشيرتهم في مكة.

والمخرج رجل يعيش مع الذكريات والآلام والأحزان على فراق الأرض والأهل والولدان والديار، وتتراءى له هذه الذكريات والمشاعر في كل موطن تطؤه قدماه، ويبقى الألم مرافقاً لهم والحنين ملازمهم. وأمل العودة لا يغادر مشاعرهم...

قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.[3]

يقول سيد قطب: وهي صورة صادقة تبرز فيها أهم الملامح للمهاجرين، أخرجوا إخراجاً من ديارهم وأموالهم، أكرههم على الخروج الأذى والاضطهاد، والتنكر من قرابتهم وعشيرتهم في مكة: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ وقد خرجوا تاركين ديارهم وأموالهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً﴾ اعتمادهم على الله في فضله ورضوانه، لا ملجأ

---

١ . سورة الحشر: ٨ .

٢ . سورة البقرة: ٢١٨.

٣ . سورة الحشر: ٨ .

لهم سواه، ولا جناب لهم إلا حماه، وهم مع أنهم مطاردون قليلون، ينصرون الله ورسوله بقلوبهم وسيوفهم في أحرج الساعات، وأضيق الأوقات؛ ﴿**أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ الذين قالوا كلمة الإيمان بألسنتهم وصدقوها بعملهم، وكانوا صادقين مع الله في أنهم إختاروه، وصادقين مع رسوله في أنهم اتبعوه، وصادقين مع الحق في أنهم كانوا صورة منه تدب على الأرض ويراها الناس.

ويقول أيضاً: ونجد أن الأمر واضح في حسهم، مقرر في نفوسهم، إن أعداءهم أعداء لله ولدين الله، وقد أخرجوهم من ديارهم وسبوا أبناءهم، فقتالهم واجب، والطريق الواحدة التي أمامهم هي القتال، ولا ضرورة إلى المراجعة في هذه العزيمة أو الجدال..

إن من المعروف أنَّ البشرية في تاريخها الطويل قد تعرضت لأنواع الظلم والتعسف وأشكال الاستبداد والطغيان من قبل أناس تحكّموا فيها، أو تمكّنوا منها بشكلّ ما، وقد يقع هذا الظلم من قبل فرد لفرد آخر أو لعدد من الناس، أومن قبل جماعة أو طائفة أو أمّة لأخرى، ومن أنواع ظلم العباد بعضهم لبعض بإخراجهم، بتهجيرهم، طردهم، نفيهم، إبعادهم، تشريدهم من بلادهم وديارهم، بعد أن أرغموا على أن يهجروا كلَّ شيء حتى غدوا صفر اليدين من مالهم، تجارتهم، عيالهم، عشيرتهم، وغالباً ما يقع هذا بعد اضطهادهم وتعذيبهم، لإكراههم على الابتعاد لأرض أخرى غير أرضهم، وبلد آخر غير بلدهم، وشعب آخر غير شعبهم، ولحياة أخرى غير مألوفة عندهم لا في ظروفها ولا في عاداتها وتقاليدها ولا في إمكانياتها، عيشة أخرى لا عهد لهم بها، وقد لا يجد المُخرَجُ والمُهجّرُ والمطرود فيها استقراراً ولا ثباتاً، بل لا يجد نفسه إلا قلقاً مضطرباً، مشدودةً عواطفه وأحاسيسه بأهله الذين ولد بينهم وترعرع ونشأ بين أحضانهم، وبأرضه التي درج بين شعابها، وراح

يتنفس هواءها، ويشرب ماءها، ويأكل ثمارها، ويستثمر منافعها.. فما أقساه من ظلم! هذا ما ابتلي به الإنسان في مسيرته، وما زال الظلمة من سلاطين الجور وأعوانهم يمارسون تلك الأساليب بحق رعيتهم، فهنا مشرد وهناك مهجر وذاك معذب وهذا سجين وبين هذا وذاك دماء مسفوكة وكرامة مهدورة وشرف مستباح، فأرامل ويتامى وأموال كتب عليها الضياع..

وإنّ أبرز مثال للإخراج كعقوبة، هو ذلك الذي ذكرته الآية هو إخراج النبيﷺ والمؤمنين به من أهل بيته وأصحابه من مكة، وإن كان هذا ليس مختصاً بهﷺ دون إخوته الأنبياء السابقين، فآدمعليه السلام، أخرجه الشيطان من الجنة، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ**﴾.[١] من النعيم والكرامة والجنة، ففقدان الجنة أول ثمرات الإخراج المرّة، وأول آثاره السلبية.

فقد عذبوا وأتباعهم وشردوا وأخرجوا من ديارهم كما تحدث عنه القرآن الكريم في آيات عديدة. حتى جعلوه خياراً من خيارين لهم إما هو أو العودة إلى ما هم عليه من شرك وكفر وبعدٍ عن الله سبحانه وتعالى:

﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ**﴾.[٢]

﴿**قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ**﴾.[٣]

---

١ . الأعراف: ٢٧.

٢ . إبراهيم: ١٣.

٣ . الأعراف: ٨٨.

أو فرضوه عقوبةً لمن دعاهم إلى ترك الفاحشة:

﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ*إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَآءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ *وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوَاْ أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.(١)

وفي سورة النمل:﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ*أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ* فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوَاْ أَخْرِجُوَاْ آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.(٢)

كما أن أسلوب الإخراج قد فعله أهل الكتاب، خلافاً لما جاءت به شريعتهم وتعاليم كتابهم التوراة، كما جاء في: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾.(٣)

محذراً من خطورة متابعتهم في سيرتهم المذكورة هذه والاقتداء بهم: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.(٤)

فهذه السُّنّة السيئة، التي ذكرها التنزيل العزيز ولعلّ ذكرها فيه تسلية وموعظة وتثبيتاً لهﷺ لما لها من آثار نفسية خطيرة قد تقوّض قدرات الداعية

١ . الأعراف: ٨٠ ٨٢.
٢ . النمل:٥٦.
٣ . البقرة: ٨٤.
٤ . البقرة: ٨٥.

وتحبطـه قد مورست مع الأنبياء، فكلُّ نبيٍّ في أمته كان طريداً ممن لا يؤمنون بدعوته، وكان مهجوراً، ثمَّ مخرجاً ومهجَّراً، فمهاجراً بعد إكراهه، .. ورسول اللهﷺ كان واحداً من هؤلاء الأنبياء والرسل، بل كان الأكثر إيذاءً من بينهم كما جاء فيما روي عنهﷺ ذلك: «ما أوذي نبيٌّ بمثل ما أوذيت». وقد أكرهﷺ على اتخاذ قراره بمغادرة مكة مدينته العزيزة عليه كما روي عنه ذلك عن ابن عباس، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ لَمَّا أُخْرِجَ مِنْ مَكَّةَ: «إِني لأَخْرُجُ مِنْكِ وَإِني لأَعْلَمُ أَنَّكِ أَحَبُّ بلادِ اللهِ إِلَيْهِ وَأَكْرَمُهُ عَلَى اللهِ وَلَوْلا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُوني مِنْكِ مَا خَرَجْتُ مِنْكِ...».[١]

إنّ إخراجهم (الرسولﷺ وأتباعه) من ديارهم، تعدُّ هي أبرز ما تعرضوا له منذ بداية دعوتهم الأولى في مكة من قبل كبار زعماء مكة، الذين رأوا في دعوتهﷺ خطراً عظيماً على مصالحهم وزعامتهم.. وقد تناولت آيات قرآنية إخراجهم إضافةً إلى الآية عنوان مقالتنا:

ويقرر القرآن الكريم مناقب لهم وحلولاً عملية لظاهرة الإخراج بالإذن بالقتـال وفريضة الجهاد فى سبيل الله، قال تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ...**﴾.[٢]

﴿... **فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ...**﴾.[٣]

﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ...**﴾.[٤]

---

١ . أنظر باب فضل مكة من مصادر الحديث.
٢ . الحج: ٣٩ ٤٠.
٣ . آل عمران: ١٩٥.
٤ . الحج: ٣٩.

الواحدي في أسبابه: قال المفسِّرون: كان مشركُو أهْل مكّة يؤذون أصْحابَ رَسُول اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلا يزالُون يَجيئُون من بين مضروب ومجشوج، فشكوهُم إلى رسُول اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيقول لهم: «اصْبرُوا فإني لم أؤمر بالقتال»، حتى هاجر رسول اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فأنزل اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآية.

و قال ابن عباس: لـمّا أخرج رسول اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من مكة قال أبو بكر: إنّا للهِ وَإنّا إليه راجعُون، لنهلكن، فأنزل اللهُ تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ**﴾ الآية.

قال أبوبكر: فعرفْتُ أنهُ سيكُونُ قتالٌ.

وأيضاً جاءت هذه الآية من سورة النحل وهي تصرح بهجرتهم: ﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾.[1]

الواحدي: نزلتْ في أصحاب النبيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بمكّة بلالٍ وصُهَيْبٍ وَخَبَّابٍ وَعَمَّارٍ وأبي جَنْدَلِ بْنِ سُهَيْلٍ أخذهم المشركون بمكّة فعذّبوهم وآذَوْهم، فبوّأهمُ اللهُ تعالى بعد ذلك المدينة.

﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾

وهي منزلة قيّمة، فهؤلاء المُخرَجون وصفهم الله تعالى في كتابه وبهذه الآية أنهم أهل المسجد الحرام..

يقول الرازي: وأما قوله تعالى: ﴿**وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ**﴾ فالمراد أنهم أخرجوا المسلمين من المسجد، بل من مكة، وإنما جعلهم أهلاً له إذ كانوا هم القائمين

---

١ . النحل: ٤١.

بحقوق البيت كما قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾.[١]

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾.[٢] فأخبر تعالى أن المشركين خرجوا بشركهم عن أن يكونوا أولياء المسجد.

وهذا الإخراج عدّته السماء أنّه أكبر من القتال في الشهر الحرام، كما هي حالة الأمور الأخرى وهي: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾.

ثم إنه تعالى بعد أن ذكر هذه الأشياء حكم عليها بأنها أكبر، أي كل واحد منها أكبر من قتال في الشهر الحرام، وهذا تفريع على قول الزجاج، وإنما قلنا: إن كل واحد من هذه الأشياء أكبر من قتال في الشهر الحرام لوجهين:

أحدهما: أن كل واحد من هذه الأشياء كفر، والكفر أعظم من القتال.

والثاني: أنا ندعي أن كل واحد من هذه الأشياء أكبر من قتال في الشهر الحرام وهو القتال الذي صدر عن عبدالله بن جحش، وهو ما كان قاطعاً بوقوع ذلك القتال في الشهر الحرام، وهؤلاء الكفار قاطعون بوقوع هذه الأشياء منهم في الشهر الحرام، فيلزم أن يكون وقوع هذه الأشياء أكبر.

سيد قطب: إنّ المسلمين لم يبدؤوا القتال، ولم يبدؤوا العدوان، إنما هم المشركون، هم الذين وقع منهم الصدّ عن سبيل الله، والكفر به والمسجد الحرام، لقد صنعوا كل كبيرة لصدّ الناس عن سبيل الله، ولقد كفروا بالله وجعلوا الناس يكفرون، ولقد كفروا بالمسجد الحرام، انتهكوا حرمته فآذوا المسلمين، وفتنوهم عن دينهم طوال ثلاثة عشر سنة قبل الهجرة وأخرجوا

---

١ . الفتح: ٢٦.

٢ . الأنفال: ٣٤.

أهله منه، وهو الحرم الذي جعله الله آمناً، فلم يأخذوا بحرمته ولم يحترموا قدسيته، وإخراج أهله منه أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام، وفتنة الناس عن دينهم أكبر عند الله من القتل.

وقد ارتكب المشركون هاتين الكبيرتين فسقطت حجتهم في التحرز بحرمة البيت الحرام وحرمة الشهر الحرام، ووضح موقف المسلمين من دفع هؤلاء المعتدين على الحرمات، الذين يتخذون منها ستاراً حين يريدون، وينتهكون قداستها حين يريدون، وكان على المسلمين أن يقاتلوهم أنى وجدوهم؛ لأنهم عادون باغون أشرار، لا يرقبون حرمة ولا يتحرجون أمام قداسة، وكان على المسلمين ألا يدعوهم يحتمون بستار زائف من الحرمات، التي لا احترام لها في نفوسهم ولا قداسة.

هؤلاء طغاة بغاة معتدون، لا يقيمون للمقدسات وزناً، ولا يتحرجون أمام الحرمات، ويدوسون كل ما تواضع المجتمع على احترامه من خلق ودين وعقيدة، يقفون دون الحق فيصدّون الناس عنه، ويفتنون المؤمنين، ويؤذونهم أشد الإيذاء، ويخرجونهم من البلد الحرام الذي يأمن فيه كل حي حتى الهوام.

ثم بعد ذلك كله يتسترون وراء الشهر الحرام، ويقيمون الدنيا ويقعدونها باسم «الحرمات» و «المقدسات» ويرفعون أصواتهم؛ انظروا ها هو ذا محمد ومن معه ينتهكون حرمة الشهر الحرام!

فكيف يواجههم الإسلام؟ يواجههم بحلول مثالية طائرة! إنه إن يفعل يجرد المسلمين الأخيار من السلاح، بينما خصومهم البغاة الأشرار يستخدمون كل سلاح، ولا يتورعون عن سلاح، إنّ الإسلام لا يصنع هذا، لأنه يريد مواجهة الواقع لدفعه ورفعه، يريد أن يزيل البغي والشر، وأن يقلّم أظافر الباطل والضلال، ويريد أن يسلم الأرض للقوة الخيرة، ويسلم القيادة للجماعة الطيبة...

إنّ الإسلام يرعى حرمات من يرعون الحرمات، ويشدد في هذا المبدإ ويصونه، ولكنه لا يسمح بأن تتخذ الحرمات متاريس لمن ينتهكون الحرمات، ويؤذون الطيبين، ويقتلون الصالحين، ويفتنون المؤمنين، ويرتكبون كل منكر، وهم في منجاة من القصاص تحت ستار الحرمات التي يجب أن تصان.

إنّ الإسلام يدفع الجماعة المسلمة إلى الضرب على أيدي الظالمين، وإلى قتالهم وقتلهم وإلى تطهير جوّ الحياة منهم، هكذا جهرة وفي وضح النهار...[١]

وأما القرطبي فمما ذكره أن معنى الآية على قول الجمهور: إنكم يا كفار قريش تستعظمون علينا القتال في الشهر الحرام، وما تفعلون أنتم من الصدّ عن سبيل الله لمن أراد الإسلام، ومن كفركم بالله وإخراجكم أهلَ المسجد منه؛ كما فعلتم برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكبر جُرْماً عند الله.

ثمَّ راح يذكر ما أنشده عبدالله بن جَحش رضي الله عنه في هذه المناسبة:

تَعُدُّون قَتْلاً في الحرام عظيمةً ... وأعظمُ منه لو يَرَى الرُّشدَ راشِدُ
صُدُودكُمُ عما يقول مُحمّدٌ ... وكُفرٌ به واللهُ راءٍ وشاهدُ
وإخراجكم من مسجد الله أهلَه ... لئلا يُرى لله في البيت ساجدُ
فإنّا وإنْ عيّرتمونا بقَتْله ... وأرجفَ بالإسلام باغٍ وحاسدُ
سَقَيْنا من ابنِ الحَضْرميّ رماحنا ... بنَخْلَةَ لمّا أوْقَد الحربَ واقدُ
دَماً وابنُ عبدالله عثمان بيننا ... يُنازعه غُلٌّ من القِدِّ عانِدُ.[٢]

ما أن وقع الإخراج وتعدد من قبل أعداء الله ورسوله، حتى وقعت الهجرة الأولى للمسلمين إلى الحبشة، فالهجرة للمدينة، ثمَّ الهجرة المباركة لرسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذه الآية تحكي إخراجه صلى الله عليه وآله:

١ . في ظلال القرآن، الآية.
٢ أنظر الجامع لأحكام القرآن: الآية.

﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[١]

وقد توفرت هذه الآية على أوقات ثلاثة، فقد تكررت «إذ» مرات ثلاثاً فيها:

وقت إخراجه ﷺ.

وقت مكوثه ﷺ في الغار.

وقت قوله ﷺ لصاحبه: ﴿**لا تحزن إن الله معنا...**﴾.

ثمَّ إنّ الآية صريحة في أنّ المشركين هم الذين أخرجوه، كما أن عنادهم وتآمرهم عليه وعلى أصحابه، كل ذلك اضطره إلى مغادرة مكة مدينته العزيزة، ومكان ولادته، ونشأته، ودعوته.. ولكن هذا الإخراج، مع أنه حمل مخاطر وآثاراً مؤلمة، فقد ترك ثماراً على الساحة المسلمة، بعكس ما خطط له وتمنّاه المشركون، فكانت الهجرة فتحاً كبيراً وأفقاً واسعاً، انطلقت فيه الدعوة المباركة للإسلام للعالمين ودولةً ومجتمعاً... لقد حولت السماء هذا الإخراج هدفاً آخر غير الذى أراده مشركو مكة، فهم أرادوا قتله ﷺ، ولما عجزوا عن ذلك، وحين خرج من قبضتهم، ظنوا أنّ دعوته سوف تختنق بالعزل عن الناس، لكن الله تعالى أخرجه لتتسع الدعوة وكأنه تعالى يقول لهم: لن أمكنكم من أن تخرجوه مخذولاً، وسأخرجه قوياً مدعوماً بنصري وتسديدي..

فكانت هجرته ﷺ فرجاً ونصراً مؤزراً، وصورةً رائعةً يشترك بها معه من تبعه ممن آمن بدعوته، وهم: ﴿**... الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ...**﴾.[٢]

١. التوبة: ٤٠.

٢. الحشر: ٨.

﴿... وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا ...﴾.[١]

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللّٰهُ ...﴾.[٢]

فبعد ما تعرضوا له من أذًى وتشريد وتعذيب، جاء إبعادهم وإخراجهم، أو إكراههم على ذلك، وهذه الآيات توضح معاناتهم، وأنّ سببها يتلخص بتمسكهم بدينهم وإعلانهم لوحدانيته تعالى كما عرف بذلك صوت بلال الحبشي أحد المعذَبين من قبل أبي جهل زعيم المشركين، والعدوّ اللدود لرسالة السماء، كان شعاره الذي يصرخ به: أحدٌ أحدٌ أحد، والسياط تنهال عليه، وثقل الحديد على صدره، و رمضاء الحجاز تحرق جسده تحت أشعة شمس حارقة، ولم ينفك عن ترديد ذلك، وبالتالي فقد أخرجوا من ديارهم ومن أموالهم وأهليهم. وقد حملوا أحزانهم على فراق كل هذا، حتى غدت هذه الحالة ذكريات تؤرقهم، وتحضهم على تهيئة أسباب العودة لوطنهم، فكان لهم ذلك ولو بعد حين: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَاَجْرُ الْاٰخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.[٣]

وجاء هذا الوعد الإلهي بنصرة المؤمنين، وتطييباً لهم ومكافأةً لما صبّه عليهم المشركون من أنواع الظلم، ولما هجروه في ديارهم من أهل ومال.. لقد حظي المهاجرون بأجر عظيم وثواب جزيل! ولم تكتف السماء بهذا الأجر لهم، بل جعلتهم أهل المسجد الحرام، وأذنت لهم بقتال كلّ من ظلمهم وأخرجهم منه. وبعد أن صرّحت بأن ذنبهم وجريمتهم في نظر أعدائهم أنهم يقولون ربنا الله، وهي منقبة عظيمة اعترفت السماء بها، ووصفتهم بها، وهي تعدُّ منزلةً جليلة،

---

١ . البقرة: ٢١٨.

٢ . الحج: ٤٠.

٣ . النحل: ٤١.

دونتها السماء لهم لتخلد في سجلهم في الدنيا والآخرة...

إذن بالإخراج بدأت الهجرة، بل الهجرتان من مكة. وصارت صفةً يُتفاخر بها، فهذا صاحب هجرة وذاك صاحب هجرتين،.. وكانت نتيجة هذا الإخراج بالعكس مما أرادته قريش منه، وصار هجرةً مباركةً، وفاتحةَ أملٍ، وبارقةَ نصرٍ، انتهت بعودته ﷺ وأصحابه المهاجرين معه إلى مكة المكرمة، وهم فاتحون لها ظافرون بما أعده الله تعالى لهم من نصرٍ وأجرٍ عظيمين، وهو وعدٌ وعده ربُّه به، وبشارة له وللمسلمين بردّهم إلى مكة على قول قاهرين لأعدائهم، كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾.[1] والمعاد هو مدينته الحبيبة على قلبه التي قال عنها وهو يغادرها مكرهاً: «ما أطيبك من بلد، وأحبك إلىّ، ولولا أنّ قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك!».

وقد تحدثت عنه أوائل سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً * وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً * هُوَ ٱلَّذِيۤ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوۤاْ إِيماناً مَّعَ إِيمانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً * لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

وقد سميت السورة بالفتح تخليداً لهذا الحادث وتعظيماً له، وتنبيهاً لأهدافه الكبيرة على الإسلام والمسلمين، وتذكيراً لهم به ولأجيالهم على مرِّ الأزمان حين يقرأون التنزيل العزيز، والسيرة النبوية المباركة!

---

١ . القصص: ٨٥ .

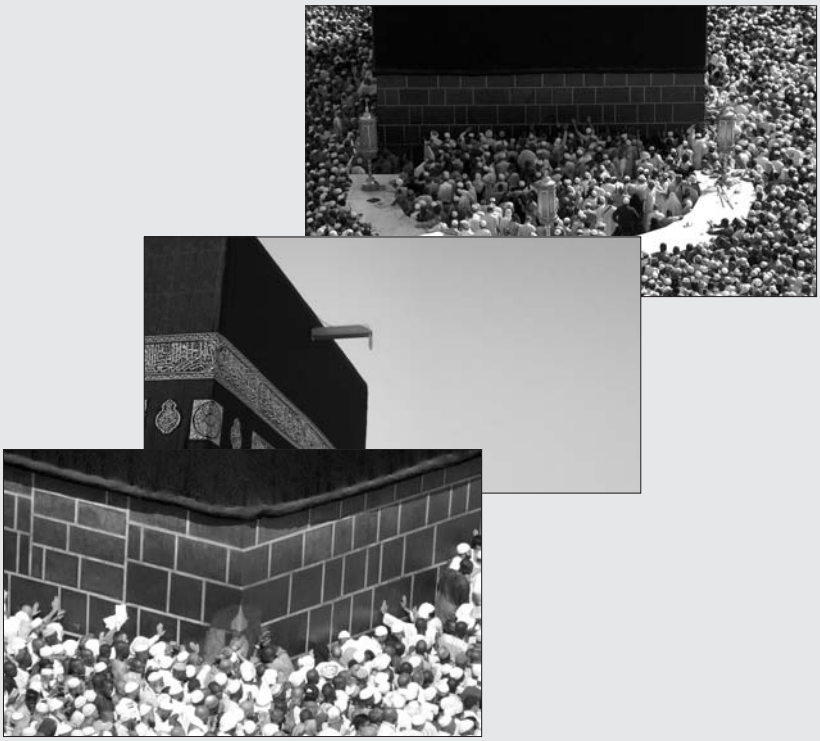

فضائل الحرمين الشريفين

في تراث أهل البيت عليهم السلام (٣)

محمّد علي المقدادي

تمهيد:

ما زلنا نواصل ما ذكرناه في العددين السابقين (٣٧ و ٣٨) حول فضائل حرمي مكة والمدينة، فقد احتلّ الحرمان الشريفان فضيلةً وقداسةً وتكريماً وتعظيماً مساحةً واسعةً في التراث الإسلامي، وعند جميع الفرق والمذاهب الإسلامية، وبالذات فيما وصل إلينا من أحاديث أهل البيت عليهم السلام، والتي تتميّز بأنها الأفضل والأصحّ؛ لأنها تصدر عن الثقل الثاني بعد التنزيل العزيز،

اللذين هما مصدرا العقيدة والتشريع، وفقاً لما جاء به الحديث النبويّ المعروف بحديث الثقلين، الذي رواه أصحاب الصحاح والمسانيد عن النبيّ الأكرمﷺ بألفاظ عديدة لكنها متقاربة، منها:

«يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله؛ وعترتي أهل بيتي».[١]

«إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».[٢]

وكيف لا تتوفر للحرمين تلك المساحة اللائقة، وهما يشكلان وجودين مباركين في حياة المسلمين في دينهم ودنياهم؛ لما يتمتعان به من خصائص نفتقدها في غيرهما، ولما أسند إليهما من دور في بناء الإنسان المسلم روحيّاً وأخلاقيّاً واجتماعيّاً..، ولما سنّ لهما وخاصةً للحرم المكي بمواقيته المتعدّدة من شرائع ومناسك وآداب بين ما يجب على المسلم أداؤه، وما ينبغي ويستحب له ذلك، حين تواجده فيهما في فريضة أو مستحب يؤديه، وأيضاً لفريضة الحج، وهي السبب الأهم، حين أذّن لها نبيّ الله إبراهيمعليه السلام، بأمر من الله سبحانه وتعالى، فأحيا به هذه البلاد يوم أن بثّ فيها الخير والعطاء، وغدا الناس يأتونها من كل مكان في عالمنا قديماً وحديثاً، ومنذ ذلك الوقت الذي شرع فيه منسك الحج المبارك، وصار يؤديه أنبياء وصالحون..، وما زال وسيبقى هذا المنسك

١. بحار الأنوار٢٩ : ٣٤٠ ؛ مسند الرضاعليه السلام، داود بن سليمان الغازي: ٢٠٣ ؛ كمال الدين، الشيخ الصدوق:٢٣٨.

٢. أنظر التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسولﷺ للشيخ منصور علي ناصف، من علماء الأزهر الشريف١: ٤٧ ؛ كتاب الإسلام والإيمان. و٣: ٣٤٨ كتاب الفضائل، وغيره من المصادر.

يتوجه نحوه المسلمون والمؤمنون لأدائه، حتى يأذن الله تعالى بنهاية دار الابتلاء والتكاليف، فينتقل الجميع إلى دار الجزاء والأجر والثواب ؟!

فقداسة الحرمين الشريفين «مكة المكرمة و المدينة المنورة» وما لهما من وظائف جليلة، أمرٌ أجمع عليه أهل التوحيد، مما جعلهما محلّ اهتمام أحاديث كثيرة ومواقف جليلة لأهل البيت عليهم السلام، وهم الأدرى بفضائل هذين الحرمين، وما لهما من دور كبير ومبارك في حياة المسلمين في البناء الإيماني لهم، أو الروحي والأخلاقي، فضلاً عما تتركه مناسك الحج واجتماعه السنويّ الحاشد من آثار في ثقافتهم، وتوحيد صفوفهم، وما يتمخض من منافع جليلة.. وقد شكلت تلك الأحاديث والأقوال والمواقف تراثاً كبيراً، صار مورد عناية ودراسة من قبل المسلمين، وبالذات أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، على المستوى الفقهي والروحي والخلقي..، ونحن هنا نقتبس ما يتيسر لنا منه، وبما يتعلق بفضائل هذين الحرمين المباركين مكة والمدينة، وننشره إن شاء الله تعالى على شكل حلقات في هذه المجلة.

***

٦ـ حِجْرُ إسماعيل:

١. قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنّ إسماعيل دفن أمه في الحجر، وجعل له حائطاً لئلا يوطأ قبرها».[١]

٢. الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: «الحجر بيت إسماعيل، وفيه قبر هاجر وقبر إسماعيل».

٣. وفيه: عن الصّادق عليه السلام: «دفن في الحجر ممّا يلي الركن الثالث عذارى بنات إسماعيل. ومن أراد أن يصلّي فيه فليكن صلاته على ذراعين من طرفه ممّا

١. بحار الأنوار ٩٦ : ٢٠٤.

يلي باب البيت، فإنّه موضع شبير وشبّر ابني هارون».[١]

٤. عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، والحسين بن محمّد، عن عبدويه بن عامر وغيره، ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، جميعاً ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن أبي العبّاس، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لمّا ولد إسماعيل حمله إبراهيم وأمّه على حمار وأقبل معه جبرئيل حتّى وضعه في موضع الحجر، ومعه شيءٌ من زاد ، و سقاءٌ فيه شيءٌ من ماء ، والبيت يومئذ ربوةٌ حمراء من مدر، فقال إبراهيم عليه السلام لجبرئيل عليه السلام: هاهنا أمرت؟ قال: نعم. قال: ومكّة يومئذ سلمٌ وسمرٌ وحول مكّة يومئذ ناسٌ من العماليق».

٥. وفي حديث آخر عنه أيضاً قال: «فلمّا ولّى إبراهيم قالت هاجر: يا إبراهيم إلى من تدعنا؟ قال: أدعكما إلى ربّ هذه البنيّة. قال: فلمّا نفد الماء و عطش الغلام، خرجت حتّى صعدت على الصّفا، فنادت: هل بالبوادي من أنيس؟ ثمّ انحدرت حتّى أتت المروة، فنادت مثل ذلك، ثمّ أقبلت راجعةً إلى ابنها، فإذا عقبه يفحص في ماء، فجمعته فساخ ولو تركته لساح».[٢]

٦. محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن النّعمان، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ إسماعيل دفن أمّه في الحجر وحجّر عليها ؛ لئلاّ يوطأ قبر أمّ إسماعيل في الحجر».[٣]

٧. بعض أصحابنا، عن ابن جمهور، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الحجر بيت إسماعيل، وفيه قبر هاجر وقبر إسماعيل».[٤]

---

١ . مستدرك سفينة البحار ٢ : ٢٢١ ـ ٢٢٢.

٢ . الكافي٤ :٢٠١.

٣ . المصدر نفسه ٤ :٢١٠.

٤ . المصدر نفسه.

٨ . محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيّوب، عن معاوية بن عمّار، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحجر أمن البيت هو أو فيه شيءٌ من البيت؟ فقال: «لا ولا قلامة ظفر، ولكن إسماعيل دفن أمّه فيه، فكره أن توطأ، فحجّر عليه حجراً، وفيه قبور أنبياء».[١]

٩. عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن الوليد شباب الصّيرفيّ، عن معاوية بن عمّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «دفن في الحجر ممّا يلي الركن الثّالث عذارى بنات إسماعيل».[٢]

١٠. عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبي بلال المكّيّ قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام دخل الحجر من ناحية الباب، فقام يصلّي على قدر ذراعين من البيت، فقلت له: ما رأيت أحداً من أهل بيتك يصلّي بحيال الميزاب. فقال: «هذا مصلّى شبّر وشبير ابني هارون».[٣]

١١. محمّد بن يحيى، عن بنان بن محمّد، عن موسى بن القاسم، عن عليّ بن جعفر، عن أخيه أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن رجل جعل جاريته هدياً للكعبة، كيف يصنع؟ قال: «إنّ أبي أتاه رجلٌ قد جعل جاريته هدياً للكعبة، فقال له: قوّم الجارية أو بعها ثمّ مر منادياً يقوم على الحِجْر، فينادي ألا من قصرت به نفقته، أو قطع به طريقه، أو نفد به طعامه، فليأت فلان بن فلان، ومره أن يعطي أولاً فأولاً حتّى ينفد ثمن الجارية».[٤]

١٢. عليّ بن إبراهيم، عن صالح بن السّنديّ، عن جعفر بن بشير، عن أبان

١ . المصدر نفسه.
٢ . المصدر نفسه.
٣ . المصدر نفسه ٤ :٢١٤ ؛ وسائل الشيعة ٥ : ٢٧٤.
٤ . الكافي ٤ :٢٤٢.

عن أبي الحرّ، عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: «جاء رجلٌ إلى أبي جعفرعليه السلام فقال: إنّي أهديت جاريةً إلى الكعبة، فأعطيت بها خمسمائة دينار، فما ترى؟ قال: بعها ، ثمّ خذ ثمنها ، ثمّ قم على حائط الحِجْر، ثمّ نادِ وأعطِ كلّ منقطع به، وكلّ محتاج من الحاجّ».[1]

١٣. عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، و محمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، وصفوان، عن معاوية بن عمّار، عن

أبي عبداللهعليه السلام قال: «إذا كان يوم التّروية إن شاء اللّه فاغتسل، والبس ثوبيك، وادخل المسجد حافياً، وعليك السّكينة والوقار، ثمّ صلّ ركعتين عند مقام إبراهيمعليه السلام، أو في الحِجْر، ثمّ اقعد حتى تزول الشّمس، فصلّ المكتوبة، ثمّ قل في دبر صلاتك، كما قلت حين أحرمت من الشّجرة، وأحرم بالحجّ، ثمّ امض وعليك السّكينة والوقار، فإذا انتهيت إلى الرّفضاء دون الرّدم فلبّ؛ فإذا انتهيت إلى الرّدم، وأشرفت على الأبطح، فارفع صوتك بالتّلبية، حتّى تأتي

١ . المصدر نفسه.

منىً».[١]

١٤. عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن الحسن بن الجهم، قال: سألت أبا الحسن الرّضا عليه السلام عن أفضل موضع في المسجد يصلّى فيه؟ قال: «الحطيم ما بين الحِجْر و باب البيت. قلت: والّذي يلي ذلك في الفضل، فذكر أنّه عند مقام إبراهيم عليه السلام؛ قلت: ثمّ الّذي يليه في الفضل، قال: في الحِجْر، قلت: ثمّ الّذي يلي ذلك، قال: كلّما دنا من البيت».[٢]

١٥. القطب الرّاونديّ في لبّ اللّباب: «و روي أنّ إسماعيل شكا حرّ مكّة، فأوحى الله إليه أنّي أفتح لك باباً من أبواب الجنّة في الحِجْر، يجري لك الرّوح إلى يوم القيامة».[٣]

١٦. عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيّوب، عن أبان، عن زرارة قال: سألته عن الرّجل يصلّي بمكّة، يجعل المقام خلف ظهره وهو مستقبل القبلة؟ فقال: «لا بأس يصلّي حيث شاء من المسجد بين يدي المقام أو خلفه وأفضله الحطيم، والحِجْر، وعند المقام، والحطيم حذاء الباب».[٤]

١٧. محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، وعن محمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا كان يوم التّروية إن شاء الله فاغتسل، ثمّ البس ثوبيك، و ادخل المسجد إلى أن قال ثمّ صلّ ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام أو في الحِجْر

١. المصدر نفسه ٤ : ٤٥٤.
٢. المصدر نفسه ٤ : ٥٢٥.
٣. مستدرك الوسائل ٩ :٣٦٦.
٤. الكافي ٤ : ٥٢٦.

ثمّ أحرم بالحجّ»...[١]

١٨. قال: «و روي أنّ إبراهيم عليه السلام لمّا قضى مناسكه أمره اللّه بالانصراف، فانصرف و ماتت أمّ إسماعيل فدفنها في الحِجْر، وحجّر عليها لئلاّ يوطأ قبرها».[٢]

١٩. و في العلل، عن أبيه، عن سعد بن عبد اللّه، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام أو أبي عبد الله عليه السلام في حديث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قال: «وتوفّي إسماعيل بعده، وهو ابن ثلاثين ومائة سنة، فدفن في الحِجْر مع أمّه».[٣]

٢٠. فقه الرّضا عليه السلام: «أكثر الصّلاة في الحجر، وتعمّد تحت الميزاب، و ادع عنده كثيراً، وصلّ في الحِجْر على ذراعين من طرفه ممّا يلي البيت، فإنّه موضع شبير و شبّر ابني هارون، وإن تهيّأ لك أن تصلّي صلواتك كلّها عند الحطيم فافعل، فإنّه أفضل بقعة على وجه الأرض، والحطيم ما بين الباب والحجر الأسود، وهو الموضع الّذي فيه تاب اللّه على آدم عليه السلام، وبعده الصّلاة في الحِجْر أفضل، وبعده ما بين الرّكن العراقيّ وباب البيت، وهو الموضع الّذي كان فيه المقام في عهد إبراهيم عليه السلام إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده خلف المقام الّذي هو السّاعة، وما قرب من البيت فهو أفضل».[٤]

٢١. ابن شهرآشوب في المناقب، عن طاووس الفقيه، قال: «رأيت في الحِجْر زين العابدين عليه السلام يصلّي ويدعو: «عبيدك ببابك، أسيرك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك ببابك، يشكو اليك ما لايخفى عليك». وفي خبر: «لا تردّني

---

١. وسائل الشيعة ١١ : ٣٣٩.
٢. المصدر نفسه ١٣ : ٣٥٥.
٣. المصدر نفسه.
٤. مستدرك الوسائل ٣ : ٤٢٢.

عن بابك...».[١]

٢٢. وعن عليّ بن مزيد بيّاع السّابريّ، قال: رأيت أبا عبدالله عليه السلام في الحِجْر تحت الميزاب، مقبلاً بوجهه على البيت، باسطاً يديه وهو يقول: «أللّهمّ ارحم ضعفي، وقلّة حيلتي، أللّهمّ أنزل عليّ كفلين من رحمتك، وأدرر عليّ من رزقك الواسع، وادرأ عنّي شرّ فسقة [الجنّ والإنس، وشرّ فسقة] العرب والعجم، أللّهمّ أوسع عليّ من الرّزق، ولا تقتر عليّ، أللّهمّ ارحمني، ولا تعذّبني، ارض عنّي ولا تسخط عليّ، إنّك سميع الدّعاء قريبٌ مجيبٌ».[٢]

٢٣. الصّدوق في كمال الدّين، عن أحمد بن زياد الهمدانيّ، عن جعفر بن أحمد العلويّ، عن عليّ بن أحمد العقيقيّ، عن أبي نعيم الأنصاريّ، عن القائم عليه السلام في حديث طويل أنّه قال: «كان عليّ بن الحسين عليه السلام يقول في سجوده في هذا الموضع، وأشار بيده إلى الحِجْر تحت الميزاب: عبيدك بفنائك، (سائلك بفنائك) يسألك ما لا يقدر عليه غيرك».[٣]

٢٤. علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن عاصم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان علي بن الحسين عليهما السلام إذا بلغ الحِجْر قبل أن يبلغ الميزاب يرفع رأسه ثم يقول: أللهم أدخلني الجنة برحمتك وهو ينظر إلى الميزاب وأجرني برحمتك من النار، وعافني من السقم، وأوسع عليّ من الرزق الحلال، وادْرأ عنّي شر فسقة الجن والإنس، وشرّ فسقة العرب والعجم».[٤]

٢٥. الإمام الجواد عليه السلام في الحِجْر: أميّة بن علي، قال: كنت مع أبي الحسن (الإمام الرضا) عليه السلام بمكّة ـ في السنة التي حجّ فيها، ثم سار إلى خراسان ومعه

١. بحار الأنوار ٩٩ : ١٩٧ ؛ مستدرك الوسائل ٣ : ٤٢٤.
٢. المصدر نفسه ٩ : ٤٢٧.
٣. المصدر نفسه ٩ : ٤١٨.
٤. الكافي ٤ : ٤٠٧.

أبوجعفر (الإمام الجواد) عليه السلام وأبو الحسن يودّع البيت، فلمّا قضى طوافه عَدَلَ إلى المقام، فصلى عنده، فصار أبو جعفر عليه السلام على عنق موفق يطوف به، فصار أبوجعفر إلى الحِجْر، فجلس فيه فأطال، فقال له موفق: قم جعلت فداك. فقال: «ما أريد أن أبرح من مكاني هذا، إلاّ أن يشاء الله، واستبان في وجهه الغمّ، فأتى موفق أبا الحسن عليه السلام، فقال: جعلت فداك قد جلس أبو جعفر في الحجر، وهو يأبى أن يقوم، فقام أبو الحسن عليه السلام فأتى أبا جعفر عليه السلام، فقال له: قم يا حبيبي. فقال: ما أريد أن أبرح من مكاني هذا. قال: بلى يا حبيبي. ثم قال: كيف أقوم وقد ودّعت البيت وداعاً لا ترجع إليه، فقال: قم يا حبيبي فقام معه».[1]

٢٦. الدعاء في الحِجْر: «أللّهم أنت ربّي لا إله إلاّ أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنّه لايغفر الذنوب إلاّ أنت، أللّهم إنّي أسألك من خير ما سألك به عبادك الصالحون، أللّهم بجاه نبيّك المصطفى، ورسولك المرتضى، طهّر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عن مشاهدتك ومحبّتك، وأمتنا على السنّة والجماعة، والشوق إلى لقائك، ياذا الجلال والإكرام، أللّهم نوّر بالعلم قلبي، واستعمل بطاعتك بدني، وخلّص من الفتن سرّي، واشغل بالاعتبار فكري، وقني شرّ وساوس الشيطان، وأجرني منه يا رحمن، حتى لا يكون له عليّ سبيل، ربّنا إنّنا آمنّا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار».[2]

---

١. بحار الأنوار ٤٩: ١٢٠؛ الحج والعمرة ومعرفة الحرمين الشريفين، الشيخ علي الافتخاري: ٩٠ـ٩١.

٢. أسرار الحج، للنراقي: ١١١؛ الحج والعمرة ومعرفة الحرمين الشريفين، الشيخ علي الافتخاري: ٩٠.

٧ ـ الميزاب[١]:

١. وكان الإمام السجّاد عندما يطوف، ينظر إلى الميزاب ويقول:

«أللّهمّ أدخلني الجنّة برحمتك، وأجرني برحمتك من النار، وعافني من السّقم، وأوسع عليّ من الرّزق الحلال، وادرأ عنّي شرّ فسقة الجنّ والإنس، وشرّ فسقة العرب والعجم».[٢]

٢. عن علي بن مزيد بياع السابري، قال: «رأيت أبا عبدالله عليه السلام في الحجر تحت الميزاب مقبلاً بوجهه على البيت، باسطاً يديه وهو يقول:

«اللّهمّ ارحم ضعفي، وقلّة حيلتي، اللّهمّ أنزل عليَّ كفلين من رحمتك، و ادرُرْ عليَّ من رزقك الواسع، و ادْرأ عَنّي شرّ فسقة الجنّ والإنس وشرّ فسقة العرب والعجم، اللّهمّ أوسع عليَّ من الرّزق ولاتقتّر عليَّ، اللّهمّ ارحمني و لا

---

١ . الميزاب: للكعبة ميزاب وضعته قريش حين بنتها سنة ٣٥ من ولادة النبي صلى الله عليه وآله على سطح الكعبة في الجهة الشمالية بين الركن الشمالي والركن الغربي حين عملت لها سقفاً وكانت قبل ذلك بلا سقف، ويمتد نحو حجر إسماعيل عليه السلام ليسكب ماءه المتجمع على سطح الكعبة عند سقوط الأمطار أو غسل سطحها في بطن الحجر.

قال الأزرقي: وذرع طول الميزاب أربعة أذرع، وسعته ثمانية أصابع في ارتفاع مثلها. والميزاب ملبس بصفايح ذهب داخله وخارجه، وكان الذي جعل عليه الذهب الوليد بن عبد الملك.

وقد وقع تغيير وتبديل في ميزاب الكعبة المشرفة، وذلك لسببين: أحدهما كان إذا اعتراه خرابٌ عمل غيره، والثاني كان بعض الملوك أو الأغنياء من عظماء المسلمين يهدي للكعبة المعظمة ميزاباً فيركب في الكعبة المشرفة، وينزع الذي قبله.

والميزاب الموجود في الكعبة المشرفة إلى العصر الحاضر هو الميزاب الذي عمله السلطان عبد المجيد خان بن السلطان محمود خان، عمله في القسطنطينية، ثم جيء به وركب سنة ١٢٧٦هـ، وهذا الميزاب مصفح بالذهب. وقد أدخلت عليه ترميمات جزئية في المسامير العلوية المانعة لوقوف الحمام عليه.

٢ . الكافي ٤: ٤٠٧ ؛ أدعية وآداب الحرمين في العمرة المفردة: ٣٢٠.

تعذّبني، أرض عني، ولا تسخط عليَّ، إنك سميع الدعاء، قريب مجيب».[١]

٣. روى العلامة المجلسي قدس سره عن الإمام الصادق عليه السلام: «... ماء الميزاب يشفي المريض».[٢]

٤. قال طاووس: رأيت رجلاً يصلّي في المسجد الحرام تحت الميزاب يدعو ويبكي في دعائه، فجئته حين فرغ من صلاته، فإذا هو عليّ بن الحسين عليهما السلام، فقلت له: يا بن رسول الله رأيتك على حالة كذا ولك ثلاثة أرجو أن تؤمّنك من الخوف: أحدها أنّك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، والثاني: شفاعة جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله، والثالثة: رحمة الله تعالى. فقال عليه السلام: يا طاووس! أمّا إنّي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يؤمنني؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلونَ﴾.[٣] وأمّا شفاعة جدّي فلا تؤمنني، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾.[٤] وأمّا رحمة الله فإنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.[٥] ولا أعلم أنّي محسن.[٦]

٥. محمد بن عيسى، وأحمد بن إسحاق جميعاً، عن سعدان بن مسلم قال: رأيت أبا الحسن موسى عليه السلام استلم الحجر...، فكان آخر عهده بالبيت تحت الميزاب، وبسط يده ودعا، ثمّ مكث ما شاء الله، ثمّ خرج من باب الحنّاطين حتى أتى ذا طوى، وكان وجهه إلى المدينة.[٧]

٦. فضل ماء الميزاب: عن يعقوب بن يزيد، عن يحيى بن المبارك، عن عبدالله

١. بحار الأنوار ٩٦: ١٩٩.
٢. المصدر نفسه ٥٩: ٢٨٦.
٣. المؤمنون ٢٣: ١٠١.
٤. الأنبياء ٢١: ٢٨.
٥. الأعراف ٧: ٥٦.
٦. كشف الغمّة ٢: ١٠٨؛ حلية الأبرار٣: ٢٨٩/ ١٥؛ البحار ٤٦: ١٠١/ ٨٩؛ العوالم ١٨: ١٢٠/ ٣؛ حج الأنبياء والأئمة عليهم السلام ١: ٣٠٤.
٧. قرب الإسناد: ٣١٦/ ١٢٢٦؛ الوسائل١٣: ٣٤٨/ ١٧٩١٨، البحار٩٩: ١٩٤/ ١.

بن جبلة، عن صارم قال: اشتكى رجل من إخواننا بمكّة، حتّى سقط للموت، فلقيت أبا عبدالله عليه السلام في الطريق، فقال لي: يا صارم ما فعل فلان؟ فقلت: تركته بحال الموت، فقال: أما لو كنت مكانكم لأسقيته من ماء الميزاب، قال: فطلبناه

عند كلّ أحد فلم نجده، فبينا نحن كذلك إذا ارتفعت سحابة، ثمّ أرعدت وأبرقت وأمطرت، فجئت إلى بعض من في المسجد، فأعطيته درهماً وأخذت قدحاً، ثمّ أخذت من ماء الميزاب، فأتيته به فسقيته، فلم أبرح من عنده حتّى شرب سويقاً وبرئ بعد ذلك.[٨]

٧. وكان الصادق عليه السلام تحت الميزاب، ومعه جماعة إذ جاء شيخ فسلم، ثم قال: يا ابن رسول الله إني لأحبكم أهل البيت، وأبرأ من عدوكم، وإني بليت ببلاء شديد، وقد أتيت البيت متعوذاً به مما أجد، [وتعلقت بأستاره، ثم أقبلت إليك، وأنا أرجو أن يكون سبب عافيتي مما أجد]، ثم بكى وأكبّ على أبي عبدالله عليه السلام يقبّل رأسه ورجليه، وجعل أبوعبدالله عليه السلام يتنحّى عنه، فرحمه وبكى؛ ثم قال: «هذا أخوكم قد أتاكم متعوّذاً بكم، فارفعوا أيديكم؛ فرفع أبوعبدالله عليه السلام يديه

٨. المحاسن ٢ : ٤٠١ ؛ الكافي ٦ : ٣٨٧ ؛ الوسائل ٢٥ : ٢٦٢ ؛ محمدرضا نعمتي، الحج في السنة.

ورفعنا أيدينا، ثم قال عليه السلام: أللهم إنك خلقت هذه النفس من طينة أخلصتها، وجعلت منها أولياءك وأولياء أوليائك، وإن شئت أن تنحي عنها الآفات لفعلت. أللهم وقد تعوذ بيتك الحرام الذي يأمن به كل شئ. أللهم وقد تعوذ بنا، وأنا أسألك يا من احتجب بنوره عن خلقك أسألك بحق محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين يا غاية كل محزون وملهوف ومكروب ومضطر مبتلى أن تؤمنه بآماننا مما يجد، وأن تمحو من طينته ما قدر عليها من البلاء، وأن تفرج كربته يا أرحم الرحمين».

فلما فرغ من الدعاء انطلق الرجل، فلما بلغ باب المسجد رجع وبكى، ثم قال: ﴿اَللّٰهُ اَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، والله ما بلغت باب المسجد وبي مما أجد قليل ولا كثير، ثم ولى.[١]

٨. قال ابن ظهيرة: «ويروى عن أبي هريرة وسعيد بن جبير و[الإمام] زين العابدين عليه السلام أنّهم كانوا يلتزمون ما تحت الميزاب من الكعبة قال: ومن فضائل الحِجْر أنّ فيه قبر إسماعيل وأمّه هاجر».[٢]

٩. عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن محمّد بن سنان، عن عبدالله بن مسكان قال: حدّثني أيّوب أخو أُديم[٣]، عن الشيخ [يعني موسى بن جعفر] عليهما السلام، قال: قال لي أبي: كان أبي عليه السلام إذا استقبل الميزاب قال: «أللّهمّ اعتق رقبتي من النّار، واوسع عليّ من رزقك الحلال، وادرء عنّي شرّ فسقة الجنّ والإنس، وأدخلني الجنّة برحمتك».[٤]

---

١ . الدعوات، قطب الدين الراوندي: ٢٠٤ ٢٠٥.

٢ . السيد محمد مهدي بحر العلوم، تحفة الكرام في تاريخ مكة وبيت الله الحرام : ١٦٦.

٣ . هو أيّوب بن الحرّ الجعفي من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام.

٤ . الكافي ٤ : ٤٠٧/ ٢ ؛ وسائل الشيعة ١٣: ٣٣٤ / ١٧٨٧٨.

١٠. عن الرضا عليه السلام: «فاذا انتهيت إلى تحت الميزاب فقل: أللّهم أظلني تحت ظلّ عرشك، يوم لاظلّ إلاّ ظلّك، آمني روعة القيامة، واعتقني من النار، و أوسع عليّ رزقي من الحلال، وادرء عني شرّ فسقة الجنّ والإنس، وشرّ فتنة العرب والعجم، واغفرلي وتب عليَّ، إنك أنت التواب الرحيم».[١]

١١. عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام: «أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان إذا حاذى ميزاب الكعبة وهو في الطواف يقول: أللّهم إنّي أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند الحساب».[٢]

١٢. الإمام الحجة صلوات الله عليه تحت الميزاب:

عن أبي نعيم الأنصاري، [عن القائم عليه السلام في حديث طويل أنّه قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام يقول في سجوده] قال: «كان صلوات الله عليه يقول في سجوده في هذا الموضع، وأشار بيده إلى الحجر تحت الميزاب: «عبيدك بفنائك، سائلك بفنائك، يسئلك ما لا يقدر عليه غيرك».[٣]

١٣. دعاء الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام تحت الميزاب، و روي أنه فيه الاسم الأعظم:

«يا نور يا قدّوس، يا نور يا قدّوس، يا نور يا قدّوس، يا حيّ يا قيّوم، يا حيّ يا قيّوم، يا حيّ ياقيّوم، يا حيّ لا يموت، يا حيّ لا يموت، يا حيّ لا يموت، يا حيّ حين لا حيّ، يا حيّ حين لا حيّ، ياحيّ حين لا حيّ، يا حيّ لا إله إلا أنت، يا حيّ لا إله إلا أنت، يا حيّ لا إله إلا أنت، أسألك يا لا إله إلا أنت، أسألك يا لا إله إلا أنت، أسألك يا لا إله إلا أنت، أسألك بلا إله إلا أنت، يا

١. المستدرك ٢ :١٤٩ ؛ الحج والعمرة ومعرفة الحرمين الشريفين، للشيخ علي الافتخاري :٨٧.
٢. الحج والعمرة ومعرفة الحرمين الشريفين : ٨٨ ؛ فتح العزيز، عبدالكريم الرافعي٧ : ٣٢٤.
٣. البحار٩٩ :١٩٥؛ علي الافتخاري، الحج والعمرة ومعرفةالحرمين‌الشريفين : ٨٩ ؛ مستدرك الوسائل ٩: ٤١٨.

حيّ لا إله إلا أنت، أسألك بلا إله إلا أنت، يا حيّ لا إله إلا أنت، أسألك بلا إله إلا أنت، يا حيّ لا إله إلا أنت، أسألك بلا إله إلا أنت، أسألك بلا اله الا أنت، أسألك بلا اله الا أنت، أسألك باسمك الله الرّحمن الرّحيم العزيز المبين، أسألك باسمك الله الرّحمن الرّحيم العزيز المبين، أسألك باسمك الله الرّحمن الرّحيم العزيز المبين».[١]

٨ الركن اليماني

١. أحمد بن محمّد، عن البرقيّ، رفعه عن أبي اسامة زيدٍ الشّحّام، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كنت أطوف مع أبي، و كان إذا انتهى إلى الحجر مسحه بيده و قبّله، و إذا انتهى إلى الرّكن اليماني التزمه، فقلت: جعلت فداك تمسح الحجر بيدك و تلتزم اليمانيّ؟ فقال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما أتيت الرّكن اليماني إلاّ وجدت جبرئيل عليه السلام قد سبقني إليه يلتزمه».[٢]

٢. عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، و محمّد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عميرٍ، عن حفص بن البختريّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ في هذا الموضع يعني حين يجوز الرّكن اليماني ـ ملكاً أعطي سماع أهل الأرض، فمن صلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله حين يبلغه، أبلغه إيّاه».[٣]

٣. محمّد بن يحيى، عمّن ذكره، عن محمّد بن جعفرٍ النّوفليّ، عن إبراهيم بن عيسى، عن أبيه، عن أبي الحسن عليه السلام: «أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله طاف بالكعبة، حتّى إذا بلغ الرّكن اليماني رفع راسه إلى الكعبة، ثمّ قال: الحمدلله الّذي شرّفك و عظّمك و الحمدلله الّذي بعثني نبيّاً، و جعل عليّاً إماماً، اللّهمّ اهد له خيار

١. بحار الأنوار ٩١ :٣١٣ ٣١٤ ؛ مستدرك الوسائل ٩ :٤٣٣.
٢. وسائل الشيعة ٣ : ٣٣٨ ؛ الكافي ٤ : ٤٠٨.
٣. الكافي ٤ : ٤٠٩.

خلقك و جنّبه شرار خلقك».[١]

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، أبي عن محمّد بن العطّار عن الأشعريّ، عن سهلٍ، عن أحمد بن موسى، عن محمّد بن سعدٍ عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال: كنت معه في الطّواف، فلمّا صرنا معه بحذاء الرّكن اليماني، قام عليه السلام فرفع يده و قال: «يا الله، يا وليّ العافية، و رازق العافية، والمنعم بالعافية، والمنّان بالعافية، والمتفضّل بالعافية عليّ وعلى جميع خلقك، رحمان الدنيا و الآخرة و رحيمهما،

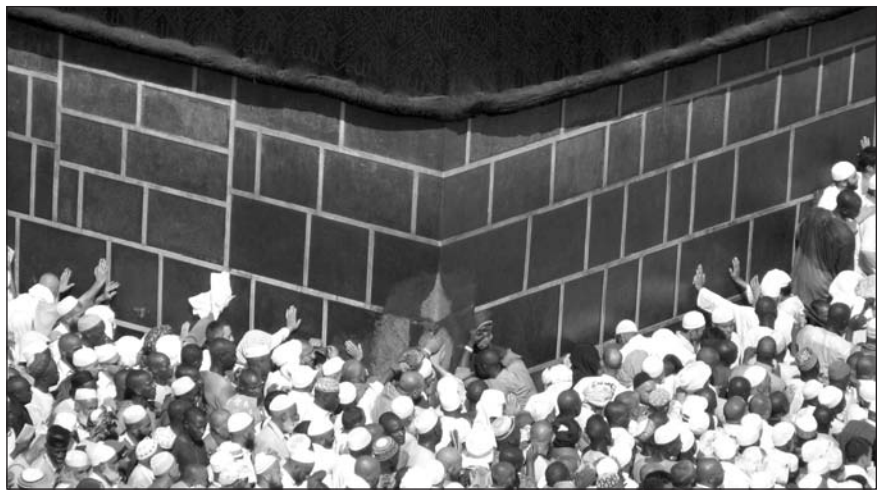

صلّ على محمّدٍ و آل محمّدٍ و ارزقنا العافية و تمام العافية في شكر العافية، في الدنيا و الآخرة يا أرحم الرّاحمين».[٢]

٥. عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زيادٍ، عن محمّد بن الوليد، شباب الصّيرفيّ عن معاوية بن عمّارٍ الدّهنيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «دفن ما بين الرّكن اليماني و الحجر الأسود سبعون نبيّاً، أماتهم الله جوعاً و ضرّاً».[٣]

---

١. المصدر السابق ٤ : ٤١٠.
٢. عيون أخبار الرضا ١٧ : ١٩.
٣. الكافي ٤ : ٢١٤.

٦. عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عميرٍ، عن معاوية بن عمّارٍ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «الرّكن اليماني بابٌ من أبواب الجنّة، لم يغلقه الله منذ فتحه»؛ و في روايةٍ أخرى: «بابنا إلى الجنّة الّذي منه ندخل».[١]

٧. فقه الرضا عليه السلام: «تطوف أسبوعاً، و تقارب بين خطاك ... فإذا بلغت الرّكن اليماني فاستلمه، فإنّ فيه باباً من أبواب الجنّة، لم يغلق منذ فتح، و تشير منه إلى زاوية المسجد مقابل هذا الرّكن و تقول: أصلّي عليك يا رسول الله؛ وتقول بين الرّكن اليماني وبين ركن الحجر الأسود: ﴿**رَبَّنا آتِنا فِي الدنيَا حَسَنَةً وَ فِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنا عَذابَ النَّارِ**﴾ فإذا كنت في الشّوط السّابع فقف عند المستجار، وتعلّق بأستار الكعبة، وادع الله كثيراً، و ألحّ عليه، و سل حوائج الدنيا و الآخرة، فإنه قريبٌ مجيبٌ».[٢]

٨. قال الصّادق عليه السلام: «إنه بابنا الّذي ندخل منه الجنّة، ولهذا قال عليه السلام: إنّ فيه باباً من أبواب الجنّة، لم يغلق منذ فتح، و فيه نهرٌ من الجنّة تلقى فيه أعمال العباد».

قال المصنف: و هذا هو الرّكن اليمانيّ، لا ركن الحجر.[٣]

٩. و عنهم، عن سهل بن زيادٍ، عن الحسن بن عليّ بن النّعمان، عن إبراهيم بن سنانٍ، عن أبي مريم قال: كنت مع أبي جعفر عليه السلام أطوف، فكان لا يمرّ في طوافٍ من طوافه بالركن اليمانيّ، إلاّ استلمه؛ ثمّ يقول: «أللّهمّ تب عليّ حتّى أتوب، واعصمني حتّى لا أعود».[٤]

١٠. و عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّدٍ، عن محمّد بن إسماعيل، عن محمّد بن الفضيل، عن الرّبيع بن خثيمٍ، قال: شهدت أبا عبدالله عليه السلام و هو يطاف

١. المصدر نفسه ٤ : ٤٠٩.
٢. فقه الرضا٧، علي بن بابويه: ٢١٩.
٣. علل الشرائع، الشيخ الصدوق٢ : ٤٢٤.
٤. وسائل الشيعة ٣ : ٣٣٤.

به، حول الكعبة في محملٍ، و هو شديد المرض، فكان كلّما بلغ الرّكن اليمانيّ، أمرهم فوضعوه بالأرض، فأخرج يده من كوّة المحمل، حتّى يجرّها على الأرض، ثمّ يقول: «ارفعوني؛ فلمّا فعل ذلك مراراً في كلّ شوطٍ، قلت له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إنّ هذا يشقّ عليك؛ فقال: إني سمعت الله عزّوجلّ يقول: ﴿**لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ**﴾؛ فقلت: منافع الدنيا أو منافع الآخرة؟ فقال: الكلّ».[١]

١١. و عنه، عن أبيه، عن ابن أبي عميرٍ، عن معاوية بن عمّارٍ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «الرّكن اليمانيّ بابٌ من أبواب الجنّة، لم يغلقه الله منذ فتحه».[٢]

١٢. محمّد بن عليّ بن الحسين، قال: و روي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله و الأئمّة عليهم السلام من العلل قال: «صار النّاس يستلمون الحجر و الرّكن اليمانيّ، و لا يستلمون الرّكنين الآخرين، لأنّ الحجر الأسود و الرّكن اليمانيّ عن يمين العرش، و إنما أمر الله أن يستلم ما عن يمين عرشه».[٣]

١٣. غياث بن إبراهيم، عن جعفرٍ عليه السلام، عن أبيه عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يستلم إلاّ الرّكن الأسود و اليمانيّ، ثمّ يقبّلهما و يضع خدّه عليهما، و رأيت أبي يفعله».[٤]

١٤. و عنه، عن أحمد بن محمّدٍ، عن الحسين بن سعيدٍ، عن فضالة بن أيّوب، عن معاوية قال: رأيت العبد الصّالح عليه السلام دخل الكعبة، فصلّى ركعتين على الرّخامة الحمراء، ثمّ قام فاستقبل الحائط بين الرّكن اليمانيّ و الغربيّ، فرفع يده عليه و لصق به و دعا، ثمّ تحوّل إلى الرّكن اليمانيّ فلصق به و دعا، ثمّ أتى

---

١. المصدر نفسه ٣: ٣٩١.
٢. المصدر نفسه٣: ٣٤٢.
٣. المصدر نفسه٣: ٣٣٨ـ ٣٣٩.
٤. المصدر نفسه٣: ٣٣٨.

الرّكن الغربيّ ثمّ خرج».[١]

١٥. عن سهل، عن يعقوب بن يزيد، عن أبي الفرج السندي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كنت أطوف معه بالبيت، فقال عليه السلام: أي هذا أعظم حرمة؟ فقلت: جعلت فداك أنت أعلم بهذا مني؛ فأعاد عليّ فقلت له: داخل البيت. فقال: الركن اليماني على باب من أبواب الجنة، مفتوح لشيعة آل محمد، مسدود عن غيرهم، و ما من مؤمن يدعو بدعاء عنده إلا صعد دعاؤه حتى يلصق بالعرش، ما بينه و بين الله حجاب».[٢]

١٦. بعض نسخ الرّضويّ عليه السلام، عن أبي عبدالله الحسين عليه السلام أنه قال: «الرّكن اليماني بابٌ من أبواب الجنّة لم يمنعه منذ فتحه و أنّ ما بين هذين الرّكنين الأسود و اليمانيّ ملكٌ يدعى هجّير يؤمّن على دعاء المؤمنين».[٣]

١٧. فقه الرّضا عليه السلام: «فإذا بلغت الرّكن اليماني فاستلمه فإنّ فيه باباً من أبواب الجنّة لم يغلق منذ فتح، و تسير منه إلى زاوية المسجد مقابل هذا الرّكن و تقول: أصلّي عليك يا رسول الله».[٤]

١٨. الإمام الصادق عليه السلام: «...و باب الرّكن اليماني باب التّوبة، و هو باب آل محمّد: وشيعتهم إلى الحجر».[٥]

٩ ـ المسجد الحرام

قال سماحة العلامة آية الله الشيخ عبدالله جوادي آملي:

---

١. المصدر نفسه ٣ : ٣٣٧.
٢. الوافي ١٣ : ٨٣٦.
٣. مستدرك الوسائل٩ :٣٩١.
٤. المصدرالسابق٩ :٣٨٩.
٥. بحارالأنوار ٩٩ :٦٣٠.

الحرمة الخاصّة للمسجد الحرام

تتمتّع المساجدُ كافّة لاسيما منها المسجد الحرام بحرمة خاصّة؛[٦] فالمسجد الحرام يحوي بيت الله الحرام، والمكان النهائي لذلك البيت الشريف ،[٧] ونقطة انطلاق الإسراء والمعراج.[٨]

إنّ مكان الحجّ والزيارة، كموسمها وزمانها، حرامان محترمان، من هنا حرّم القتال الابتدائي فيه، لكن حيث إنّ القصاص لا يختصّ بالنفس أو الطرف، وإنّما هناك قصاص في نقض الحرمات وهتك احترامها: ﴿**الشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾.[٩]

يقول الله تعالى: ﴿**وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَ لا تُقاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ حَتَّى يُقاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذلِكَ جَزاءُ الْكافِرِينَ**﴾.[١٠]

ومن الواضح أنّ حرمة المسجد الحرام نشأت من احترام الكعبة، تماماً كما كان احترام الكعبة والمسجد سبباً في حرمة مكّة، واحترام الثلاثة معاً سبباً في حرمة الحرم الإلهي، لكن حيث كانت هذه الحرمات كافّة ؛ لأجل الإسلام نفسه، صدر أمرٌ بضرورة قتل المشركين هناك عندما يتعرّض المسلمون في

---

٦ . اُنظر: سورة الجنّ: ١٨؛ والحجّ: ٤٠ ؛ والأعراف: ٢٩، ٣١؛ والبقرة: ١١٤، ١٨٧؛ والأنفال: ٣٤؛ والتوبة: ٢٨.

٧ . البقرة: ١٤٤.

٨ . الإسراء: ١.

٩ . البقرة: ١٩٤

١٠ . البقرة: ١٩١.

المسجد الحرام من جانبهم للهجوم بغية إبادة الإسلام...[١]

١. الأمالي للشيخ الطوسي، بإسناد أخي دعبلٍ، عن الرّضا عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام أنه قال: «أربعةٌ من قصور الجنّة في الدّنيا، المسجد الحرام، و مسجد الرّسول، و مسجد بيت المقدس، و مسجد الكوفة».[٢]

٢. وقال أبو جعفر عليه السلام لأبي حمزة الثمالي: «المساجد الأربعة: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله، ومسجد بيت المقدس، ومسجد الكوفة، يا أبا حمزة! الفريضة فيها تعدل حجة، والنافلة تعدل عمرة».[٣]

٣. الخصال، أبي و ماجيلويه، معاً عن محمّدٍ العطّار، عن الأشعريّ، عن بعض أصحابنا، عن الحسن بن عليٍّ و أبي الصّخر، رفعاه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:«لا تشدّ الرّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، و مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، و مسجد الكوفة».[٤]

٤. إنّ عليّاً عليه السلام نادى في الموقف: «أن لا يطوف بعد هذا العام عريان، ولا يقرب المسجد الحرام بعد هذا العام مشرك».[٥]

٥. الخصال، الأربعمائة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الصّلاة في الحرمين تعدل ألف صلاةٍ».[٦]

٦. ثواب الأعمال، أبي، عن عليٍّ، عن أبيه، عن ابن معبدٍ، عن ابن خالدٍ، عن الرّضا عن آبائه عن الباقر عليهم السلام قال: «صلاةٌ في المسجد الحرام أفضل من مائة

---

١. الحجُ رموزٌ و حِكَم: ٨٨ـ٨٩.
٢. أمالي الطوسي ١: ٣٧٩.
٣. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق ١: ٢٢٨.
٤. الخصال١: ٩٤.
٥. حج الأنبياء و الأئمة عليهم السلام: ٢٤٢.
٦. الخصال ٢: ٤٢١.

ألف صلاةٍ في غيره من المساجد».[١]

٧. كامل الزيارات، عليّ بن الحسين، عن سعدٍ، عن ابن عيسى، عن موسى بن القاسم، عمّن حدّثه، عن مرازمٍ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصّلاة في مسجد رسول الله؛ فقال عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صلاةٌ في مسجدي تعدل ألف صلاةٍ في غيره، و صلاةٌ في المسجد الحرام تعدل ألف صلاةٍ في مسجدي؛ ثمّ قال: إنّ الله فضّل مكّة و جعل بعضها أفضل من بعضٍ، فقال تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ و قال: إنّ الله فضّل أقواماً و أمر باتّباعهم و أمر بـمودّتهم في الكتاب».[٢]

٨. ثواب الأعمال، أبي، عن الحميريّ، عن هارون، عن ابن صدقة، عن الصّادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «صلاةٌ في مسجدي تعدل عندالله عشرة آلاف صلاةٍ في غيره من المساجد، إلاّ المسجد الحرام، فإنّ الصّلاة فيه تعدل مائة ألف صلاةٍ».[٣]

٩. تفسير العياشي، عن الحسن بن عليّ بن النّعمان، قال: لمّا بنى المهديّ في المسجد الحرام بقيت دارٌ في تربيع المسجد، فطلبها من أربابها فامتنعوا، فسأل عن ذلك الفقهاء، فكلٌّ قال له: إنه لا ينبغي أن يدخل شيئاً في المسجد الحرام غصباً؛ قال له عليّ بن يقطينٍ يا أميرالمؤمنين لو كتبت إلى موسى بن جعفرٍ عليه السلام لأخبرك بوجه الأمر في ذلك، فكتب إلى والي المدينة أن يسأل موسى بن جعفر عليه السلام عن دارٍ أردنا أن ندخلها في المسجد الحرام فامتنع علينا صاحبها فكيف المخرج من ذلك؟ فقال ذلك لأبي الحسن عليه السلام فقال أبو الحسن: «و لا بدّ

---

١ . ثواب الأعمال :٢٨؛ بحار الأنوار ٩٦ : ٢٤١.

٢ . كامل الزيارات :٢١.

٣ . بحار الأنوار ٩٦ : ٢٤١؛ ثواب الأعمال:٢٨.

من الجواب في هذا؟» فقال له: الأمر لا بدّ منه؛ فقال له أكتب:

«بسم الله الرّحمن الرّحيم، إن كانت الكعبة هي النّازلة بالنّاس فالنّاس أولى بفنائها، و إن كان النّاس هم النازلون [النّازلين] بفناء الكعبة، فالكعبة أولى بفنائها»؛ فلمّا أتى الكتاب المهديّ، أخذ الكتاب فقبّله، ثمّ أمر بهدم الدّار، فأتى أهل الدّار أبا الحسن عليه السلام فسألوه أن يكتب لهم إلى المهديّ كتاباً في ثمن دارهم؛ فكتب إليه: «أن ارضخ لهم شيئاً»؛ فأرضاهم.[1]

١٠. حدثني محمد بن الحسن، قال حدثني محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن علي بن عقبة بن خالد، عن ميسرة قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام وعنده في الفسطاط نحو من خمسين رجلاً، فجلس بعد سكوت منا طويلاً فقال: «ما لكم لعلكم ترون أني نبي الله! والله ما أنا كذلك، ولكن لي قرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وولادة، فمن وصلنا ، وصله اللهُ ومن أحبنا أحبه اللهُ عزوجل، ومن حرمنا حرمه اللهُ، أتدرون أيّ البقاع أفضل عند الله منزلة؟ فلم يتكلم أحدٌ منا، وكان هو الرادّ على نفسه، قال: ذلك مكة الحرام التي رضيها الله لنفسه حرماً وجعل بيته فيها، ثم قال: أتدرون أي البقاء أفضل فيها عند الله حرمة؟ فلم يتكلم أحد منا فكان هو الراد على نفسه، فقال: ذلك المسجد الحرام، ثم قال : أتدرون أي بقعة في المسجد الحرام أفضل عند الله حرمة؟ فلم يتكلم أحد منا فكان هو الراد على نفسه، قال: ذلك ما بين الركن الأسود والمقام وباب الكعبة، وذلك حطيم إسماعيل عليه السلام ذلك الذي كان يذود غنيماته ويصلي فيه، والله لو أن عبداً صف قدميه في ذلك المكان قام ليلاً مصلياً حتى يجيئه النهار، وصام حتى يجيئه الليل ولم يعرف حقنا وحرمتنا أهل البيت،

---

١ . بحار الأنوار ٩٦ :٨٤ ، مؤسسة الوفاء – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

لم يقبل الله منه شيئاً أبداً».[١]

١١. في الدروس :١٤٩، روى البزنطي عن ثعلبة بن ميسر، قال: كنّا عند أبي جعفر عليه السلام في الفسطاط (منى) نحواً من خمسين رجلاً، فقال لنا: «أتدرون أيّ البقاع أفضل عند الله منزلة؟ فلم يتكلّم أحد، فكان هو الرادّ على نفسه، فقال: تلك مكّة الحرام الذي رضيها الله لنفسه حرماً، وجعل بيته فيها. ثم قال: أتدرون أي بقعة في مكّة أفضل حرمة؟ فلم يتكلم أحد، فكان هو الرادّ على نفسه، فقال: ذلك المسجد الحرام. ثم قال: أتدرون أيبقعة في المسجد أعظم عند الله حرمة؟ فلم يتكلم أحد، فكان هو الراد على نفسه. فقال: ذلك بين الركن (الحجر) الأسود إلى باب الكعبة، ذلك حطيم إسماعيل عليه السلام الذي كان يذود فيه غنيمته ويصلّي فيه. فوالله لو أنّ عبداً صفّ قدميه في ذلك المقام، قائماً بالليل مصلياً حتى يجنّه النهار، وقائماً النهار حتى يجنّه الليل، ولم يعرف حقنا وحرمتنا أهل البيت، لم يقبل الله منه شيئاً أبداً!».

ألا إن أبانا إبراهيم عليه السلام كان مما اشترط على ربّه أن قال: ﴿**فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ**﴾ أما إنّه لم يعن الناس كلّهم، فأنتم أولئك رحمكم الله ونظراؤكم، وإنّما مثلكم في الناس مثل الشعرة السوداء في الثور الأنور.[٢]

١٢. عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً، عن صفوان بن يحيى، وابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا دخلت المسجد الحرام، فادخله حافياً على السكينة والوقار والخشوع؛ وقال: ومن دخله بخشوع غفر الله له إن شاء الله، قلت: ما الخشوع؟ قال: السكينة، لاتدخله بتكبّر، فإذا انتهيت إلى باب المسجد فقم

١. ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق : ٢٠٤ – ٢٠٥.
٢. علي الافتخاري الگلبايگاني، الحج و العمرة و معرفة الحرمين الشريفين: ١٥٨.

وقل: السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته، بسم الله وبالله ومن الله وما شاء الله، والسلام على أنبياء ورسله، والسلام على رسُولالله، والسلام على إبراهيم، والحمد لله رب العالمين، فإذا دخلت المسجد فارفع يديك واستقبل البيت وقل: أللّهُمّ إنّي أسألك في مقامي هذا في أوّل مناسكي أن تقبل توبتي، وأن تجاوز عن خطيئتي، وتضع عني وزري، الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام، أللّهُمّ إنّي أشهد أنّ هذا بيتك الحرام، الذي جعلته مثابة للناس وأمْناً مُباركاً وهدىً للعالمين، أللّهُمّ إنّي عبدك و البلد بلدك، والبيت بيتك، جئت أطلب رحمتك وأؤمّ طاعتك، مطيعاً لأمرك، راضياً بقدرك، أسألك مسألة المضطرّ إليك، الخائف لعقوبتك، أللّهُمّ افتح لي أبواب رحمتك واستعملني بطاعتك ومرضاتك».[٣]

١٣. في البحار، أوصى رجل بجاريته هدياً للكعبة، فقدم الوصي إلى مكّة، ودخل المسجد الحرام، فسأل عن (حكم) الجارية، فقيل له: إدفعها إلى بني شيبة، وقيل له غير ذلك، فاختلف عليه القول، فقال له رجل من أهل المسجد: ألا أرشدك إلى من يرشدك إلى الحق؟ قال: بلى، فأشار إلى شيخ جالس في المسجد، فإذا هو جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام فسأله وقصّ عليه القصّة، فقال عليه السلام: «إنّ الكعبة لا تأكل ولا تشرب، وما أهدي لها فهو لزوارها، بع الجارية وقم على الحِجر فناد هل من منقطع له وهل من محتاج من زوارها؟ فإذا أتوك فاسأل عنهم وأعطهم، واقسم فيهم ثمنها، فقال له الرجل: إنّ بعض من سألته أمرني بدفعها إلى بني شيبة. فقال عليه السلام: أما إنّ قائمنا لو قد قام (لقد) أخذهم وقطع

٣. الكافي٤ :٣٩٥، باب دخول المسجد الحرام، ح١؛ التهذيب٥ : ٨٩ ، باب دخول مَكَّة، ح١١؛ وسائل الشيعة٩ :٣٢١، باب استحباب دخول المسجد الحرام حافياً، ح١.

أيديهم وطاف بهم، وقال: هؤلاء سراق الله».[١]

١٤. الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن حماد بن عثمان، عن الحسن بن نعمان قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عمّا زادوا في المسجد الحرام، فقال: «إنَّ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حدَّا المسجد الحرام بين الصّفا والمروة».[٢]

١٥. وسمع الإمام الحسن المجتبى عليه السلام رجلاً إلى جنبه في المسجد الحرام، يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم، فانصرف إلى بيته وبعث إليه بعشرة آلاف درهم».[٣]

١٦. قال الإمام الرّضا عليه السلام: «إنّ الصّلاة في المسجد الحرام أفضل من الصّلاة في غيره ستّين سنةً و أشهر [أو شهراً].[٤]

١٧. كامل الزيارات، جماعة مشايخي عن الحميريّ، عن إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه عليٍّ، عن الحسن بن سعيدٍ، عن صفوان بن يحيى و ابن أبي عميرٍ و فضالة جميعاً، عن معاوية بن عمّارٍ قال: قال أبوعبدالله عليه السلام لابن أبي يعفورٍ: «أكثر الصّلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : صلاةٌ في مسجدي هذا كألف صلاةٍ في مسجدٍ غيره ، إلاّ المسجد الحرام ، فإنّ صلاةً في المسجد الحرام تعدل ألف صلاةٍ في مسجدي».[٥]

١٨. قال علي بن الحسين عليه السلام: «بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام وكان عليٌّ والله المؤذن، فأذّن بأذان الله ورسوله يوم الحج الأكبر من المواقف كلّها،

١ . بحارالأنوار ٩٩ : ٦٦ ؛ الحج والعمرة ومعرفة الحرمين الشريفين، علي الافتخاري الگلبايگاني:٧١.

٢ . الكافي، الشيخ الكليني ٤ : ٢٠٩ ؛ حج الأنبياء و الأئمة عليهم السلام : ٣٥.

٣ . مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ٣ :١٨٢.

٤ . بحار الأنوار ٩٦ : ٢٤٠.

٥ . كامل الزيارات :٢١ ؛ بحارالأنوار٩٦ : ٢٤١.

فكان مانادى به أن لا يطوف بعد هذا العام عريان، ولا يقرب المسجد الحرام بعد هذا العام مشرك».[١]

١٩. علل الشرائع، أبي، عن سعدٍ، عن أحمد بن محمّدٍ، عن محمّد بن يحيى،

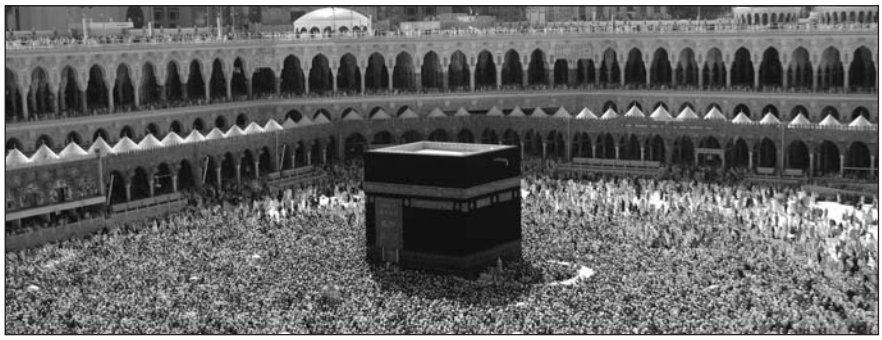

عن حمّاد بن عثمان، قال: «رأيت أبا عبدالله عليه السلام يكره الاحتباء في الحرم، قال: و يكره الاحتباء في المسجد الحرام إعظاماً للكعبة».[٢]

٢٠. الجعفريات، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثني موسى، قال: حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده جعفر بن محمد عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، عن جده علي بن الحسين عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، عن علي عليه السلام أنه قال: «النافلة في المسجد الحرام الأعظم تعدل عمرة مبرورة، و صلاة الفريضة تعدل حجة متقبلة».[٣]

٢١. وروى أبو حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «من صلّى في المسجد الحرام صلاة مكتوبة، قبل الله بها منه كل صلاة صلاها منذ يوم وجبت عليه الصلاة، وكل صلاة يصليها إلى أن يموت».[٤]

٢٢. محمد بن الحسين، عن إبراهيم بن أبي البلاد قال: صلّى أبوالحسن

---

١. بحارالأنوار ٣٥: ٢٩٦.
٢. علل الشرائع: ٤٤٦؛ بحارالأنوار ٩٦: ٦٠.
٣. مستدرك الوسائل ٣: ٤٢١.
٤. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق ١: ٢٢٨.

الأوّل عليه السلام صلاة الليل في المسجد الحرام وأنا خلفه، فصلّى الثمان وأوتر، وصلّى الركعتين، ثمّ جعل مكان الضجعة سجدة.[١]

٢٣. عليّ بن محمد، عن سهل بن زياد، عن ابن أسباط، عن إبراهيم بن أبي البلاد قال: صلّيت خلف الرضا عليه السلام في المسجد الحرام صلاة الليل، فلمّا فرغ جعل مكان الضجعة[٢] سجدة.[٣]

٢٤. محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد؛ وعدّة أصحابنا، عن سهل بن زياد جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن عبد الحميد بن أبي العلاء قال: دخلت المسجد الحرام فرأيت مولى لأبي عبد الله عليه السلام فملت إليه لأسأله عن أبي عبدالله عليه السلام فاذا أنا بأبي عبدالله عليه السلام ساجداً، فانتظرته طويلاً فطال سجوده عليّ، فقمت وصلّيت ركعات وانصرفت وهو بعد ساجد، فسألت مولاه متى سجد؟ فقال: من قبل أن تأتينا، فلمّا سمع كلامي رفع رأسه ثمّ قال: «أبا محمد! ادن منّي، فدنوت منه فسلّمت عليه فسمع صوتاً خلفه فقال: ما هذه الأصوات المرتفعة؟ فقلت: هؤلاء قوم من المرجئة والقدريّة والمعتزلة، فقال: إنّ القوم يريدوني فقم بنا، فقمت معه فلمّا أن رأوه نهضوا نحوه فقال لهم: كفّوا أنفسكم عنّي ولا تؤذوني وتعرّضوني للسّلطان[٤] فانّي لست بمفت لكم، ثمّ أخذ بيدي وتركهم ومضى، فلمّا خرج من المسجد قال لي: يا أبا محمد والله لو أنّ إبليس سجد لله عزَّ ذكره بعد المعصية والتكبّر عمر الدّنيا ما نفعه ذلك، ولا قبله الله عزَّ ذكره ما لم يسجد لآدم، كما أمره الله عزَّوجلَّ أن يسجد له...».[٥]

---

١. قرب الإسناد: ٣٠٩؛ وسائل الشيعة ٦: ٤٩٤؛ بحارالأنوار ٨٧: ١٩٨.

٢. أي الضجعة بعد ركعتي الفجر.

٣. الكافي ٣: ٤٤٨؛ التهذيب ٢: ١٣٧؛ وسائل الشيعة ٦: ٤٩٢.

٤. أي لا تجعلوني عرضة لإيذاء الخليفة وإضراره، باجتماعكم عليّ وسؤالكم عنّي.

٥. الكافي ٨: ٢٧٠؛ وسائل الشيعة ١: ١١٩- ١٢٠ و ٦: ٣٧٩.

٢٥. وبإسناده إلى عبدالحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى لما أراد أن يتوب على آدم عليه السلام أرسل إليه جبرئيل فقال له: السلام عليك يا آدم الصابر على بليته، التائب عن خطيئته، إنّ الله تبارك وتعالى بعثني إليك لأعلمك المناسك التي يريد أن يتوب عليك بها، وأخذ جبرئيل بيده وانطلق به حتى أتى البيت فنزلت عليه غمامة من السماء فقال له جبرئيل: خط برجلك حيث أظلك هذا الغمام، ثم انطلق به حتى أتى به إلى منى فأراه موضع مسجد منى فخطه وخط المسجد الحرام بعد ما خطه مكان البيت، ثم انطلق به إلى عرفات فأقامه على العرفة وقال له: إذا غربت الشمس فاعترف بذنبك سبع مرات، ففعل ذلك آدم عليه السلام، ولذلك سمي المعترف، لأن آدم عليه السلام اعترف عليه بذنبه، فجعل ذلك سنة في ولده يعترفون بذنوبهم كما اعترف أبوهم، ويسئلون الله عزوجل التوبة، كما سألها أبوهم آدم، ثم أمره جبرئيل عليه السلام فأفاض جبرئيل، ثم عاد من ساعته فقال إقرأ يا محمد: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾ الآيات؛ فقال اليهود عند ذلك: ما وليهم عن قبلتهم التى كانوا عليها فأجابهم الله بأحسن جواب فقال: قل لله المشرق والمغرب وهو ملكها وتكليفه التحويل من جانب إلى جانب كتحويله لكم من جانب إلى جانب آخر، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، هو مصلحتهم وتؤديهم طاعتهم إلى جنات النعيم».[1]

٢٦. سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد، عن داود بن سرحان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لا اعتكاف إلاّ في العشرين من شهر رمضان، وقال:

---

١. تفسير نور الثقلين ١: ٧٦.

إنّ علياً عليه السلام كان يقول: «لا أرى الاعتكاف إلاّ في المسجد الحرام، أو مسجد الرسول، أو مسجد جامع ولاينبغى للمعتكف أن يخرج من المسجد الا لحاجة لابد منها ، ثم لايجلس حتى يرجع والمراة مثل ذلك».[١]

٢٧. عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن عبدالملك القمى عن اسمعيل بن جابر، عن عبدالحميد خادم إسماعيل بن جعفر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «تتم الصلاة في أربعة مواطن: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله، ومسجدالكوفة ، وحرم الحسين عليه السلام».[٢]

٢٨. في مجمع البيان: ﴿مَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي وما كان المشركين أولياء مسجد الحرام، وإن سعوا في عمارته، ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ﴾ معناه وما أولياء المسجد الحرام إلاّ المتقون، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام.[٣]

٢٩. في تفسير العياشي، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عمن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾، «يعني أولياء البيت يعني المشركين ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ﴾ حيث كانوا هم أولى به من المشركين وما كان صلوتهم عند البيت إلاّ مكاء وتصدية قال: التصفير والتصفيق».[٤]

٣٠. قال: وحدثني أبي، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني عن الله أن لا يطوف بالبيت عريان، ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد هذا العام، وقرأ عليهم: ﴿بَرَاءَةٌ مِنْ

---

١ . المصدر نفسه ١ : ١٩٦
٢ . المصدر نفسه ١ : ١٠٦
٣ . المصدر نفسه ٢ : ١٦٩
٤ . المصدر نفسه ٢ : ١٦٩

اللّٰهِ وَرَسُولِهِ إِلَي الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الاَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ فأجل الله المشركين الذين حجوا تلك السنة أربعة أشهر حتى يرجعوا إلى مأمنهم ثم يقتلون حيث وجدوا».[١]

٣١. في روضة الكافي، أبوعلي الأشعري، عن محمد بن عبدالجبار، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أحدهماعليهما السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ**﴾ نزلت في حمزة وعلي وجعفر والعباس وشيبة، إنهم فخروا بالسقاية والحجابة، فأنزل الله عزّ ذكره: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الاخِرِ**﴾ وكان عليعليه السلام وحمزة وجعفر الذين آمنوا بالله واليوم الآخر وجاهدوا في سبيل الله لا يستوون عندالله.[٢]

٣٢. في كتاب الاحتجاج للطبرسيرحمه الله عن أميرالمؤمنينعليه السلام حديث طويل يقول فيه للقوم بعد موت عمر بن الخطاب: «نشدتكم بالله هل فيكم أحد أنزل الله تعالى فيه: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّٰهِ**﴾ غيري؟ قالوا: لا».[٣]

٣٣. في مجمع البيان قرأ محمد بن علي الباقرعليه السلام: سقاة الحاج وعمرة المسجدالحرام قيل: إنّ علياًعليه السلام قال للعباس: «ياعم ألا تهاجر؟ ألا تلحق برسول اللهصلى الله عليه وآله فقال: ألست في أعظم من الهجرة؟ أعمر المسجد الحرام وأسقى حاج بيت الله، فنزل: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾.[٤]

٣٤. وروى الحاكم أبوالقاسم الحسكاني، بإسناده عن ابن بريدة، عن أبيه

١. المصدر نفسه ٢: ٢٠٠

٢. الكافي ٨: ٢٠٤؛ بحار الأنوار ٣٦: ٣٥؛ تفسير نورالثقلين ٢: ١٩٣.

٣. الاحتجاج ١: ٢٠٢.

٤. تفسير نورالثقلين ٢: ٢١٣ـ٢١٤.

قال: بينا شيبة والعباس يتفاخران، إذ مرّ بهما علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: بماذا تتفاخران؟ فقال العباس: لقد أوتيت من الفضل ما لم يؤت أحد سقاية الحاج، وقال شيبة: أوتيت عمارة المسجد الحرام، فقال علي عليه السلام: استحييت لكما، فقد أوتيت على صغري ما لم تؤتيا؛ فقالا: وما أوتيت ياعلي؟ فقال: ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتما بالله، فقام العباس مغضباً يجرّ ذيله حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أما ترى إلى ما استقبلني به علي؟ فقال: أدعوا لي علياً، فدعي له فقال: ما دعاك إلى ما استقبلت به عمك؟ فقال: يارسول الله صدمته بالحق فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرض، فنزل جبرئيل وقال: يامحمد ربك يقرئك السلام ويقول: أتل عليهم: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآيات، فقال العباس: إنا قد رضينا، ثلث مرات.[1]

٣٥. حدثنا محمد بن الحسن قال: حدثنا الحسين بن الحسن، بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، ومعاوية بن حفص، عن منصور جميعاً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أبوعبدالله في المسجد الحرام فقيل له : إنّ سبعاً من سباع الطير على الكعبة لا يمر به شيء من حمام الحرم إلاّ ضربه؟ فقال: «انصبوا له واقتلوه، فإنه قد ألحد في الحرم».[2]

٣٦. عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الحسن بن محبوب، عن أبي الصباح الكناني قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أيهما أفضل، الإيمان أو الإسلام، فإنّ من قبلنا يقولون: إن الإسلام أفضل من الإيمان؟ فقال عليه السلام:

---

١ . شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني ١: ٣٢٩؛ تفسير نورالثقلين ٢: ٢١٣ـ٢١٤؛ بحار الأنوار ٣٦: ٣٩ـ٤٠.

٢ . تفسير نورالثقلين ٣: ١٨.

«الإيمان أرفع من الإسلام؛ قلت: فأوجدني ذلك.[١] قال: ما تقول في من أحدث في المسجد الحرام متعمداً؟ قال: يضرب ضرباً شديداً، قال: أصبت، قال: فما تقول فيمن أحدث في الكعبة متعمداً؟ قلت: يقتل. قال: أصبت، ألا ترى أنّ الكعبة أفضل من المسجد، وأنّ الكعبة تشرك المسجد والمسجد لا يشرك الكعبة، وكذلك الإيمان يشرك الإسلام، والإسلام لا يشرك الإيمان».[٢]

٣٧. تفسير علي بن إبراهيم: خالد، عن ابن محبوب، عن محمد بن يسار، عن أبي مالك الأزدي، عن إسماعيل الجعفي قال: كنت في المسجد الحرام قاعداً وأبوجعفر عليه السلام في ناحية، فرفع رأسه فنظر إلى السماء مرة، وإلى الكعبة مرة، ثم قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ وكرر ذلك ثلاث مرات، ثم التفت إليّ فقال: «أي شيء يقول أهل العراق في هذه الآية يا عراقي؟ قلت: يقولون، أسرى به من المسجد الحرام إلى البيت المقدس، فقال: ليس هو كما يقولون، ولكنه أسرى به من هذه إلى هذه، وأشار بيده إلى السماء، وقال: ما بينهما حرم، قال: فلما انتهى به إلى سدرة المنتهى، تخلف عنه جبرئيل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل أفي مثل هذا الموضع تخذلني؟ فقال: تقدم أمامك، فوالله لقد بلغت مبلغاً لم يبلغه خلق من خلق الله قبلك، فرأيت ربي وحال بيني وبينه السبحة. قال: قلت: وما السبحة جعلت فداك؟ فأومأ بوجهه إلى الأرض وأومأ بيده إلى السماء وهو يقول: جلال ربي، جلال ربي ثلاث مرات قال: يا محمد، قلت: لبيك يا رب، قال: فيم اختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: سبحانك لا علم لي إلاّ ما علمتني؛ قال: فوضع يده بين ثديي فوجدت بردها بين كتفي، قال: فلم يسألني عما مضى ولا عما بقي إلاّ علمته، فقال: يا محمد فيم

١. أي أظفرني ذلك.
٢. الكافي٢ : ٢٦ ؛ تفسير نورالثقلين ٤ : ٣٠٣.

اختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: يا رب في الدرجات، والكفارات، والحسنات، فقال: يا محمد إنه قد انقضت نبوتك، وانقطع أكلك، فمن وصيك؟ فقلت: يا رب إني قد بلوت خلقك فلم أر فيهم من خلقك أحداً أطوع لي من علي، فقال: ولي يا محمد، فقلت: يا رب إني قد بلوت خلقك فلم أر من خلقك أحداً أشد حباً لي من علي بن أبي طالب، قال: ولي يا محمد، فبشره بأنه راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور لمن أطاعني، والكلمة [الباقية] التي ألزمتها المتقين، من أحبه أحبني، ومن أبغضه أبغضني، مع ما أني أخصه بما لم أخص به أحداً، فقلت: يا رب أخي وصاحبي و وزيري و وارثي، فقال: أنه أمر قد سبق، إنه مبتلى ومبتلى به، مع ما أني قد نحلته ونحلته ونحلته ونحلته أربعة أشياء، عقدها بيده، ولا يفصح بها عقدها.[1]

بيان:

قوله عليه السلام: من هذه إلى هذه، أي المراد بالمسجد الأقصى البيت المعمور، لأنه أقصى المساجد، ولاينافي ذهابه أولاً إلى بيت المقدس. قوله: فرأيت ربي، أي بالقلب أو عظمته، ويحتمل أن يكون رأيت بمعنى وجدت، وقوله: وحال حالاً، أي ألفيته وقد حيل بيني وبينه، وفي بعض النسخ من نور ربي، ولعل المراد بالسبحة تنزهه وتقدسه تعالى، أي حال بيني وبينه تنزهه عن المكان والرؤية، وإلاّ فقد حصل غاية ما يمكن من القرب. قال الجزري: سبحات الله جلاله وعظمته، وهي في الأصل جمع سبحة، وقيل: أضواء وجهه، وقيل: سبحات الوجه: محاسنه انتهي، وإيماؤه إلى الأرض وحط رأسه كان خضوعاً لجلاله تعالى، ووضع اليد كناية عن غاية اللطف والرحمة، وإفاضة العلوم

---

١ . بحار الأنوار ١٨ :٣٧٢ – ٣٧٥.

والمعارف على صدره الأشرف، والبرد عن الراحة والسرور، وفي بعض النسخ يده أي يد القدرة. قوله تعالى: «فيم اختصم الملأ الأعلى» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾. قال الطبرسي؛: يعني ما ذكر من قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ إلى آخر القصة، أي فما علمت ما كانوا فيه إلاّ بوحي من الله تعالى.

وروي عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «قال لي ربي: أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا، قال: اختصموا في الكفارات والدرجات، فأما الكفارات فإسباغ الوضوء في السبرات [السبرات جمع سبرة بسكون الباء، وهي شدة البرد]؛ ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة وأما الدرجات فإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام، انتهى.

وقوله: عقدها ثانياً تأكيد للأول، أو مصدر فاعل لقوله: يفصح، والأصوب أنه تصحيف قوله: بما عقدها، وفاعل «عقد» الرسول صلى الله عليه وآله.

٣٨. وقال علي بن ابراهيم: لما أذن أمير المؤمنين عليه السلام بمكة أن لا يدخل المسجد الحرام مشرك بعد ذلك العام، جزعت قريش جزعاً شديداً، وقالوا : ذهبت تجارتنا، وضاعت عيالنا، وخربت دورنا، فأنزل الله عزّوجلّ في ذلك، قل : يامحمد ﴿إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.[1]

٣٩. وروي عن علي بن الحسين عليه السلام: أنه دخل المسجد الحرام، فرأى الحسن البصري وحوله جماعة من الناس وهو يعظهم، وكان يعرف منه أن يرى رأي

---

١ . تفسير القمي ١ : ٢٨٤.

المعتزلة في تخليد من يعمل ذنباً كبيراً في النار، فقال له علي بن الحسين: «يا هذا، أنت على حال ترضى لنفسك معها الموت؟».

فقال له: لا.

فقال عليه السلام: «فأنت على ثقة من البقاء لوقت تدرك فيه التوبة؟».

فقال: لا.

فقال له عليه السلام: «أفعند الموت نظرة؟».

فقال له: لا.

فقال له عليه السلام: «أفبعد الموت عمل؟».

فقال: لا.

فقال عليه السلام: «فعظ نفسك، ودع الناس يطوفوا بهذا البيت الذي قد جاؤوا إليه من كل فجّ عميق».[١]

٤٠. ومنها: أن أبا بصير روى عن أبي عبدالله عليه السلام: «أنه كان في المسجد الحرام ثلاثمائة وستون صنماً، وإن بعضها فيما يزعمون مشدود ببعضها بالرصاص. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وآله كفّاً من حصى، فرماها في عام الفتح، ثم قال: ﴿**جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**﴾ فما بقي منها صنم إلاّ خرّ لوجهه؛ فأمر بها فأخرجت من المسجد، فطرحت وكسرت».[٢]

٤١. وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الجنب يجلس في المساجد؟ قال: «لا. ولكن يمرّ فيها كلها إلاّ المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله وآله».[٣]

---

١. اعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلمي: ٣٢٨.

٢. الخرائج والجرائح ١: ٩٩.

٣. وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي ٢: ٢٠٥.

٤٢. أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد القمي، عن محمد بن يعقوب الكليني، عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن العبّاس بن عمرو الفقيمي: أنّ ابن أبي العوجاء وابن طالوت وابن الأعمى وابن المقفّع في نفر من الزنادقة كانوا مجتمعين في الموسم بالمسجد الحرام، وأبو عبدالله جعفر بن محمّدعليهما السلام فيه، إذ ذاك يفتي الناس، ويفسّر لهم القرآن، ويجيب عن المسائل بالحجج والبيّنات، فقال القوم لابن أبي العوجاء: هل لك في تغليط هذا الجالس وسؤاله عمّا يفضحه عند هؤلاء المحيطين به؟ فقد ترى فتنة الناس به، ويفسّر لهم القرآن، ويجيب عن المسائل به، وهو علاّمة زمانه؛ فقال لهم ابن أبي العوجاء: نعم، ثمّ تقدّم ففرّق الناس وقال: [يا] أبا عبدالله إنّ المجالس أمانات، ولابدّ لكلّ من كان به سعال أن يسعل، فتأذن لي في السؤال؟

فقال أبو عبداللهعليه السلام: «سل إن شئت».

فقال ابن أبي العوجاء: إلى كم تدوسون هذا البيدر،[1] وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر؟ من فكّر في هذا وقدّر، علم أنّه فعل غير حكيم ولا ذي نظر؛ فقل فإنّك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك أسّه ونظامه.

فقال له الصادقعليه السلام: «إنّ من أضلّه الله وأعمى قلبه استوخم الحقّ ولم يستعذبه، وصار الشيطان وليّه وربّه، ويورده موارد الهلكة ولا يصدره، وهذا بيت استعبدالله به خلقه، ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثّهم على تعظيمه وزيارته، وجعله قبلة للمصلّين له، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدّي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، ومجمع العظمة والجلال، خلقه الله تعالى قبل دحو الأرض بألفي عام، فأحقّ من أطيع فيما أمر، وانتهى عمّا زجر، الله

١. داس الشيء: وطئه برجله، والبيدر: الموضع الّذي يجمع فيه الحصيد ويداس.

المنشئ للأرواح والصور».

فقال له ابن أبي العوجاء: ذكرت [يا] أبا عبدالله فأحلت على غائب.

فقال الصادق عليه السلام: «كيف يكون يا ويلك غائباً من هو مع خلقه شاهد، وإليهم أقرب من حبل الوريد، يسمع كلامهم، ويعلم أسرارهم، لا يخلو منه مكان، ولا يشغل به مكان، ولا يكون من مكان أقرب من مكان، يشهد له بذلك آثاره، ويدلّ عليه أفعاله، والّذي بعثه بالآيات المحكمة والبراهين الواضحة محمّد صلى الله عليه و آله، جاءنا بهذه العبادة، فإن شككت في شيء من أمره فسل عنه أوضحه لك».

قال: فأبلس ابن أبي العوجاء ولم يدر ما يقول، وانصرف من بين يديه، فقال لأصحابه: سألتكم أن تلتمسوا لي جمرة فألقيتموني على جمرة.

فقالوا له: أسكت فوالله لقد فضحتنا بحيرتك وانقطاعك، وما رأينا أحقر منك اليوم في مجلسه.

فقال: أ بي تقولون هذا؟ إنّه ابن من حلق رؤوس من ترون- وأومأ بيده إلى أهل الموسم-».[1]

٤٣. عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن زياد القندي قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إنّي أكون في المسجد الحرام وأنظر إلى الناس يطوفون بالبيت وأنا قاعد، فأغتمّ لذلك؟ فقال عليه السلام: «يا زياد لا عليك، فإنّ المؤمن إذا خرج من بيته يؤمُّ الحجّ، لا يزال في طواف وسعي حتّى يرجع».[2]

٤٤. أبوعليّ الأشعري، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان بن يحيى، عن

---

١. إرشاد المفيد: ٢٨٠- ٢٨١؛ كنز الفوائد ٢: ٧٥- ٧٦؛ بحارالأنوار ١٠: ٢٠٩؛ حج الأنبياء والأئمة:: ٣٨٩.

٢. الكافي ٤: ٤٢٨/ ٨؛ وسائل الشيعة ١١: ١٠٠/ ١٤٣٤٤؛ الحج في السنة: ٢٧.

أبي أيّوب الخزّاز، عن أبي عبيدة قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الصلاة في الحرم كلّه سواء؟ فقال عليه السلام: «يا أبا عبيدة ما الصلاة في المسجد الحرام كلّه سواء، فكيف يكون في الحرم كلّه سواء؟

قلت: فأيّ بقاعه أفضل؟

قال عليه السلام: «ما بين الباب إلى الحجر الأسود».[١]

٤٥. موسى بن القاسم، عن صفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «الحاج حملانه وضمانه على الله، فإذا دخل المسجد الحرام وكّل الله به ملكين يحفظان طوافه وصلاته وسعيه، فإذا كان عشية عرفة، ضربا على منكبه الأيمن ويقولان له: يا هذا أما ما مضى فقد كفيته، فانظر كيف تكون فيما تستقبل».[٢]

٤٦. ومنه: بهذا الإسناد عن زريق قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «صلاة الرجل في منزله جماعة تعدل أربعاً وعشرين صلاة، وصلاة الرجل جماعة في المسجد تعد ثمانياً وأربعين صلاة مضاعفة في المسجد، وإنّ الركعة في المسجد الحرام ألف ركعة في سواه من المساجد، وإنّ الصلاة في المسجد فرداً بأربع وعشرين صلاة، والصلاة في منزلك فرداً هباء منثور، لا يصعد منه إلى الله تعالى شيء، ومن صلى في بيته جماعة رغبة عن المساجد فلا صلاة له، ولا لمن صلى معه، إلاّ من علة تمنع من المسجد».[٣]

٤٧. ابن المتوكل، عن السعد آبادي، عن البرقي، عن ابن بشير عن منصور، عن إسحاق بن عمار، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «دخل

١. المصدر نفسه ٤: ٥٢٥/ ٢، الوسائل ٥: ٢٧٤/ ٦٥٣٠.

٢. التهذيب ٥/ ٢١، باب ثواب الحج، ح ٤، وسائل الشيعة ٨/ ٧٤، باب استحباب التطوع بالحج والعمرة، ح ٤٢.

٣. بحار الأنوار ٨٥: ١٤.

عليه رجل فقال له: قدمت حاجاً؟ قال له: نعم، قال: وتدري ما للحاج من الثواب؟ قلت: لا أدري جعلت فداك، قال: من قدم حاجاً حتى إذا دخل مكة دخل متواضعاً، فإذا دخل المسجد الحرام قصر خطاه من مخافة الله عزّوجلّ، فطاف بالبيت طوافاً وصلى ركعتين، كتب الله له سبعين ألف حسنة، وحط عنه سبعين ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف درجة، وشفعه في سبعين ألف حاجة، وحسب له عتق سبعين ألف رقبة، قيمة كل رقبة عشرة آلاف درهم».[١]

٤٨. مل: أبي وابن الوليد معاً، عن ابن أبان، عن الأهوازي، عن القاسم بن محمد، عن علي بن أبي حمزة قال: سألت العبد الصالح عليه السلام، عن زيارة قبر الحسين عليه السلام فقال: «ما أحب لك تركه، قلت: ما ترى في الصلاة عنده وأنا مقصر؟ قال: صلّ في المسجد الحرام ما شئت تطوعاً، وفي مسجد الرسول صلى الله عليه وآله ما شئت تطوعاً، وعند قبر الحسين عليه السلام فإني أحب ذلك، قال: وسألته عن الصلاة بالنهار عند قبر الحسين عليه السلام تطوعاً؟ فقال: نعم».[٢]

٤٩. محمد بن يعقوب الكليني: علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الريان قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام: رجل يقضي شيئاً من صلاته الخمسين في المسجد الحرام، أو في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، أو في مسجد الكوفة، أتحسب له الركعة على تضاعف ما جاء عن آبائك عليهم السلام في هذه المساجد حتى يجزئه إذا كانت عليه عشرة آلاف ركعة أن يصلي مائة ركعة أو أقل أو أكثر و كيف يكون حاله؟ فوقع عليه السلام: «يحسب له بالضعف، فأما أن يكون تقصيراً من الصلاة بحالها فلا يفعل، هو إلى الزيادة أقرب منه إلى النقصان».[٣]

---

١. المصدر نفسه ٩٦: ٢٠٢.

٢. المصدر نفسه ٩٨ : ٨٢ .

٣. وسائل الشيعة ٨ : ٢٧٠.

جاء في الهامش: قال العلامة المجلسي: أي لفعلها في تلك المساجد هو أي المصلى إلى الزيادة في العبادة بعد تشرفه بتلك المساجد أقرب منه إلى النقصان، أي ينبغي للمصلي أن يزيد في عباداته بعد ورود تلك الأماكن الشريفة لا ينقص منها، ويحتمل أن يكون الضمير راجعاً إلى تضاعف الثواب ، أي الشارع ضاعف ثواب الأعمال في تلك المساجد ليزيد الناس في العبادة لا أن يقصروا عنها.[١]

٥٠. عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام إنه قال: «لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد الحرام، بدأ بالركن فاستلمه، ثم مضى عن يمينه، و البيت على يساره، فطاف به أسبوعاً، رمل ثلاثة أشواط، و مشى أربعة».[٢]

٥١. وعن الإمام الباقر(عليه السلام): «أفضل البقاع عندالله مكّة، وأفضل بقاع مكّة مسجد الحرام، وأفضل بقاع المسجد ما بين الركن والمقام وباب الكعبة، وهو الحطيم».[٣]

٥٢. محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن إسحاق بن حريز، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: سمعته يقول: «تتم الصلاة في أربعة مواطن: في المسجد الحرام، ومسجد الرسول(صلى الله عليه وآله)، ومسجد الكوفة، وحرم الحسين صلوات الله عليه».[٤]

٥٣. كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة: محمد بن العباس، عن أحمد بن زياد، عن الحسن بن محمد، عن سماعة، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: « إن القائم إذا خرج دخل المسجد الحرام ،

١ . الكافي، الشيخ الكليني٣ : ٤٥٥.
٢ . مستدرك الوسائل ٩ : ٣٩٦.
٣ . مستدرك سفينةالبحار ٤ : ٤٨٣.
٤ . الكافي ٤ :٥٨٦.

فيستقبل الكعبة ، ويجعل ظهره إلى المقام، ثم يصلي ركعتين ، ثم يقوم فيقول: يا أيها الناس أنا أولى الناس بآدم، يا أيها الناس أنا أولى الناس بإبراهيم، يا أيها الناس أنا أولى الناس بإسماعيل، يا أيها الناس أنا أولى الناس بمحمد صلى الله عليه وآله، ثم يرفع يديه إلى السماء فيدعو ويتضرع، حتى يقع على وجهه، وهو قوله عز وجل:﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾؛».[١]

٥٤. سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد، عن داود بن سرحان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «لااعتكاف إلا في العشرين من شهر رمضان ، وقال: «إنّ علياً صلوات الله عليه كان يقول: لا أرى الاعتكاف إلاّ في المسجد الحرام، أو مسجد الرسول ، أو مسجد جامع ، ولا ينبغي للمعتكف أن يخرج من المسجد إلا لحاجة لابدَّ منها ، ثم لا يجلس حتى يرجع، والمرأة مثل ذلك».[٢]

٥٥. وروى البزنطي، عن داود بن سرحان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لا أرى الاعتكاف إلا في المسجد الحرام، أو مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، أو في مسجد جامع ولا ينبغي للمعتكف أن يخرج من المسجد الجامع إلا لحاجة لابد منها، ثم لا يجلس حتى يرجع، والمرأة مثل ذلك».[٣]

٥٦. الإمام الحسن(عليه السلام): «قد قال الله عزّوجلّ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية، فكان أبي المؤمن بالله واليوم الآخر والمجاهد في سبيل الله حقّاً، وفيه نزلت هذه الآية».[٤]

٥٧. الأمالي للطوسي عن حجر المدري: قدمت مكّة وبها أبوذر جندب بن

١ . بحار الأنوار ٥١ :٥٩.
٢ . الكافي ٤ :١٧٦.
٣ . من لا يحضره الفقيه٢ :١٨٥.
٤ . موسوعة الإمام علي بن أبيطالب٨٧ : ٢٥، ح٣٠٩٧.

جنادة، وقدم في ذلك العام عمر بن الخطّاب حاجّاً، ومعه طائفة من المهاجرين والأنصار فيهم عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) ، فبينا أنا في المسجد الحرام مع أبي ذر جالس إذ مرّ بنا عليّ(عليه السلام) ووقف يصلّي بإزائنا، فرماه أبوذر ببصره، فقلت: يرحمك الله يا أباذر، إنّك لتنظر إلى عليّ فما تقلع عنه! قال: إنّي أفعل ذلك، وقد سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: «النظر إلى عليّ عبادة، والنظر إلى الوالدين برأفة ورحمة عبادة، والنظر في الصحيفة - يعني صحيفة القرآن - عبادة، والنظر إلى الكعبة عبادة».[١]

٥٨. وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لا يصلح الاعتكاف إلا في المسجد الحرام أو مسجد الرسول أو مسجد الكوفة أو مسجد جماعة وتصوم ما دمت معتكفاً».[٢]

٥٩. ولقد فسّر قوله تعالى: ﴿**و لقد كنتم تمنون الموت**﴾،[٣] يعني علياً، لأنّ الكفار كانوا يسمونه الموت الأحمر، سموه يوم بدر لعظم بلائه ونكايته، قال المفسرون: لما أسر العباس يوم بدر ، أقبل المسلمون فعيروه بكفره بالله وقطيعة الرحم، وأغلظ عليٌّ عليه السلام له القول، فقال العباس: مالكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا؟ فقال عليٌّ عليه السلام: ألكم محاسن؟ قال: نعم إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحاج، ونفك العاني،[٤] فأنزل الله تعالى رداً على العباس، ووفاقاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام: ﴿**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللّٰهِ**﴾ الآية،[٥] ثم قال:

---

١ . المصدر نفسه ٨ : ١٤٤، ح٣٤٦٤.
٢ . الفصول المهمة في أصول الأئمة ٣ : ١٥٥.
٣ . سورة آل‌عمران : ١٤٣.
٤ . العاني= الأسير.
٥ . سورة التوبة : ١٧.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّٰهِ﴾... الآية،[١] ثم قال: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ...[٢]﴾.[٣]

٦٠. عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن عليه‌السلام، قال: «سألته عن الرجل يصلي في جماعة في منزله بمكة أفضل أو وحده في المسجد الحرام؟ فقال: وحده».[٤]

٦١. ... عن البزنطى قال: «وسألت الرضا عليه السلام عن المقيم بمكة الطواف له أفضل أو الصلاة؟ قال: الصلاة».[٥]

٦٢. محمد بن يعقوب، عن علي بن محمد بن بندار، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن محمدبن علي رفعه، قال: مرّ سفيان الثوري في المسجد الحرام، فرأى أبا عبدالله عليه السلام وعليه ثياب كثيرة القيمة حسان، فقال: والله لآتينّه ولأوبّخنّه، فدنا منه فقال: يابن رسول الله، والله مالبس رسول الله صلى الله عليه وآله مثل هذا اللباس، ولا عليٌّ عليه السلام، ولا أحد من آبائك.

فقال له أبوعبدالله عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله في زمان قتر مقتر، وكان يأخذ لقتره واقتاره، وإن الدنيا بعد ذلك أرخت عزاليها، فأحق أهلها بها أبرارها، ثم تلا: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّٰهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾، فنحن أحق من أخذ منها ما أعطاه الله، غير أني ياثوري، ما ترى علي من ثوب إنما لبسته للناس، ثم اجتذب يد سفيان فجرها إليه، ثم رفع الثوب الأعلى وأخرج

---

١. سورة التوبة: ١٨.
٢. سورة التوبة: ١٩.
٣. بحار الأنوار ٤١: ٦٣.
٤. الكافي ٤: ٥٢٧
٥. بحار الأنوار ٩٦: ٢٠٠؛ مسند الإمام الرضا٣: ٢٣٧.

ثوباً تحت ذلك على جلده غليظاً، فقال: هذا لبسته لنفسي غليظاً،وما رأيته للناس، ثم جذب ثوباً على سفيان أعلاه غليظ خشن، وداخل ذلك ثوب لين، فقال: لبست هذا الأعلى للناس، ولبست هذا لنفسك تسرها»؟![1]

٦٣. جعفربن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «الصلاة في المسجد الحرام مائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدالمدينة عشرة آلاف صلاة، والصلاة في (مسجد) بيت المقدس ألف صلاة، والصلاة في المسجد الأعظم مائة صلاة (والصلاة في مسجد القبيلة خمس وعشرون صلاة، والصلاة في مسجد السوق اثنتا عشرة صلاة) وصلاة الرجل وحده في بيته صلاة واحدة».[2]

٦٤. قرب الإسناد: عن الحسن بن طريف، عن الحسين بن علوان، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «كنت أسمع أبي يقول: إذا دخلت المسجد الحرام والقوم يصلون فلا تسلّم عليهم، وسلّم على النبي صلى الله عليه وآله، ثم أقبل على صلاتك وإذا دخلت على قوم جلوس فسلّم عليهم».[3]

٦٥. علي بن إبراهيم ، عن أبيه، عن حماد، عن حريز، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في النوم في المساجد؟ فقال: «لا بأس إلا في المسجدين: مسجد النبي صلى الله عليه وآله والمسجد الحرام...».[4]

٦٦. محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، (عن يونس)، عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبدالله(عليه السلام) عن النوم في المسجد الحرام ومسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) ؟ قال: «نعم، فأين

١ . الكافي ٦ : ٤٤٢ ؛ وسائل الشيعة ٥ : ٢٠ ؛ بحار الأنوار ٤٧ : ٣٦٠.
٢ . مستدرك الوسائل ٣ : ٤٣١ ؛ بحار الأنوار ٨٠ : ٣٨٠.
٣ . بحار الأنوار ٨١ : ٢٨٧.
٤ . تهذيب الأحكام ٣ : ٢٥٨.

ينام الناس؟!».[١]

٦٧. محمد بن علي بن الحسين، بإسناده عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر(عليه السلام) أنه قال: «من صلى في المسجد الحرام صلاة مكتوبة قبل الله منه كل صلاة صلاها منذ يوم وجبت عليه الصلاة، وكل صلاة يصليها إلى أن يموت».

ورواه أيضاً مرسلاً، نحوه، إلا أنه قال: «صلاة واحدة»، وزاد: «والصلاة فيه بمائة ألف صلاة».[٢]

٦٨. قال أبو جعفر(عليه السلام): «من السنة أن يبرز أهل الأمصار من أمصارهم إلى العيدين إلاّ أهل مكة، فإنهم يصلون في المسجدالحرام».[٣]

٦٩. محمد بن الحسن الصفار، عن محمد بن الحسين، عن الحسن بن حماد بن عديس، عن عمران بن حمران، قال: قلت لأبي الحسن(عليه السلام) : أقصر في المسجد الحرام أو أتم؟ قال: «إن قصرت فلك، وإن أتممت فهو خير، وزيادة الخير خير».[٤]

٧٠. وفي رواية أبي بصير، عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: «إذا دخلت المسجد الحرام فامش حتى تدنو من الحجر الأسود فتستقبله وتقول: «الحمدلله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أكبر من خلقه، وأكبر ممن أخشى وأحذر، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى و يميت، ويميت ويحيي، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير»؛ وتصلي على النبي وآل النبي [صلى الله

١ . وسائل الشيعة٥ : ٢٤٧.

٢ . المصدر نفسه ٥ : ٢٧٠.

٣ . الهداية، للشيخ الصدوق١ : ٢١٢ ؛ بحار الأنوار ٨٧ : ٣٧٩ ؛ مستدرك الوسائل ٦ : ١٣٥.

٤ . الاستبصار، الشيخ الطوسي١ ٢ : ٣٣٤.

عليه وعليهم] وتسلم على المرسلين كما فعلت حين دخلت المسجد، ثم تقول: «أللهم إني أومن بوعدك وأوفي بعهدك».[١]

٧١. حمران بن أعين قال: سمعت أبا جعفر(عليه السلام) يقول: «إن الله فضل الإيمان على الإسلام بدرجة، كما فضل الكعبة على المسجد الحرام».

الشرح: قوله عليه السلام: «كما فضل الكعبة على المسجد الحرام»، فكما أن حرمة المسجد داخلة في حرمة الكعبة دون العكس. كذلك حرمة الإسلام داخلة في حرمة الإيمان دون العكس. فالإيمان أفضل من الإسلام».[٢]

٧٢. محمد بن أحمد، عن يعقوب بن يزيد، عن النضر بن سويد، عن عبدالله بن سنان، عن أبي حمزة قال: قال أبوجعفرعليه السلام: «إذا كان الرجل نائماً في المسجد الحرام أو مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، فاحتلم فأصابته جنابة فليتيمم ولا يمر في المسجد إلاّ متيمماً، ولا بأس أن يمر في ساير المساجد ولا يجلس في شيء من المساجد».[٣]

***

١ . الكافي، الشيخ الكليني قدس سره ٤ :٤٠٣.
٢ . شرح أصول الكافي، للمولى صالح المازندراني ١٢: ٢٦٧.
٣ . تهذيب الأحكام ١: ٤٠٧.

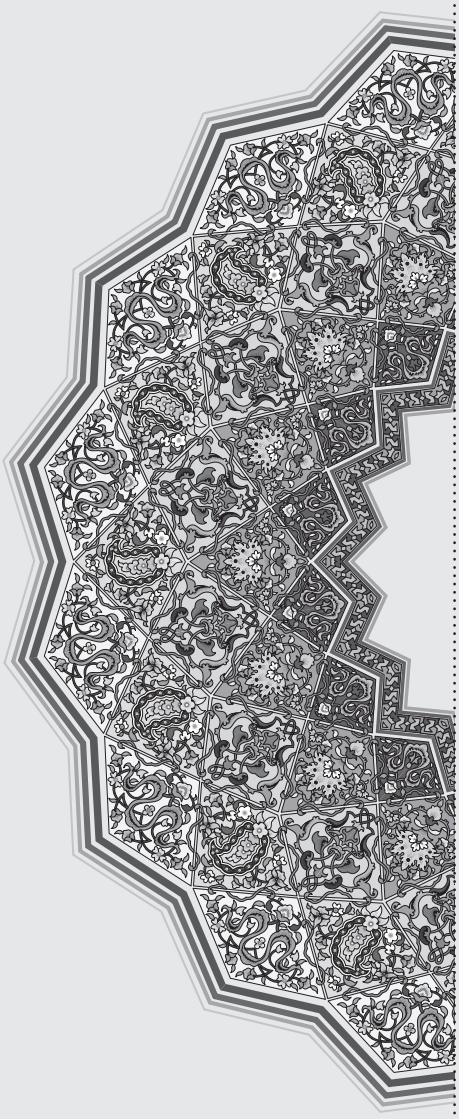

شخصيات من الحرمين الشريفين (٣٣)

أبوالهيثم مالك بن التيهان

محمد سليمان

صحابيٌّ جليلٌ، رسمت معالمَه مدرسةٌ هي من أرقى وأفضل مدارس الدنيا منهجاً ومضموناً، فصياغةً لطلابها، وإعداداً لهم على المستوى الروحي والإيماني والالتزام الأخلاقي، فكانوا بحقٍّ دعاةً صادقين إلى الله تعالى، فبعد أن أسلموا وآمنوا، لم يغيّروا ولم يبدّلوا حتى لقوا ربَّهم، ودون أن ينقضوا عهدهم الذي عاهدوا الله عليه، ولعلّهم صاروا مصداقاً للآية:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً﴾.[1]

---

١ . الأحزاب : ٢٣.

وهو ما جاء توكيده على لسان الإمام الرضا عليه السلام حين وصف هذا الصحابي مع طائفة من إخوته بأنهم لم يغيروا ولم يبدلوا:

«... والذين مضوا على منهاج نبيهم صلى الله عليه وآله، ولم يغيروا ولم يبدلوا مثل سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وحذيفة اليماني، وأبي الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف، وعبادة بن الصامت، وأبي أيوب الأنصاري، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وأبي سعيد الخدري، وأمثالهم رضي الله عنهم ورحمة الله عليهم، والولاية لأتباعهم وأشياعهم، والمهتدين بهداهم، والسالكين منهاجهم، رضوان الله عليهم...».[1]

إنّه مالك بن التَّيِّهان أو التَّيهان؛[2] بن مالك الأنصاري بن عبيد بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر، أبو الهيثم البلوي، بن بلّي بن الحاف بن قضاعة حليف بني عبد الأشهل.

وقد عرف بكنيته (أبوالهيثم الأنصاري) وأنّه من أعلام صدر الإسلام الأوّل الهجري، ولم أجد تحديداً لولادته أو مكانها.

وقد ذكر الذهبي عن نسبه التالي:

أبو الهيثم، مالك بن التيهان بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة الأنصاري، حليف بني عبد الأشهل؛ قاله جماعة.

وقال عبدالله بن محمد بن عمارة الأنصاري: هو من الأوس، من أنفسهم.

وأردفه بقول ثان هو:

---

١ . أنظر عيون أخبار الرضا٧ ٢ :١٢٦، الباب ٣٥.

٢ . أنظر سير أعلام النبلاء: الصحابة. هكذا ورد بتشديد الياء وتخفيفها فهو يخفف ويثّقل كقوله: ميت وميِّت. أنظر ابن هشام في سيرته٢ : ٤٣٣، وهامش٤٤٢. وفي جامع الأصول لابن الأثير كلام في لقب هذا الصحابي، يأتينا في فقرة علماء الرجال.

ابن التيهان بن مالك بن عمرو بن زيد بن عمرو بن جشم بن الحارث بن الخزوج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

هذا عن أبيه، وأما عن أمّه فقد قال: وأمه من بني جشم المذكور.[1]

إسلامه وصحبته:

لقد كان الرجل كارهاً للأصنام، التي ظلَّ أهل الجاهلية يعبدونها من دون الله تعالى، بل ويتألم ويحزن لوجودها، وكان صاحبه أسعد بن زرارة يشاركه في ذلك؛ ولهذا كانا من أوائل من أعلن إسلامه بمكة حتى جعل أبوالهيثم في الأشخاص الثمانية من الأنصار، الذين آمنوا برسول الله ﷺ وفي الستة من الأنصار، الذين يروى أنهم أول من لقي رسول الله ﷺ فأسلموا قبل قومهم، وقدموا المدينة يحملون الإسلام، وراحوا يبلغونه قومهم وغيرهم، فأفشوا الإسلام في مدينتهم يثرب، وقد وقع هذا منهم قبل وصول رسول الله ﷺ إليها مهاجراً من مكة المكرمة.

وذكروا أن أبا الهيثم قد شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وكان هو أحد النقباء الاثني عشر... وهكذا راح يسجل منقبةً بعد أخرى، وموقفاً نبيلاً بعد آخر في سيرته ودعوته إلى الله تعالى، وفي تحمل مسؤولياته عبر جهاده المتواصل، وتفانيه في إعلاء كلمة الحقِّ، واستيعابه لمبادئ وقيم المدرسة النبوية الرسالية، حتى غدا من أكابر المنتسبين إلى مدرسة الصحبة المباركة، بعد أن جاءها بإرادته فانتمى إليها، فنال بذلك أوسمة، كان قد استحقها؛ لما يتمتع به من سيرة محمودة، بدأت وهو يخطو أولى خطواته إلى الله تعالى، فكان:

---

١ . سير أعلام النبلاء: الصحابة، ترجمة (ابن التيهان).

وسامه الأول:

أنّه أوّل من أسلم من الأنصار بمكة مع أسعد بن زرارة.

قال الذهبي: قال الواقدي: كان أبو الهيثم يكره الأصنام في الجاهلية ويؤفف بها، ويقول بالتوحيد هو وأسعد بن زرارة وكانا من أوّل من أسلم من الأنصار بمكة.[١]

وسامه الثاني:

أنّه أوّل من تشرّف بلقاء رسول الله ﷺ قبل قومه. أو أنّه كان أحد الستة الذين منَّ الله تعالى عليهم بلقاء رسول الله ﷺ في العقبة. قبل أن يشهد العقبتين.

قال الذهبي: ويجعل في الثمانية الّذين لقوا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، بمكة، ويجعل في الستة، وفي أهل العقبة الأولى الاثني عشر وفي السبعين.[٢]

وسامه الثالث:

أنّه أوّل من ضرب على يد رسول الله ﷺ للبيعة. فقد شهد بيعتي العقبة الأولى والثانية.

وتحت عنوان: أول من ضرب على يد الرسول ﷺ في بيعة العقبة الثانية.

قال ابن إسحاق: فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة، أسعد بن زرارة، كان أول من ضرب على يده؛ وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهيثم بن التيهان.

قال ابن إسحاق: فأما معبد بن كعب بن مالك فحدثني في حديثه، عن أخيه عبدالله بن كعب، عن أبيه كعب بن مالك، قال: كان أول من ضرب على يد

١ . سيرأعلام النبلاء ١ : ١٩٠.

٢ . سير أعلام النبلاء : الصحابة.

رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، البراء بن معرور، ثم بايع بعدُ القومُ.[١]

وسامه الرابع:

أنّه من النقباء الاثني عشر، الّذين اختارهم رسول الله ﷺ باختيار جبرئيل عليه السلام في بيعة العقبة الثانية. ولا خلاف في هذه كلّها بين المحدثين. حتى عدّت كلُّها مناقب له، إضافةً إلى مواقفه النبيلة الأخرى التي تأتينا.

يقول ابن هشام: حتى إذا كان العام المقبل، وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعقبة، وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، على بيعة النساء (فقد ذكر الله تعالى بيعة النساء في القرآن، فقال: ﴿**يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللّهِ شَيْئاً**﴾ فأراد ببيعة النساء أنهم لم يبايعوه على القتال. وكانت مبايعته للنساء أنه يأخذ عليهن العهد والميثاق. فإذا أقررن بألسنتهن، قال: قد بايعتكن.[٢]

وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب. وراح يذكر أسماءهم وقبائلهم حتى وصل إلى رجال العقبة من الأوس فقال:

وشهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني عبدالأشهل بن جُشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: أبوالهيثم بن التيَّهان، واسمه مالك.[٣]

عهد الرسول ﷺ على الأنصار:

بدأ موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوّة، وكان موسماً يحمل الخير

١ . السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٤٤٧.
٢ . راجع الروض الأنف.
٣ . أنظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٤٣٣ والهامش.

كله. فقد خرج وفدٌ من يثرب لأداء الحج، وكان بإمرة عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين فيما بعد، وكان الوفد يضمُّ ثلاثمائة حاج وقيل خمسمائة، منهم خمسة وسبعون من المسلمين (ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان). لم يعرف المشركون ممن كانوا في هذا الوفد إسلامهم؛ فمع أن دعوة مصعب بن عمير في يثرب، كانت دعوةً علنيةً، يحميها أسعد بن زرارة، لكن لم يكن كل من يؤمن يعلن إسلامه؛ مراعاة لظروف المدينة التي يكثر بها المشركون واليهود؛ لضمان استمرار الدعوة، حتى يحين الوقت التي يعلن فيها المسلمون عن أنفسهم في وقت يستحيل فيه استئصالهم.

يقول كعب بن مالك الأنصاري وهو يصف أحداث بيعة العقبة الثانية: وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا...

وتمَّ اللقاء في آخر ليلة من ليالي الحج، وهي الليلة الثالثة عشرة من شهر ذي الحجة. والمكان هو الشعب الأيمن عند العقبة الثانية، فقد اجتمع ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغّب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم».

فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبياً، لنمنعنك مما نمنع منه أزُرَنا (أي نساءنا، والمرأة قد يكنى عنها بالإزار، كما يكنى أيضاً بالإزار عن النفس). فبايِعْنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة (السلاح)، ورثناها كابراً عن كابر.

فاعترض القولَ، والبراءُ يكلم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيتَ إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك اللهُ أن

ترجع إلى قومك وتدعنا؟

فتبسّم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم.

قال ابن هشام: ويقال: الهدم الهدم: يعني الحرمة. أي ذمتي ذمتكم، وحرمتي حرمتكم.

النقباء:

قال كعب بن مالك: وقد قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: «أخرجوا إليَّ منكم اثنى عشر نقيباً، ليكونوا على قومهم بما فيهم. فأخرَجوا منهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس.

وكان ابن التيهان وهو من الأوس أحدهم كما نصَّ على هذا ابن هشام بقوله:

وأهل العلم يعدّون فيهم أبا الهيثم بن التَّيهان، ولا يعدون رفاعة.

وقال كعب بن مالك يذكرهم، فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري:

أبـو هيثـم أيضـاً وفيّ بمثلهـا وفـاء بـما أعطـى مـن العهـد خانع

فذكر كعب فيهم (أبا الهيثم بن التيهان) ولم يذكر (رفاعة).

قال ابن إسحاق: فحدثني عبدالله بن أبي بكر: أنّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال للنقباء: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي»؛-يعني المسلمين- قالوا: نعم.[1]

---

١ . أنظر السيرة النبوية لابن هشام٢ : ٤٤٢-٤٤٦ بيعة العقبة الثانية، أسماء النقباء.. والقصيدة ضمّت أربعة عشر بيتاً.

المؤاخاة:

انطلاقاً من قيم الدين الجديد، وتطبيقاً عملياً للأخوة العامة التي جاء بها، وتخفيفاً لمعاناة المهاجرين، وتوحيداً للأمة المسلمة، وتشييداً لدولتها، وتنظيماً لقاعدتها، راح رسول الله ﷺ يعتمد خطوات عديدة في المدينة المنورة، كان منها المؤاخاة الخاصة بين المهاجرين القادمين إلى المدينة وأهل المدينة وأبنائها وهم الأنصار من الأوس والخزرج، ويالها من خطوة رائعة في تلاحم الساحة المسلمة وتآلف أبنائها .. فحينما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة، وكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، كان لكل من الصحابي مالك بن التيهان وهو من الأوس، والصحابي عثمان بن مظعون الجُمحي القرشي المهاجر نصيب من ذلك، حين آخى بينهما رسول الله ﷺ.[١]

المشاهد:

لم يتخلّف الصحابي أبو التيهان عن الحضور مع رسول الله ﷺ في مشاهده، فقد كان ممن شهد بدراً وأحداً والخندق، وبقية المشاهد مع رسول الله ﷺ.

وبعثه رسول الله ﷺ إلى خيبر خارصاً بعد ابن رواحة.

فعن محمد بن يحيى بن حبان أن أبا الهيثم بعثه رسول الله ﷺ خارصاً، ثم بعثه أبو بكر، فأبى وقال: إني كنت إذا خرصت لرسول الله ﷺ فرجعت، دعا لي.

وخَرَصَ يَخرُصُ خَرصاً: كَذَبَ، وفي التنزيل العزيز أتت خمس مرات في آيات خمس، وكلها تعني الكذب، منها: ﴿**قُتل الخرّاصون**﴾.[٢] وهو معنى

---

١ . أنظر سير أعلام النبلاء : الصحابة . وغيره.

٢ . سورة الذاريات : ١٠ .

من معانيها، ولكن الخرص هنا لغةً: من خَرَصَ الشيءَ: حزره وقدره بالظن، يقال: خرص النخل والكرم: حزر ما عليه من الرطب تمراً، ومن العنب زبيباً. وفي الحديث: «أنه ﷺ أمر بالخرص في النخل والكرم خاصة». فهو خارصٌ.[1]

وذكروا له موقفاً آخر :

جاء في تفسير الآية الثامنة من سورة التكاثر:

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

القرطبي: روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر؛

فقال: «ما أخْرجَكما من بُيوتِكمَا هَذِه الساعةَ»؟

قالا: الجوع يا رسول الله.

قال: «وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما؛ قُوما» فقاما معه؛ فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مَرْحباً وأهْلاً. فقال لها رسول الله صلى الله عليه [وآله]وسلم: «أين فلان»؟ قالت: يستعذِب لنا من الماء؛ إذ جاء الأنصاريّ، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وصاحِبيهِ، ثم قال: الحمد لله! ما أحدٌ اليومَ أكرم أضيافاً مني. قال: فانطلق، فجاءهم بِعِذْق فيه بُسْر وتمر ورُطَب، فقال: كلوا من هذه. وأخذ المدية، فقال له رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: «إياكَ والحَلُوبَ» فذبح لهم؛ فأكَلُوا من الشَّاة ومن ذلك العِذق، وشرِبوا؛ فلما أن شبعوا وروُوا، قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لَتُسْأَلُنَّ عن نعيم هذا اليوم، يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم

١ . سير أعلام النبلاء للذهبي؛ والمعجم الوسيط : ٢٢٧ خَرَصَ. وانظر مفردات القرآن للحمصي.

ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم». أخرجه الترمذيّ، وقال(فيه): هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تُسألون عنه يوم القيامة: ظِلٌّ بارد، ورُطب طَيِّب، وماء بارد؛ وكنَّى الرجل الذي من الأنصار، فقال: أبو الهيثم بن التَّيهان. وذكر قصته.

قلت: اسم هذا الرجل الأنصاريّ مالك بن التيهان، ويكنى أبا الهيثم. وفي هذه القصة يقول عبدالله بن رواحة، يمدح بها أبا الهيثم بن التَّيّهان:

فَلَـمْ أرَ كالإسـلامِ عِـزًّا لأمّـةٍ ... ولا مِثَـل أضيـافِ الإراشيّ مَعْـشَرَا
نبـيّ وصِدِّيـقٌ وفـاروق أمّـة ... وخـير بنـي حـوّاء فرعـاً وعُنْـصُرا
فوافَـوْا لِميقـاتٍ وقَـدْرِ قَضيـةٍ ... وكان قضـاء الله قَـدْراً مُقَـدَّرَا
إلى رجـل نَجْـدٍ يُبـاري بِجـودِهِ ... شُـموس الضُّحَى جوداً ومجداً ومَفخرا
وفـارِسِ خلـقِ الله في كل غـارةٍ ... إذا لبِـس القـومُ الحديـدَ المُسَـمَّرَا
فَفَـدَّى وحَيّـا ثـم أدْنَـى قِراهُـمُ ... فلَـمْ يَقْرِهِـمْ إلاَّ سَـمِيناً مُتَمَّـرَا

وقد ذكر أبو نَعيم الحافظ، عن أبي عسِيب مولى رسولِ الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ليلاً، فخرجت إليه، ثم مرَّ بأبي بكر فدعاه، فخرج إليه، ثم مرَّ بعمر فدعاه، فخرج إليه، فانطلق حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار، فقال لصاحب الحائط: «أطعمنا بُسْراً» فجاء بعذْق، فوضعه فأكلوا، ثم دعا بماء فشرب، فقال: «لَتُسْأَلُنّ عن هذا يومَ القيامة».

قال: وأخذ عمر العِذْق، فضرب به الأرض حتى تناثر البسر نحو وجه رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم؛ قال: يا رسول الله، إنا لمسؤولون عن

هذا يوم القيامة؟

قال: «نعم إلا من ثلاث: كِسرة يسُدّ بها جَوْعَته، أو ثوب يستر به عَوْرته، أو جُحْرٍ يأوي فيه من الحرّ والقُرّ».[١]

هذا وقد اختلف أهل التأويل في النعيم المسؤول عنه في هذه الآية على عشرة أقوال، منها:

أنَّ هذا السؤال عن كلّ نعمة، إنما يكون في حقّ الكفار، فقد رُوي أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية قال:

يا رسول الله، أرأيتَ أكلةً أكلتُها معك في بيت أبي الهيثم بن التَّيْهان، من خبز شعير ولحم وبُسْر قد ذنَّب، وماء عذب، أتخاف علينا أن يكون هذا من النعيم الذي نُسأل عنه؟ فقال عليه السلام: «ذلك للكُفار، ثم قرأ: ﴿**وَهَلْ نُجَازِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ**﴾.[٢]» ذكره القشيريّ أبو نصر.[٣]

ولاؤه للإمامة:

موقف عرف به الرجل واشتهر، أن سجّل ملفُه ولاءً عظيماً لإمامة عليٍّ عليه السلام، وكان واعياً لما تحمله هذه الإمامة للأمة من عطاء عظيم، ولما تتوفر عليه من خير لها، وفي الوقت نفسه كان عارفاً بكل ما تتعرض له من مؤامرات، وخطورة التآمر عليها وضخامته، كما كان حريصاً أن يؤدي واجبه، وأن يفي بتعهداته التي قطعها على نفسه في البيعتين في العقبة الأولى والثانية في صدق الولاء لرسول الله صلى الله عليه وآله ومشروعه السماوي سواء أكان في حياته صلى الله عليه وآله أم بعد وفاته صلى الله عليه وآله فهو عهد مستمر عليه أن يفي به دون تردد أو توقف أو تبديل حتى

١ . الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، سورة التكاثر : ٨.

٢ . سورة سبأ : ١٧.

٣ . أنظر الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي؛ وتفسيرالتحرير والتنوير لابن عاشور: الآية.

يحكم الله وهو خير الحاكمين، من هنا كانت انطلاقته مخلصةً صادقةً لا ينتابها شك ولا يداخلها ريب، وعلى هذا الأساس راحت مواقفه المؤيدة لخطى الإمامة المتمثلة بالإمام علي عليه السلام تتجذر بقوة وثبات حتى حظي بالشهادة بين يدي الإمام المباركتين، فمن مواقفه:

بيعته للإمام عليٍّ عليه السلام:

كان واحداً ممن عدّهم الشيخ المفيد من الأنصار الذين وفّقوا لبيعة أميرالمؤمنين عليه السلام، وهم الذين بايعوا البيعتين وصلوا القبلتين، واختصوا من مدائح القرآن والثناء عليهم من نبيِّ الهدى عليه وآله السلام، بما لم يختلف فيه من أهل العلم اثنان، ... وقبل هذا قال عنهم: الراضين بإمامته، الباذلين أنفسهم في طاعته، ...[1]

فممن روى خبر البيعة وما كانت عليه الحال أبو مخنف في حرب البصرة عن... لوط بن يحيى الأزدي في كتابه المصنَّف: وقام عمار بن ياسر، وأبو الهيثم بن التيهان، ورفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان، وأبو أيوب خالد بن زيد، فقالوا لعليٍّ عليه السلام: إنَّ هذا الأمر قد فسد، وقد رأيت ما فعل عثمان، وما أتاه من خلاف الكتاب والسنة، فابسط يدك نُبايعك؛ لِتُصلحَ من أمر الأمّة ما قد فسد.

فاستقال، وقال: قد رأيتم ما صُنع بي، وعرفتم رأي القوم، فلا حاجة لي فيهم.

فأقبلوا على الأنصار، وقالوا: يا معاشر الأنصار! أنتم أنصار الله وأنصار رسوله، وبرسوله أكرمكم الله، وقد علمتم فضل عليٍّ وسابقته في الإسلام وقرابته ومكانته من النبي صلى الله عليه وآله، وإن ولّي أنالكم خيراً.

---

١ . أنظر كتاب الجمل، للشيخ المفيد : ١٠١ - ١٠٦.

فقال القوم: نحن أرضى الناس به، ما نريد به بدلاً، ثم اجتمعوا عليه فلم يزالوا به حتى بايعوه.

وبإسناده عن أبي الهيثم بن التيهان، قال: يا معاشر الأنصار! قد عرفتم رأيي ونصحي ومكاني من رسول الله صلى الله عليه وآله، واختياره إياي، فردّوا هذا الأمر إلى أقدمكم إسلاماً، وأولاكم برسول الله صلى الله عليه وآله، لعلَّ الله يجمع به ألفتكم، ويحقن به دماءكم. فأجابه القومُ بالسمع والطاعة...[١]

هذا وأنه لم يكتف بأن يكون مبايعاً للإمام عليه السلام، يأخذان له عليه السلام البيعةَ من الناس هو وعمار بن ياسر، بل راح يذكر الشيخ الطوسي:

أنّهم اجتمعوا على علي بن أبي طالب عليه السلام فبايعوه، فقام وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، هذه الولاية، فإني قد كنت كارهاً يعلم الله في سماواته وفوق عرشه على أمة محمد صلى الله عليه وآله حتى اجتمعتم على ذلك، فدخلت فيه،... فقام إليه الناس فبايعوه، فأول من قام فبايعه طلحة والزبير، ثم قام المهاجرون والأنصار وسائر الناس حتى بايعه الناس، وكان الذي يأخذ عليهم البيعة عمار بن ياسر و أبو الهيثم بن التيهان نبايعكم على طاعة الله وسنة رسوله، وإن لم نفِ لكم فلا، وهما يقولان: طاعة لنا عليكم، ولا بيعة في أعناقكم، والقرآن إمامنا وإمامكم...».[٢]

وشهد يوم الرحبة حين قال لهم أمير المؤمنين عليه السلام بعد حمده الله وثنائه عليه: «أنشد الله من شهد يوم غدير خم إلا قام، ولا يقوم رجل يقول: إنّي نبئت وبلغني إلا رجل سمعت أذناه ووعاه قلبه، فقام سبعة عشر رجلاً منهم: خزيمة بن ثابت، وسهل بن سعد...وأبو الهيثم بن التيهان، ورجال من قريش،

---

١ . المصدر السابق، ومصادره في الهامش : ١٢٨ – ١٢٩.

٢ . أنظر كتاب الأمالي، للشيخ الطوسي : ٧٢٨.

فقال عليّ رضي الله عنه وعنهم: هاتوا ما سمعتم.

فقالوا: نشهد أنّا أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع، حتّى إذا كان الظهر خرج رسول الله صلى الله عليه وآله، فأمر بشجيرات فشذبن، وألقى عليهن ثوب، ثمّ نادى بالصلاة، فخرجنا فصلينا، ثمّ قام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: (أيّها الناس ما أنتم قائلون؟) قالوا: قد بلّغت. قال: (اللّهمّ اشهد). ثلاث مرّات. قال: (إنّي أوشك أن أُدعى فأُجيب، وأنّي مسؤول وأنتم مسؤولون)... ثمّ قال: (أيّها الناس إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، نبّأني بذلك اللطيف الخبير). وذكر الحديث في قوله صلى الله عليه وآله: (من كنت مولاه فعليّ مولاه ، فقال عليّ عليه السلام: صدقتم، وأنا على ذلك من الشاهدين».[1]

وقد أخرجه ابن عقدة من طريق محمّد بن كثير عن فطر وأبي الجارود، كلاهما عن أبي الطفيل عن الحسين بن المبارك قال: حدثنا الحسن بن سلمة قال: لما بلغ أمير المؤمنين صلوات الله عليه مسير طلحة والزبير وعائشة من مكة إلى البصرة، نادى: الصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد فإن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم قلنا: نحن أهل بيته، وعصبته، وورثته، وأولياؤه، وأحق خلائق الله به، لا ننازع حقه وسلطانه، فبينما نحن على ذلك إذ نفر المنافقون، فانتزعوا سلطان نبيّنا منا، و ولوه غيرنا، فبكت لذلك والله العيون والقلوب منا جميعاً، وخشنت والله الصدور، وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين وأن يعودوا إلى الكفر، ويعور الدين، لكنا قد غيرنا ذلك ما استطعنا.

وقد ولي ذلك ولاة، ومضوا لسبيلهم، ورد الله الأمر إليّ، وقد بايعني هذان

---

١ . عن السمهودي أُنظر: معجم رجال الحديث ٢٣ : ٩٠ رقم١٤٩٤١.

الرجلان، طلحة والزبير فيمن بايعني، وقد نهضا إلى البصرة ليفرقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم.

أللهم فخذهما بغشهما لهذه الأمة، وسوء نظرهما للعامة».

وهنا قام أبو الهيثم بن التيهان رحمه الله وقال:

يا أمير المؤمنين، إن حسد قريش إيّاك على وجهين: أمّا خيارهم فحسدوك منافسة في الفضل، وارتفاعاً في الدرجة، وأمّا أشرارهم فحسدوك حسداً أحبط الله به أعمالهم، وأثقل به أوزارهم، وما رضوا أن يساووك حتّى أرادوا أن يتقدّموك، فبعدت عليهم الغاية، وأسقطهم المضمار، وكنت أحقّ قريش بقريش، نصرت نبيّهم حيّاً، وقضيت عنه الحقوق ميّتاً، والله ما بغيهم إلاّ على أنفسهم، ونحن أنصارك وأعوانك، فمرنا بأمرك، ثمّ أنشأ يقول:

إنّ قوماً بغوا عليك وكادوك ... وعابوك بالأُمور القباح
ليس من عيبها جناح بعوض ... فيك حقّاً ولا كعشر جناح
أبصروا نعمة عليك من الله ... وقرماً يدق قرن النطاح
وإماماً تأوي الأُمور إليه ... ولجاماً يلين غرب الجماح
حاكماً تجمع الإمامة فيه ... هاشمياً له عراض البطاح
حسداً للذي أتاك من الله ... وعادوا إلى قلوب قراح
ونفوس هناك أوعية البغض ... على الخير للشقاء شحاح
من مسر يكنه حجب الغيب ... ومن مظهر العداوة لاح
يا وصي النبي نحن من الحق ... على مثل بهجة الاصباح
فخذ الأوس والقبيل من الخزرج ... بالطعن في الوغى والكفاح
ليس منا من لم يكن لك في الله ... ولياً على الهدى والفلاح

فجزّاه أمير المؤمنين عليه السلام خيراً، ثم قام الناس بعده فتكلم كل واحد بمثل مقاله.[١]

وكان له كلام حول ما فعله طلحة والزبير ومن معهم، جاء بعد كلام الأشتر رحمه الله، فقام وقال:

يا أمير المؤمنين صبَّحهم الله بما يكرهون، فإن أقبلوا قبلنا منهم، وإن أدبروا جاهدناهم أو لنجاهدنهم؛ فلعمري ما قوم قتلوا النفس التي حرم الله قتلها، وأخذوا الأموال وأخافوا أهل الإيمان بأهلٍ أن يُكفَّ عنهم.

وقد نسب إليه أنّه أنشد قائلاً:

قل للزبير وقل لطلحة إنّنا ... نحن الذين شعارنا الأنصارُ
نحن الذين رأت قريشٌ فعلنا ... يوم القليب أُولئك الكفّارُ
كنّا شعارَ نبيّنا ودثارَه ... يفديه منّا الروحُ والأبصارُ
إنّ الوصيَّ إمامُنا ووليّنا ... برَحَ الخفاءُ وباحتِ الأسرارُ.[٢]

موقفه في معركة الجمل وصفين:

وقد ضمّت هاتان المعركتان جمعاً من وجوه المهاجرين ونقباء الأنصار، وكان ابن التيهان أحدهم.

فمن المعروف أنّه اشترك مع الإمام علي عليه السلام في حربي الجمل وصفّين، وكان فيهما من قادة الجيش.

١ . الأمالي للشيخ المفيد: ١٥٤ مجلس١٩. الحسن بن سلمة: لم نعثر عليه بهذا العنوان، وإن قلنا بتصحيف «الحسين» بالحسن فلا بد من الإرسال أو الإضمار؛ لأن الحسين بن سلمة المعنون في الرجال من أصحاب الصادق عليه السلام. المحقق.

٢. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١: ١٤٣-١٤٤، ما ورد في وصاية علي عليه السلام من الشعر.

شعره في حرب الجمل

قال رضي الله عنه أبياتاً من الشعر يوم الجمل، منها:

قـل للزبـير وقـل لطلحـة إنّنـا ... نحـن الذيـن شـعارنا الأنصـار
نحن الذيـن رأت قريـش فعلنا ... يـوم القليـب أُولئـك الكفّـار
كنّـا شـعار نبيّنـا ودثـاره ... يفديـه منّـا الـروح والأبصـار
إنّ الـوصي إمامنـا ووليّنـا ... برح الخفاء وباحت الأسرار.[1]

يوم صفّين:

كان من المشاركين بقوّة في معركة صفين إلى جانب الإمام عليٍّ عليه السلام، ضدَّ معاوية وجنده، ومما ذكر له قبل أن تكتب له الشهادة بين يدي الإمام عليٍّ عليه السلام أنه ألقى خطبةً.

١ . المصدر السابق.

قال نصر: وأقبل أبو الهيثم بن التيّهان، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بدرياً نقيباً عقبياً، يسوّي صفوف أهل العراق ويقول:

يا معشر أهل العراق! إنّه ليس بينكم وبين الفتح في العاجل، والجنّة في الآجل إلاّ ساعة من النهار، فأرسوا أقدامكم، وسوّوا صفوفكم، وأعيروا ربّكم جماجمكم، واستعينوا بالله إلهكم، وجاهدوا عدوّ الله وعدوكم، واقتلوهم قتلهم الله وأبادهم! واصبروا فإنّ الأرض لله يورثها مَن يشاء من عباده، والعاقبة للمتّقين.[١]

وقد حظي بالشهادة:

واستشهد في صفين: وقبل أن نثبت استشهاده في معركة صفين، وأنه هو القول الأصح من بين أقوال عديدة في وفاته رضوان الله تعالى عليه، نذكر ما قيل فيها:

فعن الأصمعي (١٢١ ٢١٦ هجرية) أنه قال: سألت قوم أبي الهيثم، فقالوا: مات في حياة النبي صلى الله عليه وآله.

أنه توفي بالمدينة سنة عشرين في زمن خلافة عمر بن الخطاب كما في طبقات ابن سعد.

قال الواقدي: هذا أثبت عندنا ممن روى أنه قتل بصفين مع علي، أو أنه توفي في سنة إحدى وعشرين.

أنه استشهد مع الإمام علي عليه السلام يوم صفين سنة سبع وثلاثين.

وقيل: إنه بقي بعد صفين بيسير.[٢]

---

١ . أنظر شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي ٥ : ١٩٠، مؤسسة مطبوعات إسماعيليان، إيران قم. وهو نصر بن مزاحم المنقري (ت: ٢١٢هـ) صاحب كتاب صفين.

٢ . راجع الروض الأنف ؛ والاستيعاب ؛ وهامش الصفحة: ٤٣٣ من الجزء الثاني من السيرة النبوية لابن هشام ؛ وانظر ابن قتيبة في المعارف : ٢٧٠ ؛ وابن سعد في الطبقات٣ : ٤٤٩.

والأصح أنه استشهد في معركة صفين، والأدلة هي:

الخطبة المروية عن الإمام عليٍّ عليه السلام دليل على استشهاد هذا الصحابي الجليل ابن التيهان في معركة صفين.

والدليل الآخر هو ما رواه ابن عبد البر في الاستيعاب عن وفاة مالك بن التيهان حيث قال: وقيل: إنّه توفي سنة عشرين أو إحدى وعشرين وقيل: إنّه أدرك بصفين وشهدها مع عليّ وهو الأكثر.[١]

وما رواه ابن الأثير في كامله: بأنّ ابن التيهان شهد صفين مع عليّ عليه السلام سنة ٣٩هـ وقتل فيها.[٢]

وما ذكر في أسد الغابة: أنّه أدرك صفين وشهدها مع عليّ وقتل بها وهو الأكثر.[٣]

---

١ . الاستيعاب ٤: ١٧٧٣.

٢ . الكامل، ابن الأثير ٣: ٢٢٥.

٣ . أسد الغابة ٥: ٣١٨.

هذا إضافةً إلى ما رواه الطبري في تاريخه، وابن الأثير في كامله، وابن خلدون في تاريخه، وابن كثير في البداية والنهاية بأنّ مالك بن التيهان ممّن استجاب لدعوة أمير المؤمنين عليه السلام في المسير من المدينة إلى البصرة لمحاربة أهل الجمل، وهذه الواقعة كما هو معلوم جرت سنة ٣٦ للهجرة.[١]

فختاماً لحياة إيمانية واعية، كانت الشهادة وساماً له رضوان الله تعالى عليه، حيث استُشهد في شهر صفر سنة ٣٧هـ بحرب صفّين، ودُفن في منطقة صفّين.

وراح الإمامُ عليٌّ سلام الله عليه يؤبّنه ويُثني عليه حيث قال:

«أين إخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحقّ! أين عمّار! وأين ابن التيّهان! وأين ذو الشهادتين أي خُزيمة بن ثابت الأنصاري وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية».

وقد ندبه الإمامُ عليٌّ عليه السلام، وتأوّه عليه وعلى نظرائه من الصحابة الأبرار، في خطبة له رويت عن نوف البكالي أنّه قال:

خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالكوفة، وهو قائم على حجارة، نصبها له جَعْدَة بن هُبَيْرة المخزومي،...

ثمّ قال عليه السلام:

«أيّها النّاس، إنّي قد بثثت لكم المواعظ الّتي وعظ بها الانبياء أممهم، وأدّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم، وأدّبتكم بسوطي فلم تستقيموا، وحدوتكم بالزّواجر فلم تستوسقوا.[٢] لله أنتم! أتتوقّعون إماما غيري يطأ بكم الطّريق، ويرشدكم السّبيل؟

---

١ . تاريخ الطبري ٣: ٤٦٥ ؛ الكامل، ابن الأثير ٣: ١١٣ ؛ تاريخ ابن خلدون ٢: ١٥٤ ؛ البداية والنهاية ٧: ٢٦١.

٢ . استَوْسَقَتِ الإبل: اجتمعت وانضمّ بعضها إلى بعض.

ألا إنّه قد أدبر من الدّنيا ما كان مقبلاً، وأقبل منها ما كان مدبراً، وأزمع التّرحال عباد الله الاخيار، وباعوا قليلا من الدّنيا لا يبقى، بكثير من الآخرة لايفنى.

ما ضرّ إخواننا الّذين سفكت دماؤهم وهم بصفّين ألاّ يكونوا اليوم أحياء؟ يسيغون الغصص، ويشربون الرّنق!،[١] قد والله لقوا الله فوفّاهم أجورهم، وأحلّهم دار الأمن بعد خوفهم.

أين إخواني الّذين ركبوا الطّريق، ومضوا على الحقّ؟ أين عمّار؟ وأين ابن التّيّهان؟ وأين ذوالشّهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الّذين تعاقدوا على المنيّة، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة»؟[٢]

ثمّ ضرب عليه السلام بيده إلى لحيته، فأطال البكاء، ثمّ قال:

«أوّه على إخواني الّذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبّروا الفرض فأقاموه، أحيوا السّنّة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتّبعوه.[٣]

وراحت أمينة الأنصارية ترثيه قائلة:

منع اليوم أن أذوق رقادا ... مالكٌ إذ مضى وكان عمادا
يا أبا الهيثم بن تيهان إني ... صرت للهمِّ معدنًا ووسادا
إذ غدا الفاسقُ الكفورُ عليهم ... إنه كان مثلها معتادا
أصبحوا مثل من ثوى يوم أحدٍ ... يرحم الله تلكم الأجسادا[٤]

---

١ . الرَنِقُ : بكسر النون وفتحها وسكونها ـ: الكَدِر.

٢ . وَأُبْرِدَ برُؤوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ: أرسلت رؤوسهم مع البريد بعد قتلهم للبغاة للتشفّي منهم رضي الله عنهم.

٣ . نهج البلاغة، ضبط نصّه الدكتور صبحي الصالح، الخطبة: ١٨٢.

٤ . أنظر وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم إيران : ٣٦٥.

أقوال علماء الرجال فيه:

حظي بمنزلة محترمة في تقييمات علماء الرجال عند الفريقين، وقد ذكرنا بعض كلامهم ضمن الحديث عنه أعلاه، وهنا نكتفي بشيءٍ موجز مما تيسر لنا من كلامهم، وبما ذكره السيد الخوئي قدس سره، فقد تحدث عنه في موضعين من معجمه:[1]

الموضع الأول تحت رقم ٩٨١٨: مالك بن التيهان: هو أبو الهيثم بن التيهان، على ما صرّح به في الاستيعاب وأسد الغابة وغيرهما... ويأتي بيان حاله في (أبو الهيثم بن التيهان) في الكنى.

الموضع الثاني تحت رقم ١٤٩٤١: أبو الهيثم بن التيهان: من أصحاب علي عليه السلام، رجال الشيخ (١).

وعدّه البرقي من جملة الاثني عشر الذين أنكروا على أبي بكر (في تصدّيه الخلافة)، وذكره الصدوق قدس سره في الخصال: الجزء (٢)، أبواب الاثنى عشر، الحديث (٤).

روى عن أمير المؤمنين عليه السلام، وروى عنه سلمة بن كهيل. الروضة: الحديث (٥).

وهو من النقباء الاثني عشر الذين اختارهم رسول الله صلّى الله عليه وآله بإشارة من جبرئيل عليه السلام، ذكره الصدوق في الخصال: الجزء (٢)، الباب المذكور، الحديث (٧٠).

وتقدّم في أسعد بن زرارة. وهو من الذين مضوا على منهاج نبيّهم ولم يغيّروا ولم يبدّلوا، ذكره الصدوق في العيون: الجزء (٢)، الباب (٣٥)، فيما كتبه الرضا عليه السلام إلى المأمون في محض الايمان، الحديث (١)، وتقدّم في

---

١ . أنظر معجم رجال الحديث ١٥، ٢٣.

ترجمة جندب بن جنادة.

وذكره في الخصال أيضاً، الجزء (٢)، أبواب المئة فما فوق في خصال من شرايع الدين، الحديث (٩).

ومن السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ذكره الكشّي في ترجمة أبي أيوب الانصاري (٦)، وتقدّم في براء بن مالك.

وكان هو وعمّار بن ياسر يأخذان البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام. أمالي الشيخ: الجزء (٢)، مجلس يوم الجمعة الثالث من ذي القعدة سنة (٤٥٧)، الحديث (٥).

وغير ذلك من الروايات الدالّة على ولائه لعلي عليه السلام.

وقد ذكر الشيخ المفيدﷺ له كلاماً وأبياتاً حينما ولي علي عليه السلام الخلافة وجزاه أمير المؤمنين عليه السلام خيراً. الأمالي: المجلس التاسع عشر، الحديث (٦).

وللمزيد هناك تفصيل في الفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ٣ : ١٩٥.

باب الميم مالك بن التيهان: بن مالك، أبو الهيثم الأنصاري.[1]

وقال ابن الأثير في جامع الأصول: أبوالهيثم مالك بن التهيان بن مالك، وقيل: اسم التيهان مالك بن عمرو بن زيد، وفي نسبه خلاف فمنهم من يجعله أنصاريا من الاوس، ومنهم من يجعله بلوياً من بلي بن الحاف بن فضاعة، ويقال: انه حليف بني عبد الاشهل، شهد العقبة الاولى والثانية مع السبعين، وكان أحد الستة الذين لقوا رسول الله صلى الله عليه وآله قبل ذلك بالعقبة

---

١ . الفوائد الرجالية، للسيد بحرالعلوم ٣ : ١٩٥.

الهيثم بفتح الهاء وسكون الياء وبالثاء المثلثة، والتيهان بفتح التاء فوقها نقطتان وتشديد الياء تحتها نقطتان وكسرها وبالنون، وبلي بفتح الباء الموحدة وكسر اللام وتشديد الياء، والحاف بالحاء المهملة وكسر الفاء. الفوائد الرجالية من جامع الأصول بعد الجزء الثاني عشر.

وفي المعجم الكبير للطبراني١٩ باب الميم. مالك بن التيهان أبو الهيثم الأنصاري.

فيما زعم بنو عبد الاشهل، وهو أحد النقباء الاثنا عشر، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها، روى عنه أبوهريرة، وقيل: مات في خلافة عمر سنة عشرين بالمدينة، وقيل: قتل مع علي عليه السلام بصفين سنة سبع وثلاثين وقيل: غيرذلك.

لم يزل بالمدينة حتى توفي بها سنة عشرين.

من أخباره حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الحراني، ثنا أبي، ثنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة في تسمية من شهد العقبة من الأنصار، ثم من الأوس من بني عبد الأشهل، أبو الهيثم بن التيهان، وهو نقيب، وقد شهد بدراً، وهو أول من بايع على الإسلام في العقبة.[1]

فرضوان الله تعالى عليه من عبدٍ مؤمنٍ واعٍ ذي بصيرة في إسلامه، وصدقٍ في ولائه لأهل البيت عليهم السلام، وفي مواقفه!

١ . المعجم الكبير، الطبراني ١٩ : ٢٤٩ـ ٢٥٠.

حصون المدينة المنوّرة فأسوارها وأبوابها

حسن محمد

هذه قراءة موجزة فيما كتب عن آثار (يثرب) المدينة المنورة، بل وبإيجاز عن بعض بلاد الحجاز .. وبالذات عن تلك المواقع أو الأشكال من البناء، التي تطورت فشكلت ظاهرةً عمرانيةً في حياة الناس وأيامهم التي مضت عليهم، وغدت فيما بعد جزءاً مهمّاً من عالم الآثار، الذي تفتخر به الشعوب ..

فقد انبثقت تلك المواقع مما عدّ حاجة فطرية رافقت الإنسان، وهي حماية نفسه وما يملك من الأخطار التي قد تنجم في حياته، فراح انطلاقاً من حاجته تلك يدافع، ويتوسل بأي وسيلة، ويلوذ بأي ملاذ؛ ليوفر له ولمن حوله ملجأً آمناً يحفظ له نفسه وعرضه وماله.. ، ويحقق له النصر على أعدائه، الذين يريدون كيداً به والقضاء عليه...

ومن تلك الوسائل التي استخدمها الإنسان على مرِّ الحقب والعصور؛ نوع من البناء، سواء أكان سدّاً أو ردماً أو سوراً أو جداراً أو حائطاً أو برجاً أو حصناً أو صيصيةً أو قصراً ..؛ المهم أنه شكلُ بناءٍ وإن تعددت أشكاله وأسماؤه، يحميه ويستعين به على المكاره، ويحيط به نفسه أو بيته، أو قريته، أو بلدته، أو ممتلكاته، أو جنده وأعوانه.. ويجعل منه ملاذاً للدفاع عن ذلك كله ضدَّ هجوم ما، وما الردم الذي أنشأه ذو القرنين، حين طلب منه أهلُ القرية سدّاً أو حاجزاً يمنع أن يصل إليهم المفسدون، وهو ما حدثتنا عنه سورة الكهف بالآيتين ٩٤،٩٥:

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَبَيْنَهُم سَدّاً * قَالَ مَا مَكَّنّي فِيه رَبّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً * ...﴾ إلاّ هو وسيلة من وسائل عديدة، اختارها الناس يومذاك حتى يلوذوا بها، ويدفعوا عنهم ما قد يكيده الآخرون لهم ..

لقد أدى هذا النوع من البناء دوراً مهمّاً في المحافظة على المدن سابقاً؛ فقد وفّر لسكانها الأمن والاستقرار والطمأنينة؛ وكان الأهالي في غيابها يخشون هجوم الأعداء، وسطو اللصوص، واعتداء المفسدين؛ لذلك دأبت مختلف الشعوب على بناء هذه العناصر الدفاعية، ورصدت الأموال الطائلة لإنشائها؛ وكان للمدن الإسلاميه الحظ الوافرمن تلك الاستحكامات والمباني الدفاعية، مما جعلها هي الأخرى آمنةً ومستقرةً بوجودها، خائفةً مضطربةً بدونها.

ومن أهم المدن الإسلامية، التي شيّدت حولها الأسوار:

النجف، فقد أُنشيء فيها سور لحمايتها من الهجمات، التي كانت تتعرض لها من قبل الأعداء، وما زالت له بقايا، وإن كانت بسيطةً بعد تهديمها قبل ثلاثة عقود، أو تزيد قليلاً على ما أظن.

وبغداد، وقد عمل لها مؤسسها المنصور العباسي سورين، وكان السور الداخل أطول من السور الخارج ...، وقع ذلك خلال بنائها الذي دام خمس سنوات من سنة ١٤٥ حتى سنة ١٤٩ هجرية، وكانا على شكل بغداد الدائري ...

ودمشق القديمة، وفيها سور أثري، طوله ١٥٠٠ متر، وعرضه ٧٥٠ متراً يحيط بها، ويعدُّ من أهم المعالم الأثرية فيها، ويضمّ قلعة دمشق وأبوابها السبعة؛ ويعود تاريخ إنشائه إلى العهد الآرامي فاليوناني وبعده الروماني ...

وحتى القسطنطينية، كان لها سور بل أسوار على مرِّ الأزمنة، وللذكرى أنَّ الصحابي الجليل أبا أيوب الأنصاري رضوان الله عليه بعد أن استشهد ..، دفن تحت سور القسطنطينية يوم فتح المسلمون أسوارها في سنة خمس وخمسين هجرية بوصية منه بعد أن جرح، وحين أتاه قائد الجند قائلاً: ما حاجتك أباأيوب؟ فقال: أما دنياكم فلا حاجة لي فيها، ولكن قدِّمني ما استطعتَ في بلاد العدو، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُدفَنُ عند سُور القسطنطينية رجلٌ صالح؛ أرجو أن أكون هُوَ».

وعن الأصمعي، عن أبيه: أنّ أبا أيوب قبر مع سور القسطنطينية، وبني عليه، فلما أصبحوا، قالت الروم: يا معشر العرب، قد كان لكم الليلة شأن. قالوا: مات رجل من أكابر أصحاب نبينا، والله لئن نبش، لأضرب بناقوس في بلاد العرب؛ فكانوا إذا قحطوا، كشفوا عن قبره، فأمطروا.

فيما قال الواقدي: مات أبو أيوب سنة اثنتين وخمسين،.. ودفن بأصل حصن القسطنطينية. فلقد بلغني أن الروم يتعاهدون قبره، ويستسقون به.[1]

وسور الصين العظيم، الذي هو سور يمتد على الحدود الشمالية والشمالية

---

١ . أنظر ترجمته في العدد ١٥: ٢٦٢ ٢٧٩ من مجلة ميقات الحج؛ ومختصر تاريخ دمشق٧ : ٣٤٢ ـ٣٤٣ ؛ والواقدي في كتاب المغازي، وغيره.

الغربية للصين، وقد انتهت الأعمال فيه سنة ٢٠٤ ق.م، وبلغ البناء طوله النهائي (٦٧٠٠ كلم) سجل حضوراً في عالم العجائب، ودخل قائمة التراث العالمي التي حددتها اليونسكو عام ١٩٨٧م.

وما سور برلين إلا كونه جداراً خرسانياً طويلاً يفصل شطري برلين الشرقي والغربي والمناطق المحيطة في ألمانيا الشرقية؛ كان الغرض منه الحيلولة دون هجرة القوى العاملة، وتحجيم المرور بين برلين الغربية وألمانيا الشرقية ...، بدأوا ببنائه سنة ١٩٦١م، وتمَّ هدمه عام ١٩٨٩ م.

وهكذا غيرها من المدن العريقة، التي لازالت أجزاء منها تشهد بما كانت عليه من عزّة ومنعة بفضل تلك الحصون والأسوار، مع تباين طرازها وأشكالها وأساليب بنائها وضخامتها وقوتها ..، وكل هذا حسب اختلاف الزمان والمكان وما تقرره الضرورة والحاجة لكل شعب وبلد .. والمتفق عليه أنَّ هذا البناء غدا يشكل ظاهرة عمرانية، وأثراً تأريخيّاً، ومعلماً حضاريّاً مهمّاً في حياة الشعوب والبلدان والدول.

وفي بعض بلاد الجزيرة العربية، كان هذا الشكل من الأبنية قد احتلَّ مكانةً مهمةً جعلت أصحاب الرحلات إلى الحجاز كابن جبير، أبوالحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني المعروف بابن جبير (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م)؛ وابن بطوطة، محمد بن عبدالله، في تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروف برحلة ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ١٣٧٧ - م)؛ والمقدسي أبوعبدالله محمد بن أحمد بن البناء البشاري المقدسي (ت ٣٨٠هـ الموافق ٩٩٠م) واسم كتاب رحلته: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم؛ والنابلسي، عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي الدمشقي الحنفي (ت١١٤٣هـ الموافق ١٧٣٠ م) ورحلته: (الحقيقة و المجاز في رحلة بلاد الشام ومصر

والحجاز) وغيرهم؛ لا يتجاوزن ذكر هذا الشكل من البناء على اختلاف تسمياته، فدونوه في رحلاتهم .. وحظيت المدينة المنورة في مدوناتهم بقسطٍ وافرٍ، فهي تعدُّ أول مدينة إسلامية كان لها النصيب الأكبر من الحماية ببناء الحصون أولاً، فبناء الأسوار حولها ثانياً بعد أن صار التهديد الخارجي لها فعليّاً ، كما يأتينا ، حتى تلاشت الحاجة إليها فيما بعد وبالذات في عصرنا .

ونظراً لغياب الوعي بأهمية التراث العمراني وبقيمة الآثار التاريخية والمحافظة عليها، فقد أزيلت الحصون والأسوار، حالها حال العديد بل الكثير من الآثار العمرانية والإسلامية، ولم يبق منها أي شيء يدل عليها، وعلى هيئتها وقوتها ومدي إتقان بنائها، وهو أمر يؤسف له ...

وهذه أولاً معاني بعض المفردات التي تردنا في الكلام:

* **الحصنُ**: حَصُنَ المكانُ يَحْصُنُ حَصانةً، فهو حَصِينٌ: مَنعَ. وأحصنَ الشيءَ وحَصَّنَه صاحبُه: منعه وصانه. وتَحَصَّنَ: اتخذ له حِصناً ووقايةً. وتَحصَّنَ بالحِصن: احتمى به. الحِصن: الموضع المنيع جمعه حُصُونٌ.

الحَصينُ: المحكم المنيع.

والحِصْنُ: كلُّ موضع حَصِين لا يُوصَل إلى ما في جَوْفِه، والجمع حُصونٌ.

وحِصْنٌ حَصِينٌ: من الحَصانة.

وحَصَّنْت القرية إذا بنيتَ حولَها، وتَحَصَّنَ العَدُوُّ. الحِصْنُ: واحد الحُصونِ. يقال حِصْنٌ حَصِينٌ بيِّن الحَصانَة. فهو محكم ومنيع ..

فأَصلُ الحَصانةِ المنعُ، ولذلك قيل: مَدِينةَ حَصينة ودِرْعٌ حَصِينة وقرى محصّنة..

وفي التنزيل العزيز:

في قصة داود، على نبينا وعليه الصلاة والسلام:

﴿وعَلَّمْناه صنعةَ لَبُوسٍ لكم لتُحْصِنَكم مِنْ بأْسِكم...﴾.(١)

قال الفراء: قُرئ لِيُحْصِنَكم ولِتُحْصِنَكم ولنحصنكم، فمن قرأ ليُحْصِنكم فالتذكير لِلَّبُوس، ومن قرأ لتُحْصِنَكم ذهب إلى الصنعة، وإن شئت جعلته للدرع؛ لأنها هي اللبوسُ وهي مؤنثة، ومعنى ليُحْصِنَكم ليمنعكم ويُحْرِزَكم، ومن قرأ لِنُحْصِنكم، بالنون، فمعنى لنُحْصِنكم نحنُ، الفعلُ لله عزّوجلّ.

﴿لاَ يُقَاتِلُونكُم جَميعاً إلاَّ فِي قُرىً محصنةً أو مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ...﴾.(٢)

﴿... مَا ظَنَنْتُمْ أنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللّهِ فَأَتَاهُمُ اللّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ...﴾.(٣)

* **الصِّيصِيَة**: والجمع صَيَاصٍ، والصَّيَاصي: القُرَى، وقيل: الحُصُونُ، التي يمتنع بها، يقال: جذَّ الله صيصية فلان، أي حصنه الذي يمتنع به فهو صيصية ..

وفي التنزيل العزيز:

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ ...﴾.(٤)

قال الفراءُ: من حُصُونهم، وقال الزجاج: الصَّيَاصِي كلُّ ما يُمْتَنَعُ به، وهي الحُصُونُ، وقيل: القُصُور؛ لأَنَّه يُتَحَصَّنُ بها.

* **البرج**: بَرَجَ يبرُج بُرُوجاً: ارتفع وظهر. والبُرج: الحصن، والبُرج: البيت يبنى على سور المدينة، وعلى سُور الحِصن .. والجمع: بروج.

وفي التنزيل العزيز:

---

١ . الأنبياء : ٨٠ .
٢ . الحشر : ١٤.
٣ . الحشر : ٢.
٤ . الأحزاب : ٢٦.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾.(١)

بروج: حصون وقلاع أو قصور كبيرة. مشيدة: محكمة أو مرتفعة يصعب الوصول إليها.

* **الأُطُمُ**: أَطَّمَ الأُطُمَ: عَلاّه ورفع بناءه.. وقالوا: الهمزة والطاء والميم، يدلّ على الحبس والإحاطة بالشيء، يقال للحصْنِ الأُطُم، وجمعُهُ آطامٌ؛

قال امرؤ القيس:

وَتيْماءَ لم يَتْرُكْ بِـها جِـذعَ نَخـلةٍ وَلاَ أُطُـمـاً إلاّ مَـشِـيداً بِـجَـنْدلِ

فالأُطم الأُطُمُ: الحصن. والبيت المرتفع، ج: آطام، وأُطُوم.

* **السور**: تسَوَّر الحائطَ أو السورَ وغيرهما: علاه وتسلَّقه.

وفي التنزيل العزيز:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾.(٢)

﴿... فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ ...﴾.(٣)

السور: كل ما يحيط بشيء من بناء أو غيره؛ السورُ: حائط المدينة، وجمعه أَسْوارٌ وسيرانٌ.(٤)

* * *

إنّ بناء الحصون والآطام... كانت وسائل معروفةً في تلك الأزمان، التي مرّت على منطقة الجزيرة العربية، وكان اليهود مولعين بمثل هكذا أبنية،

---

١ . النساء : ٧٨.

٢ . ص : ٢١.

٣ . الحديد : ١٣.

٤ . أنظر في كل هذا: لسان العرب؛ والمعجم الوسيط:٢١، ١٨٠،٤٦ ؛ مجمع البيان، للشيخ الطبرسي: الآية؛ مقاييس اللغة؛ مفردات القرآن، للراغب وللحمصي.

ويعدونها من الأمور الأساسية، التي تقوم عليها مشاريعهم على الأصعدة كافة، وحمايتها والدفاع عنها..

والظاهر أنّ العرب سكنة هذه البلاد تعلّموا ذلك من اليهود، الذين سبقوهم حين أقاموا في يثرب تجمعات مغلقة، وبنوا الحصون والآطام، وجمعوا ثروات كبيرة، راحوا يحافظون عليها عبر تلك الوسائل، التي جعلوها ملاجئ لهم، ومواقع دفاعية.. وبما أنهم اهتموا بزراعة النخل، واتسعت زراعتهم، كثرت آطامهم، وانتشرت في خلال هذه الأراضي الزراعية المتداخلة فيما بينها:

خيبر:

وهي ناحية على ثمانية بُرُد من المدينة لمن يريد الشام؛ فيها مزارع ونخل كثير.. وهي محصنةً تحصيناً قوياً فيها سبعة حصون، أو ثمانية حصون انفصل بعضها عن بعض، حتى أنّ ابن كثير عنون فصلاً سماه: فصل فتح رسول الله عليه السلام للحصون؛ وهو يتحدث عن معركة خيبر.

وأسماء حصونها:

حصن ناعم: ومما جاء في ذلك الفصل: قال ابن إسحاق: وتدَّنى رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالاً مالاً، ويفتتحها حصناً حصناً، وكان أول حصونهم فتح حصن ناعم، وعنده قتل محمود بن مسلمة، ألقيت عليه رحى منه فقتلته...

فيما ذُكر أنّ من استشهد من المسلمين يوم قريظة، خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو من بني الحارث بن الخزرج طرحت عليه امرأة من بني قريظة رحى فقتلته.

وجاء في سيرة ابن هشام أنّ خلاّد بن سويد.. شهد بدراً وأحداً والخندق،

وقتل يوم بني قريظة شهيداً، طُرحت عليه رحى من أُطم من آطامها، فشدخته شدخاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ فيما يذكرون : «إنَّ له لأجر شهيدين».[١]

ثم القموص حصن بني أبي الحقيق، وحصن الشق، وحصن النطاة، وحصن السلالم، وحصن الوطيح، وحصن الكتيبة؛ وحتى لفظ خيبر فهو بلسان اليهود: الحصن، ولكون هذه البقعة تشتمل على هذه الحصون سميت خيابر، إضافةً إلى أنهم بنوا الآطام، وهي حصون صغيرة تتسع لعائلة أو بضع عائلات وتحميهم من الغارات والهجمات، فهي مواقع دفاعية اعتنوا بها أيما عناية...

وفَدَك:

المنسوبة إلى فدك بن حام بن نوح عليه السلام وهو مؤسسها... أو فدك أحد إخوان سلمى بن العمالقة، وهي ضمن المدن التي احتلها أحد ملوك بابل عام ٥٦٦ ق.م ... وهي قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة، وفيها عين فوارة ونخيل كثير، أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع صلحاً، بعد أن نزلها و فتح حصونها، وحصنها يقال له: الشمروخ بقرب خيبر...

وقد سميت فدك بالحائط نسبة لسورها المسمى بالحائط، ويعدُّ سور الحائط هو الأكبر والأضخم في الجزيرة، الذي يبلغ طوله حوالي ٧ كم تقريباً، وهو على شكل دائري، يحيط بجوانبها ونواحيها وله مداخل، وركب على السور بوابتان إحداهما في الجنوب، وتسمى بوابة النويبية، والثانية في الشمال، وتسمى باب الحبس، وقد زود السور بالقلاع، وهي قلعة باب الحبس، وقلعة جريدا، وقلعة الغار، وقلعة أبوشجرة، وقلعة الحسكانية، والفديحة، والغابة، والبديعة،

١ . أنظرالجزء الرابع من البداية والنهاية (فصل فتح رسول الله عليه السلام للحصون) والسيرة النبوية، لابن هشام٢: ٤٥٩، خلاد بن سويد...

والزبرة ... وتسمى فدك أيضاً مدينة الحصون والأسوار...[١]

وإنما ذكرت كلَّ هذا التفصيل؛ لنعرف أهمية مثل هذا النوع من البناء، وقِدم اللجوء إليه؛ أسوار عظيمة، وقلاع عملاقة، وحصون..، وجميعاً موغلة في التاريخ، غدت فيما بعد آثاراً تشير إلى حضارة باكرة، شهدتها هذه البقاع والبلدان والدول والحضارات منذ القدم.

مكة المكرمة:

إنَّ ما أميل إليه أنّ مكة المكرمة، وكما يظهر من دراسة واقعها الديني والجغرافي الطبيعي، الذي جعلها مكتفيةً به، ليست بحاجة إلى وجود حصون أو آطام فيها للدفاع عنها؛ فهي لم تكن ذات حصون وبروج ، ولا سور أو أسوار تقيها من احتمال غزو الأعراب أو غزو عدو لها، فمنذ نشأتها ظلّت حرماً آمناً في حكم الله تعالى، راح يحترمه الجميع، وهي نعمة عظيمة ذكّر الله عزَّ وجلَّ أهل مكة بها في الآيتين:

﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ...﴾.[٢]

أي يقتل بعضهم بعضاً فيما حولهم وهم آمنون في الحرم ...[٣]

والآية: ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعْ الْهُدَى معَكَ نُتخَطَّفْ من أَرْضِنَا أَوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حرَماً آمِناً﴾.[٤]

---

١ . أنظر في هذا كله تاج العروس، للزبيدي٨ :١٨٧؛ كتاب وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، للسمهودي١: ١٥٩ـ١٦٥؛ معجم البلدان، لياقوت الحموي٢ : ٤٠٩ و ٥ : ١٦٠ و ٤ : ٢٣٨؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي٢: ١١٩ـ١٢١؛ الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري: ٤٣٧.

٢ . العنكبوت : ٦٧.

٣ . مجمع البيان، للشيخ الطبرسي: الآية.

٤ . القصص :٥٧.

وقد كان أهل مكة في بحبوحة من الأمن، وكان غيرهم من القبائل حول مكة وما بعُد منها يغزو بعضهم بعضاً، ويتغاورون ويتناهبون، وأهل مكة آمنون، لا يعدو عليهم أحد مع قلتهم، فذكرهم الله هذه النعمة عليهم.[١]

كما أنَّ البيت الحرام كان في وادٍ، وكان موقعاً رعته الطبيعة بعنايتها، تحيطه الجبال والمرتفعات، ويغطيه الشجر الذي أنبتته كثرة السيول، وقد عرفت مكة بسيولها العظيمة.. وليس فيها سكن ثابت؛ بل كان سكن من يأوي إلى البيت الحرام بيوت الخيام التي تشاد حوله. فيما أهل مكة يسكنون المرتفعات التي تحيط بالوادي، وتشرف على البيت، فإذا داهمهم عدو أو جاءهم غزو، اعتصموا بقمم تلك المرتفعات المشرفة على الوادي، وما يحيط به من وديان صغيرة وطرق ودروب .. وقاوموا عدوهم والغزاة، وبذلك يصعب على الطامعين فيهم الوصول إليهم، ويضطر أعداؤهم عندئذ إلى التراجع عنهم، فحمتهم الطبيعة بنفسها، ورعتهم برؤوس جبالها، وظلّت هذه الحالة قائمةً بينهم حتى بعد أن جاء «قصي» ببعض من كان يسكن الظواهر لنزول الوادي، وأسكنهم مع أهل الوادي في بيوت ثابتة مبنية، بقي من فضّل السكن في ظواهر مكة، أي على المرتفعات، وصار يقوم بمهمة حماية نفسه وحماية أهل البطحاء من تلك المرتفعات، وهم الذين عرفوا بقريش الظواهر. فلم تعد لأهل مكة سكان الوادي ثمة حاجة إلى اتخاذ الآطام والحصون، فضلاً عن بناء سور يحميهم من الغزو، ولا سيما ومكة حرم آمن، وهي في حماية البيت ورعايته.

إضافةً إلى ما قام به قصي من توكيده مبادئ وقيماً، كإقراء الضيف، ورعاية الغريب، والعفو والتسامح، والابتعاد عن القتال، وحلّ المشكلات حلاً بالتي هي أحسن، كما نظّم أمور الحج، وجعل الحجاج يفدون إلى مكة للحج

١ . تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور: الآية.

وللاتجار..؛ ثمَّ أكد من جاء بعده من سادة قريش هذه السياسة التي أرست دعائم الأمن والسلم الأهلي بينهم، وبالتالي أفادت البلد الآمن، وأمنت له رزقه يأتيه رغداً .. وحتى أنَّ عبد المطلب جدَّ النبيﷺ عندما انصرف من لقائه المعروف بإبرهة الحبشي، القادم في حملته على مكة، جاء إلى قريش، فأخبرهم بما يريده هذا الغازي ويهدف إليه، وأنهم لا قِبل لهم به، وراح يستحثهم بل ويأمرهم بالخروج من مكة والتحرّز بالجبال والشعاب؛ تخوُّفاً عليهم معرّة الجيش (شدته) وقد كانوا أكثر من قريش عدداً وعدَّةً .. يقول الطبري: .. وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال، فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها ...[1]

وهذا لعلّه أفضل دليل على أنهم استغنوا بذلك كله عن بناء حصون وآطام وأسوار، بل ولم يلتفتوا إليها ويهتموا بها، إذ لا حاجة لهم بها..

ومع كل هذا الكلام وجدت محمد طاهر الكردي المكي في تاريخه القويم، وبعد قوله: ما كنا نظن أنه كان لمكة سور قبل أن نطلع على كتب التاريخ، والسبب في تسويرها هو الاعتداءات المتكررة من الحكام في قديم الزمن على بعضهم البعض، فجعلوا لمكة سوراً في جهاتها؛ ليتحصن من كان في داخلها، ثم لم يزل السور يندثر شيئاً فشيئاً، حتى لم يبق له أثر الآن مطلقاً.. يذكر أنّ الغازي في تاريخه يقول: ... وكانت مكة في قديم الزمان مسورة... كما يذكر أنّ الفاسي في أول كتابه شفاء الغرام يقول: إنّ مكة المشرفة بلدة مستطيلة كبيرة، تسع من الخلائق ما لا يحصيهم إلاّ الله عزَّوجلَّ في بطن وادٍ مقدس، والجبال محدقة بها كالسور لها (وهو ما أكدناه أعلاه) ثمَّ يذكر أنّ لها ثلاثة أسوار:

سور في أعلاها، ويعرف بسور باب المعلاة، وفيه بابان أحدهما لا باب له،

---

١ . تاريخ الطبري ١: ٤٤٢ ؛ وغيره من مصادر التاريخ والأخبار.

ويكون في الغالب مسدوداً، وسوران في أسفلها، أحدهما يعرف بسور باب الشبيكة، وفيه باب كبير، وخوخة صغيرة لا باب لها، والسور الآخر يعرف بسور باب الماجن، ويعرف أيضاً بسور باب اليمن؛ لأنه على طريق البرِّ إلى اليمن...

وهناك إشارة أيضاً إلى أنّ لمدينة جدّة سوراً هدمته الحكومة؛ لعدم الاحتياج إليه...[١]

هذا ما يخصُّ مكة وجدّة، أما ما يتعلق بمدينة الطائف، فسيأتي الحديث عنها.

المدينة المنورة:

وبما أنّ حديثنا عن المدينة المنورة، التي قد يكون تأسيسها قبل الإسلام بألف وخمسمائة سنة، فإنَّ أهلها راحوا يعتمدون على الحصون الكبيرة، والآطام، وهي حصون صغيرة بدل الأسوار؛ لحماية أنفسهم وما يملكون؛ ولم يقيموا فيها سوراً مع عظيم سعتها واتصال قراها.

وخير دليل هو أنّ القرآن الكريم بيّن أنّ اليهود بقبائلهم (بنو قريظة،

النضير، بنو القينقاع) وهم منذ القدم يسكنون هذه البلدة، كانوا يستعينون

١ . هذا شيءٌ مما ذكره صاحب كتاب التاريخ القويم لمكة، تحت عنوان: أسوار مكة ٢ : ٥٩.

لحماية أنفسهم وما يملكونه بالحصون والآطام:

﴿لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ...﴾.[١]

أي ممتنعة حصينة، أي لا يبرزون لحربكم، وإنما يقاتلونكم متحصنين بالقرى، أو يرمونكم من وراء الجدران بالنبل والحجر، وهم بالتالي لا يجتمعون على قتالكم معاشر المؤمنين اجتماع الجيوش، أي لا يهاجمونكم، ولكن يقاتلون قتال دفاع، وهم يقبعون في قُراهم خائفين متَترِّسِينَ..

يقول ابن عاشور: لأنّ شدة الرهبة من المسلمين تشتمل على شدة التحصّن لقتالهم إياهم، ... ثم يواصل قائلاً: فلا يهاجمونكم، وإن هاجمتموهم لا يبرزون إليكم، ولكنهم يدافعونكم في قرى محصنة، أو يقاتلونكم من وراء جُدر، والجُدُر بضمتين جمع جدار؛ أي في الحصون، والمعاقل، ومن وراء الأسوار، وهذا كناية عن مصيرهم إلى الهزيمة، إذ: «ما حورب قوم في عُقر دارهم إلا ذلُّوا» كما قال عَليّ رضي الله عنه..[٢]

﴿... مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا...﴾.[٣]

«ما ظننتم أن يخرجوا» أي لم تظنوا أيها المؤمنون أنهم يخرجون من ديارهم لشدتهم وشوكتهم؛ «وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله» أي وظن بنو النضير أنّ حصونهم لوثاقتها، تمنعهم من سلطان الله، وإنزال العذاب بهم على يد رسول الله ﷺ حيث حصنوها، وهيّأوا آلات الحرب فيها...[٤]

---

١ . الحشر : ١٤.

٢ . تفسير مجمع البيان، للشيخ الطبرسي؛ التحرير والتنوير، لابن عاشور.

٣ . الحشر : ٢.

٤ . تفسير مجمع البيان، للشيخ الطبرسي.

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ ...﴾.[١]

أي من حصونهم، فالصياصي: الحصون التي يمتنع بها واحدتها صيصية، يقال: جذَّ الله صيصية فلان أي حصنه الذي يمتنع به، وكل ما امتنع به فهو صيصية، ومنه يقال لقرون البقر والظباء: صياصي، ويقال أيضاً لشوكة الديك: صيصية، قال:

«كوقع الصياصي في النسيج الممدَّدِ»

هو عجز بيت لدريد بن صمة في قصيدة له في رثاء أخية وصدره:

نظرت إليه والرماح تنوشه.

وفي لسان العرب: فجئت إليه والرماح ... وتنوشه: أي تتنازله من قريب؛ شبه وقوع الرماح على أخيه بوقوع شوك النساج في نسيجه.[٢]

ولم يشر القرآن المجيد ولو مرةً واحدةً إلى أنهم استخدموا الأسوار، وكما ذكرنا فقد اكتفى بالحديث عن الحصون فيها، ومع هذا، فلا يُنفي أنّ أهل المدينة فيما بعد استخدموا الأسوار في مرحلة من مراحل حياتهم، وهو ما سنجد سببه فيما ذُكر من أسباب لاختيار كل من الأسوار أو الحصون وفيها نواصل الكلام عن المدينة المنورة فقد أرجع بعضهم ذلك إلى:

أولاً: طبيعة البلد، فإن كان زراعيّاً بنوا فيه الحصون؛ وإن كان غير ذلك بنوا حوله الأسوار؛ والمدينة عرفت بأنها قرى زراعية متداخلة..

ثانياً: فيما أرجع آخرون ذلك إلى طبيعة التكوين السكاني، فإن كان متجانساً، اختاروا السور، كما هو الحال في الطائف، ويعدّ سور الطائف وهو سور كبير من أشهر أسوارهم في الحجاز، وتعدُّ ميزة لها حين اتخذت الأسوار، فالطائف

١ . الأحزاب : ٢٦.

٢ . مجمع البيان، للشيخ الطبرسي، التفسير واللغة، والهامش.

كانت تضمُّ سكاناً غير مختلفين، بل كانوا متجانسيين متحديين، فلا خوف بينهم، بل كل خوفهم من عدوهم الخارجي الغزاة؛ لهذا بنوا سوراً يحميهم من الخطر إن قدم عليهم من خارج مدينتهم، إلا أنهم وبعد أن حدثت حروب بينهم، أقبلوا على بناء الحصون والآطام وهي حصون صغيرة؛ كما ذكر الأزرقي من إقبال أهل الطائف على بناء الحصون والآطام في الطائف بعد ذلك، نتيجة للحروب الداخلية التي نشبت فيما بينهم.

ولضخامة حصون الطائف ولعظمة أسوارها، كان مما يؤثر لسلمان الفارسي رضوان الله تعالى عليه ، أنه كان قد أشار على المسلمين بعد أن وقفوا عاجزين أمام مناعة أسوار الطائف وحصونها باستعمال المنجنيق على حصنهم قائلاً: يا رسول الله، أرى أن تنصب المنجنيق على حصنهم، فإنا كنا بأرض فارس ننصب المنجنيقات على الحصون، وتُنصبُ علينا؛ فنصيب من عدونا، ويصيب منا بالمنجنيق، وإن لم يكن المنجنيق طال الثواء.[٣] فأمره رسول الله ﷺ فعمل منجنيقاً بيده، فنصبه على حصن الطائف، وقذفوا به الصخور إلى ما وراء الحصن فلم تعمل فيه...[٤]

وإن كان التكوين السكاني مختلفاً ومتداخلاً كما هو حال يثرب، كان الحصن مناسباً لهم، فقد كان سكان يثرب سواء العرب أو اليهود يشكلون قبائل مختلفة، وما أن تنشب الحروب الطاحنة بينهم، وهي عديدة، بدأت بحرب سمير وانتهت بحرب بعاث بين الأوس والخزرج، وبين الحربين وقعت عشرات الحروب، وقد دامت قرابة مائة وعشرين عاماً، ولم تنته حتى جاء الإسلام فأطفأها.. كان يلتجئ كل قوم إلى حصون وآطام، لحماية أنفسهم

---

٣ . الثواء: الإقامة.

٤ . أنظر شرح نهج البلاغة ١٨: ٣٥ ؛ والمغازي، للواقدي : ٩٢٧.

وممتلكاتهم، وكلما اتسعت مزارعهم، وتجمعاتهم المغلقة عليهم، كثرت حصونهم وآطامهم أيضاً، حتى عرفت بحصونها الكثيرة التي قد تكون بلغت مائة وتسعين حصناً..

ثالثاً: وقد يكون السبب هو تبادل الأدوار بين الأسوار والحصون في المدينة الواحدة، تبعاً للأحوال الأمنية، والأخطار التي تواجهها، سواء أكانت خارجية أو داخلية، وبحسب هذه الأمور يختار أهل البلد لأنفسهم ما يرونه مناسباً من سور أو حصن، وقد يتمُّ اختيار الاثنين معاً.

وأظن أنّ هذه الأسباب متوفرة في المدينة، فهي بلد زراعي، وسكانه مختلفون، متقاربون في سكناهم، وحين اختلفت الأخطار من أن تكون داخلية، إلى خارجية، لاذوا بالأسوار دفاعاً عن مدينتهم...

فيثرب (المدينة المنورة) كانت على هيئة مجموعة من الأكواخ، والمنازل البدائية، مبعثرة دون نظام، تكتنفها المزارع والبساتين؛ نظراً لوفرة المياه فيها، ولذلك انتشر ما يسمى بالآطام أيضاً، وهي نوع من الحصون، ولكنها صغيرة، وقد كثرت تلك الآطام حتى عرفت المدينة بذات الآطام، يلجأ إليها السكان عند الخطر، وكان أسلوب حمايتها آن ذلك باستخدام الآطام، التي كانت تحمي أحياء القبائل المتفرقة، فلم تكن يثرب قبل الهجرة النبوية محاطة بسور يجمع تلك الأبنية ويحيطها، فقد كانت الحروب داخلها لا تأتيها من خارجها، بين قبائلها كما ذكرنا، فكانوا بحاجة إلى الحصون، وأما الأسوار، فإنها لا تؤدي وظيفة الحصون؛ لأنّ هذه الحروب هي داخل مدينتهم.

وأما إقبال أهل المدينة على بناء السور عام ٢٦٣هـ؛ كان بسبب ما تعرضت له من هجمات خارجية.. وقبل هذه السنة المذكورة، فإنّ المدينة عاشت قروناً طويلة في جاهليتها وفي إسلامها لأكثر من قرنين، حيث استمر الحال في عهد

رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين، فالعهد الأموي، بلا أسوار؛ بل ولم تعرفها في حياتها حتى أتي العهد العباسي الذي شهد أول سور للمدينة في السنة المذكورة.

يقول السمهودي عن المدينة المنورة: فلم يكن لها في الزمن القديم سور، ومن تأمل ما ذكرناه في الأصل من منازل القبائل من المهاجرين مع منازل قبائل الأنصار، علم عظيم سعتها، واتصال قراها بعضها البعض، ولذا لم تقم الجمعة في قراها، مع كثرتهم بها واستيطانهم، وأنّ قباء مدينة عظيمة متصلة بالمدينة المنورة...[1]

السور الأول:

إذن فقد كان سبب إقبالهم على بناء السور حول المدينة، وبحسب ما اتفقت عليه معظم المصادر التاريخية، هو حمايتها من هجمات الأعراب عليها، فقد تعرضت المدينة في سنة ٢٣٠ هجرية في عهد الخليفة الواثق للهجوم من قبل قبيلة بني هلال تسبب في خراب العديد من مبانيها.

ففي بداية عهد الواثق عام (٢٢٧ هـ)، عاث بعض قبائل الأعراب من البدو فساداً في بلاد الحجاز، فنهبوا الأسواق، وامتد أذاهم إلى كثير من الناس، وقطّعوا الطرق، فقد ذكر الطبري أن بني سُليم كانت تطاول على الناس حول المدينة بالشرِّ.. فوجه عامل المدينة حماد بن جرير الطبري الذي كان قد وجهه الواثق مسلحةً للمدينة لئلا يتطرقها الأعراب.. فقاتلهم بمن معه من جند وبمن تطوع معه من قريش والأنصار ومواليهم وغيرهم من أهل المدينة.. فحمل على بني سُليم بموضع يقال له الرّوَيثة على ثلاث مراحل... وبعد أن

١ . وفاء الوفا، للسمهودي: المدينة.

جاء بني سليم المدد، قتل حماد وعامة أصحابه.. فاستباحت بنو سليم القرى والمناهل فيما بينها وبين مكة والمدينة...، ثم أرسل إليهم الواثق جيشاً آخر في شهر شعبان سنة ٢٣٠هـ بقيادة بُغا الكبير أبا موسى التركيّ، وهو أحد قواده الأتراك، فقتل منهم نحو خمسين رجلاً وأسر مثلهم، وقبض على نحو ألف رجل منهم ممن عرفوا بالشّر والفساد، وحبسهم بالمدينة،... حاول الذين اعتقلهم الخروج من الحبس، وثاروا في المدينة، فأحاط بهم أهلها وقتلوهم عن آخرهم..[١]

وبعد ثلاث وثلاثين سنة أي في سنة ٢٦٣ هجرية بُني أول سور حول المدينة، وكان من اللبن من قبل أمير المدينة يومذاك، إسحاق بن محمد الجعدي.

فعن الروض المعطار:.. وفي سنة ثلاث وستين ومائتين، بنى إسحاق بن محمد الجعدي سور المدينة المعروف عليها اليوم، ولها أربعة أبواب:

باب في المشرق وراء دار عثمان بن عفان، يخرج منه إلى بقيع الغرقد؛ وهناك مدافن أكثر أهلها؛ وهناك قبر إبراهيم ابن النبيﷺ وقبر الحسن بن عليعليهما السلام.

وباب في المغرب يخرج منه إلى العقيق وإلى قبا، وبين يدي هذا الباب جدول مياه جارية، وداخل هذا الباب في حوزة السور موضع المصلَّى، الذي كانﷺ يصلِّي فيه يوم العيد.

وباب بين الشمال إلى المغرب.

وباب آخر يخرج منه إلى قبور الشهداء بأُحُد. وحِمى المدينة اثنا عشر ميلاً.

ثمَّ ذكر بعد ذلك أيضاً: أنّ المدينة في مستو من الأرض سبخة، كان عليها سور قديم، وبخارجها خندق محفور، وهي الآن (يعني في زمن الإدريسي، وقد أدخل ناسخ نزهة المشتاق في المتن قوله: وفي تاريخ نسخ هذا الكتاب،

١ . أنظر تاريخ الطبري ٥ : ٢٧٨، أحداث سنة ٢٣٠ هجرية، بتلخيص.

جدد السلطان ابن عثمان السور المذكور، فصار أحصن مما قبله وأوفق بناءً) عليها سور حصين منيع من التراب بناه قسيم الدولة الغزي، ونقل إليها جملة من الناس...

ويذكر قبل هذا أنّ اليهود اتخذوا الآطام حين سكنوا في يثرب؛ فنزل جمهورهم بمكان يقال له: يثرب؛ مجتمع السيول وما حول ذلك، واتخذوا الآطام والمنازل.[١]

إذن ووفقاً لما جاء في الروض أنَّ في المدينة سوراً قديماً، وأنّ هناك سوراً آخر غير ذلك السور القديم، وصفه بأنه سور حصين منيع من التراب بناه قسيم الدولة... وهو الذي كما في الهامش جدده السلطان ابن عثمان من سلاطين الدولة العثمانية، والمتوفى٧٦١ هجرية. وبالتالي فهو تحدث عن وجود سورين في المدينة..

وفي قول محكيٍّ: وفي هذه السنة نفسها سنة ثلاث وستين ومئتين، أغارت بنو كلاب على المدينة، فقتلوا رجالاً، وسبوا نساءً وأطفالاً، فجاء صريخهم إلى بغداد.... على أنّ .... البزاز، كان رجلاً صالحاً عدلاً جمع مالاً من التجار للنفقة على تحصينها فوجه المال إليهم... وأخرج السور... مع ولد عقيل بن أبي طالب.. وهو ما نسبه أحمد محمد شعبان في مقالة له حول أسوار المدينة المنورة، إلى العلامة حمد الجاسر عن كتاب الأوراق، لأبي بكر محمد بن يحيى بن عبدالله الصولي(المتوفى ٣٣٥هـ)، ثم يردف ذلك بقوله: ولعل الأموال التي جمعت أرسلت إلى المدينة وقتئذٍ، فقام إسحاق بن محمد الجعدي ببناء السور حولها.

---

١ . الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي لمحمد بن عبد المنعم الحميري، حقّقه د. إحسان عباس: ٤٠١-٤٠٢، وهامش الصفحة: ٤٠٢.

ولكني وجدت ما قد يعدُّ توكيداً لما نسب إلى الأوراق، وهو ما ذكره المحقق لرحلة بيرتون إلى المدينة، وأنقله بالنصّ مع مصادره:

ذكر البكري (المتوفى سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) أنّ أول من بنى سوراً حول المدينة؛ إسحاق بن محمد الجعدي، بني هذا السور عام ٢٦٣هـ؛ وذكر أنّ له أربعة أبواب: باب في الشرق وراء دار عثمان بن عفان، وباب في المغرب يخرج منه إلى بقيع الغرقد، ويخرج منه إلى العقيق، وباب من الشمال والمغرب يُفضي إلى مسجد الفتح، وباب آخر يخرج منه إلى قبور شهداء أحد.[١]

ويبدو أن هذا النص نقله البكري من كتاب الأوراق لأبي بكر الصولي فقد قال: إنه في سنة ٢٦٣هـ أغارت بنو كلاب على مدينة رسول الله ﷺ فقتلوا رجالاً، وسبوا نساءً وصبياناً، فجاء صريخهم إلى بغداد، فتولى البزاز وكان صالحاً عدلاً تجميع الأموال لتحصين المدينة، فبعث المال إلى المدينة، وبني السور.[٢]

وينفرد إبراهيم رفعت باشا بالقول: إنّ أول من قام بعمل السور حول المدينة، هو محمد بن إسحاق الجعدي عام ٢٣٦هـ، ولعل هذا تحريف في الطباعة.[٣]

---

١ . الجزيري، درر الفوائد:٦٤٠. وعزاه لكتابه المسالك والممالك، وبعد مراجعتي للجزء المحقق من كتاب المسالك الجزء الخاص بجزيرة العرب لم أجد هذا النص ويظهر أنّ الحميري نقل هذا النص عن البكري، دون أن يصرّح بذلك (الروض المعطار ٤٠١ ٤٠٢، تحقيق إحسان عباس، مطبعة لبنان، بيروت ط٢/ ١٩٨٤م).

٢ . (أنظر: تعليق حمد الجاسر على كتاب المغانم المطابة، للفيروزآبادي:١٩٠، دار اليمامة، الرياض، ط١/ ١٣٨٩هـ).

٣ . (مرآة الحرمين١: ٤١٠، دارالمعرفة، بيروت)؛ (عبدالقدوس الأنصاري، آثار المدينة:١٦٩، المكتبة العلمية،ذكر المدينة المنورة، ط٤/ ١٤٠٦هـ)؛ علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة: ٣٧ ٣٨، شركة المدينة للطباعة، جدة، ط٢/ ١٤٠٥هـ).

أنظر في هذا رحلة بيرتون، وصورة المدينة في رحلته عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م، وهو مستكشف ومستشرق وعسكري ومترجم بريطاني (ولد في ١٩ مارس١٨٢١ـ توفي في٢٠ أكتوبر١٨٩٠م).

(القسم الثاني) د/ محمد بن عبدالهادي الشيباني؛ الجامعة الإسلامية قسم التاريخ: هامش الصفحة:٨٩.

وقد نقلته بالنص، ومن المفيد مراجعة ما قبل هذه الصفحة وما بعدها، فهي تتضمن أيضاً كلاماً مفصلاً عن موضوع الأسوار، وكذا الأبواب، تركتُه والكلام حوله خوف الإطالة...

هذا، وأنّ الذي جاء في كتاب المغانم المطابة، وتحت عنوان السُّور:

سور المدينة الشريفة، بناه أولاً عضد الدولة ابن بويه بعد الستين وثلاث مائة في خلافة الطائع لله ابن المطيع لله، ثم تهدم على طول الزمان، وخرب لخراب المدينة، ولم يبق إلا آثاره ورسمه، حتى جدد الجواد جمال الدين محمد بن علي بن أبي منصور الأصبهاني للمدينة سوراً محكماً حول مسجد رسول الله ﷺ وذلك على رأس الأربعين وخمسمائة...

وهنا يقول المحقق لكتاب المغانم المطابة، حمد الجاسر، حول ما ذكره المصنف من أنّ أول من بنى سور المدينة الشريفة عضد الدولة في سنة بعد الستين وثلاث مائة..: ليس كذلك، فقد رأيت بتاريخ أبي بكر الصولي بالأوراق، وهو في أجزاء، أنّ في سنة ثلاث وستين ومائتين أغارت بنو كلاب... فدل على أنّ المدينة سورت قبل عضد الدولة...[1]

---

١ . كتاب المغانم المطابة في معالم المرطابة، تأليف مجد الدين أبي الطاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي٧٢٩ ٧١٨ هـ؛ ١٣٢٩ـ١٤١٥م، تحقيق، حمد الجاسر:١٩٠، وفيها الأصل والهامش.

إلاّ أنّ المحقق الجاسر لم يذكر في أي جزء أو صفحة من كتاب الأوراق رأى ذلك، ولو ذكر ليسّر عليَّ ذلك، فإني لم أجد هذا فيما تيسر لي من الكتاب المذكور في الانترنيت، وهو كتاب يكاد يكون إن لم يكن كلّه، فجلّه كتاب قصائد شعرية.. مع أخبار الخليفتين الراضي بالله (٣٢٢ـ٣٢٩هـ) والمتقي لله (٣٢٩ـ ٣٣٣ هـ) فيما بني السور الأول سنة ٢٣٦ أو ٢٦١ أو ٢٦٣ هـ على كلام بينهم ذكرناه.

ونقل السمهودي في الخلاصة عن المجد عن المطيري عن ابن خلكان: أنّ أول من بنى على المدينة المنورة سوراً، عضد الدولة ابن بويه بعد الستين وثلاثمائة (٣٦٠ هـ) في خلافة الطائع لله بن المطيع لله، ثم تهدم على طول الزمن وتخرب بخراب المدينة المنورة ولم يبق إلا آثاره ورسمه، وقد رأيت آثاره قبلي جبل سلع وظاهر، وما رأيت من آثاره أنه كان متصلاً بشفير وادي بطحان من المغرب.

ثم قال العلامة السمهودي عن هذا: وهو مخالف لما في الروض المعطار في أخبار الأقطار، من أنّ إسحاق بن محمد الجعدي بنى سور المدينة المعروف عليها اليوم أي في زمنه سنة ثلاث وستين ومائتين..، ولعل المنسوب لابن بويه إنما هو تجديده أو سور غيره..

من هذا يتضح أنّ أمير المدينة يومذاك إسحاق بن محمد، كان أول من أنشأ سوراً لها، ووقع هذا في سنة مئتين وثلاث وستين هجرية.

وبقي هذا السور، الذي كان مبنياً بالطوب واللبن، يؤدي دوره في حماية المدينة من هجمات الأعراب لأكثر من مائة عام، حتى تهدم معظم أجزائه، ولم يعد قادراً على أداء المهمة التي بني من أجلها، فقام عضد الدولة ابن بويه في خلافة الطائع لله بن المطيع لله في الفترة من ٣٦٧ـ٣٧٢ هـ، بإعادة إعماره باللبن الترابي.

السور الثاني:

وظلّ ذلك السور يحمي المدينة، حتى تهدم وبقيت آثاره، فتعرضت المدينة لهجمات أعراب البادية، فأعاد بناءه جمال الدين محمد بن أبي منصور الأصفهاني، سنة ٥٤٠ هجرية؛ وبذلك أعاد للمدينة الأمن والاستقرار.

وعلى قول: إنَّ السور الذي كان داخل المدينة، فإنما أحدثه جمال الدين بن أبي منصور، وكان وزيراً لوالد الملك العادل يعني زنكي، ثم استوزره بعد زنكي غازي بن زنكي، نعني أخا الملك العادل؛ وقد يكون موقع هذا السور حول المسجد الشريف، وقد وصف بأنه سور محكم.

وإن صحَّ هذا فإنَّ المدة متقاربة في عمل السورين.

وفي كتاب شهاب الدين بن أبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥ هجرية)، قال ابن الأثير: رأيت بالمدينة المنورة إنساناً يصلي الجمعة، فلما فرغ ترحم على جمال الدين يعني الجواد فسألناه، فقال: يجب على كل مسلم بالمدينة أن يدعو له؛ لأننا كنا في ضرّ وضيق مع الأعراب، لا يتركون لأحدنا ما يواريه، فبنى علينا سوراً احتمينا به ممن يريدنا بسوء، فكيف لا ندعو له؟..

وكان الخطيب في المدينة المنورة يقول في خطبته: «أللهم صن حريم من صان حرم نبيك بالسور، محمد بن علي بن أبي منصور».

وبعد ثمانية عشر عاماً، أي في عام ٥٥٨ هجرية، حين زار المدينة نور الدين محمود بن زنكي التركي، طلب منه عدد من الذين كانوا يسكنون خارج السور أن يبني عليهم سوراً يحفظهم، فأمر بتكميل سور المدينة النبوية.[١]

أو أنه زاد فيه، أو أمر ببناء سور أحاط بالسور القديم، وبالتجمعات

---

١ . سير أعلام النبلاء، للذهبي، الجزء العشرون، الطبقة الثلاثون.

السكانية التي أقيمت خارجه، على اختلاف الأخبار، مع أجراء إصلاحات للسور السابق؛ وهو الأرجح، فصار في المدينة سوران: سور داخلي يحيطه سور خارجي.

يدل على هذا كلّه العبارة التي كتبت على باب الحديد داخل بوابة البقيع، وهو من أبواب السور الأول، ونصّها: هذا ما أمر بعمله العبد الفقير إلى الله تعالى محمود بن زنكي بن آقسنقر غفرالله له، سنة ٥٥٨ هـ. ويدل على أنّ للمدينة سورين، ما ذكره ابن جبير في رحلته للمدينة بعد اثنتين وعشرين سنة، مما عمله ابن زنكي أي في سنة ٥٨٠ هـ: أنّ للمدينة سورين وأربعة أبواب، في كل سور باب يقابله آخر، أطلق على إحداها باب الحديد نظراً لأنه كان كذلك، وباب الشريعة، وباب القبلة، يقول: وهو مغلق، وباب البقيع.

ويبدو أنه اختار هذه الأسماء للأبواب إلا باب البقيع الذي بقي محتفظاً باسمه؛ لقربه من بقيع الغرقد.

يقول السمهودي في كتابه ذروة الوفاء: إنّ السلطان نور الدين لما ركب متوجهاً إلى الشام، وكان الناس قد كثروا بالمدينة المنورة خارج السور الذي بناه الجواد الأصفهاني حول المسجد، فصاح بالسلطان من كان نازلاً خارج السور، وطلبوا منه أن يبني عليهم سوراً يحفظ أبناءهم وماشيتهم، فأمر ببناء هذا السور المجدد اليوم فبني عام ٥٥٨ هـ وكتب اسمه على باب البقيع، فهو باق إلى يومنا هذا، قال السيد الإمام السمهودي: وقد شاهدت ما ذكره على باب البقيع، وفيه ذكـر التاريخ المذكور؛ ونصّه أعلاه.

ومرّت على هذا السور تجديدات عديدة في حقب تاريخية.. وما يلفت النظر في هذه التجديدات أن حديث المؤرخين بعد ابن جبير انصبَّ على ذكر سور واحد، فالسمهودي (ت٩١١ هـ) تعرض فقط إلى السورالأول حيث يقول:

ولسور المدينة اليوم أربعة أبواب، غير باب حصن أمير المدينة المعروف بباب السر، وهو عظيم كله من الحديد، وأما الأبواب الأربعة:

فأحدها: الباب الذي غربي المدينة في جهة المصلى عند منزلة الحاج المصري، ويعرف بدرب المصلى ودرب سويقة، وذرع ما بينه وبين عتبة السلام ٦٤٥ ذراعاً، وكان عليه باب متقن أحرقه صبيان الأمير ضيغم سنة عزله، فأخذ أمير المدينة باب الحوش الذي عمره الأمير ضيغم وجعله عليه، ثم عمل به باب متقن كالأول في عمارة المسجد المتجددة بعد الحريق الثاني.

ثانيها: الباب الذي في جهة المغرب أيضاً، عند رحبة حصن أمير المدينة، يعرف بالدرب الصغير.

ثالثها: الباب المعروف بالدرب الكبير، والدرب الشامي.

رابعها: الباب المعروف بدرب البقيع في شرقي المدينة، ويعرف بدرب الجمعة، وعليه باب متقن مغشى بصفائح الحديد، والظاهر أنه باق من زمن نور الدين الشهيد لما قدمناه من الكتابة عليه، وذرع ما بينه وبين عتبة باب المسجد المعروف بباب جبريل ٤٣٣ ذراعاً؛ وفي قبلة سور المدينة موضع باب مسدود اليوم وكان يعرف بدرب السوارقية.[١]

السور الثالث:

وأيضاً وبعد زمن، راحت أعالي ذلك السور تتهدم، فيما غدا ما تبقى منه مشرفاً على الخراب أو السقوط، مما جعل الأعراب يلحقون بأهل المدينة أذًى متواصلاً، ويسببون أضراراً في ممتلكاتهم.

في عهد السلطان سليمان القانوني (ت ١٥٦٦م) وبعد أن امتدت سلطة

---

١ . وفاء الوفا، للسمهودي.

الدولة العثمانية إلى الحجاز، واهتم سلاطينها بمكة والمدينة، وحظيت المباني بشكل عام، والمسجد النبوي بشكل خاص، بالعناية والرعاية، تمَّت الاستجابة لمطالب سكان المدينة، فأمر السلطان العثماني سليمان واليه على مصر أن يجهز الأموال والعمال والمواد اللازمة لتجديد السور الأول تجديداً كاملاً، و بدئ العمل به عام ٩٣٩هـ ، ١٥٣٢م، واستغرق العمل به ما يقرب من سبع سنوات، حتى تمَّ في ١٥ شعبان ٩٤٦هـ؛ وصار السور بيضاوي الشكل يحيط بالكتلة العمرانية الموجودة آنذاك من جميع جوانبها، طوله ٣٠٠٠م، بارتفاع يتراوح بين ٥ , ١٠ إلى ١٢م، بنيت أساساته بالحجر، وأكمل بالآجر، ووضع عند المنعرجات مجموعة من الأبراج تزيد من متانته، وتؤدي أغراضاً دفاعية أخرى، وفتح في السور أربعة أبواب هي: باب الجمعة أو البقيع، وينفذ للبقيع، وهو (الباب الشرقي)، وباب القلعة (باب الشامي) وهو في الشمال، وينفذ لطريق الجرف وسيدنا حمزة، والباب الصغير (وهو في جنوب الباب الشامي) وينفذ للمناخة للقادم من الشمال بعد دخوله من الباب الشامي، وباب المصري (وهو في الغرب ويسمى باب سويقة) ينفذ للمناخة للقادم من المسجد الشريف من سوق الحدرة.

وقد صرف على هذا السور مبلغ ضخم قُدّر بأكثر من مائة ألف دينار، عدا الخشب والحديد والحبال والرصاص والدهانات. ويعدّ هذا السور أضخم وأقوى وأعلى سور بني إلى ذلك الوقت، وصار يضرب به المثل، ومن ذلك قول أحدهم:

يا من لهم مهجتي والحشاءة،
منازل تزهو ببنيان قلبي،
لكم سور بليغ البناء،

كأنه السور السليماني.

وبعد الانتهاء من بناء السور كتب على الباب الغربي منه: إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم.

ويُقال: إنه كان آخر أسوار المدينة،[١] وبقي هذا السور المحيط بالمدينة، بعد تجديده مرّات من قبل سلاطين الدولة العثمانية، وأنشأ محمد علي باشا سوراً آخر ربط بين الأبراج والقلاع المشرفة على المدينة في جهتها الغربية والجنوبية.. فيما أجرى السلطان عبد العزيز بن محمد الثاني للسور في عام ١٢٨٥هـ عمارة كبيرة، وجعل ارتفاعه ٢٥متراً، وبنى فيه٤٠ برجاً تشرف على جوانب المدينة الأربعة مزودة بالمدافع والآلات الحربية. وفي زمن عمارة السلطان عبد المجيد للمسجد النبوي فُتح في هذا السور باب سُمي باسمه باب المجيدي، وينفذ لبئر حاء، وتوالت الإصلاحات والإضافات للسور، لتبقيه عامراً حتى هدم بالكامل سنة١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م، ولم يبق منه غير أجزاء من الباب المصري، تم إزالتها نهائياً في السنوات اللاحقة، لينته بهذا زمناً طويلاً يمكن تقديره بألف ومئة وخمس سنوات بين ٢٦٣ ١٣٦٨ هجرية، عاشت فيه مدينة رسول الله ﷺ داخل الأسوار...

من كل هذا نخلص إلى أنّ للظروف الأمنية، والعمرانية، وكذا السياسية،

---

١ . وذكروا أسواراً أخرى، منها ما كان من قبل الشريف حسين بن علي (ت سنة١٣٥٠هـ -١٩٣١م)، قائد الثورة العربية سنة ١٩١٦م ضدَّ الدولة العثمانية متحالفاً مع الانجليز، وأخرج بلاد الحجاز والشام والعراق من سيطرة الدولة العثمانية، ويعدُّ مؤسس الدولة الحجازية الهاشمية، فقد بني سوراً، يعرف بالسور الهاشمي أو بالسور الحسيني، ويظهر فيها كحائط يمتد بإزاء الناحية الشمالية الشرقية للمدينة المنورة، ولم يكن يتصل بالسورين السابقين، هذا قول، يقابله آخر أنه في عام ١٣٤٣هـ أصلح عبد المجيد باشا القائد العسكري للشريف حسين بن علي في المدينة المنورة أجزاءً من السور السابق.

دوراً مهماً وأساسياً، جعلت للمدينة خلال عصور ماضية أكثر من سور، وقد شهدت هذه الأسوار ترميماً وتجديداً وتوسعةً وتغييراً في المساحات التي تحيط بها، وحتى إعادة بناء خلال فتراتها التاريخية المختلفة.. إذن فقد كان سبب إقبالهم على بناء السور حول المدينة، وبحسب ما اتفقت عليه معظم المصادر التاريخية، هو حمايتها من هجمات الأعراب عليها...

ونتيجة لكثرة ما تعرضت له المدينة من فتن وتجاوزات، وتطاول عليها من قبل بعض الأعراب في العهد العباسي، التي خلّفت اضطراب الأحوال الأمنية فيها، تبعها سوء الأحوال الاقتصادية يومها، بدأ عدد سكانها بالضمور تدريجياً، إذ يقدر وقتها بثلاثة آلاف تقريباً، ومساحتها أخذت بالتقلص أيضاً منذ منتصف القرن الثالث في دائرة لا يزيد قطرها عن كيلوين من الأرض، كما يستدل من السور الذي بني حول المدينة في منتصف القرن الثالث الهجري، والسورالذي بني بعد ذلك في القرن الرابع...

ولكن الأمر تغيّر في القرن السادس حيث ازداد عدد سكانها، ولم تعد تتسع لهم المنطقة المحصورة داخل السور، بعد أن بنى لهم نور الدين زنكي عام ٥٥٨ هجرية سوراً ثانياً، طوله أكثر من ضعف السور الأول، مما يدل على أنّ عدد السكان قد زاد على ستة آلاف نسمة.. وقد جُدد السور نفسه بعد قرن من الزمن دون زيادة.

وفي منتصف القرن الهجري السادس تضاعف العمران، وبني سور آخر امتد غرباً أكثر من ضعف السور السابق، وهذا يدل على أنّ الكتلة السكنية حول المسجد النبوي قد توسعت، وأنّ العمران في المناطق البعيدة تضاءل، وتحولت تلك المناطق إلى قرى مستقلة، وخاصة قباء.

إذن فمساحة المدينة تغيرت امتداداً حيناً، وتقلصاً حيناً آخر، حسب

الأوضاع الأمنية والاقتصادية، وما أن استقرت الأوضاع، و ظهرت مساكن خلف السور حتى جدد السور، وكان هذا في العهد العثماني، الذي بلغت فيه المدينة أقصى اتساع لها خاصةً في أواخره، حيث صار دائرة قطرها ٨ كم تقريباً.

الأبواب:

من كل ما أوجزنا ذكره أعلاه، ومن غيره، نجد أنّ كل سور منها قد زوّد بعدد من الأبواب، التي معظمها كان على طراز واحد، بحيث تتكون كتلة الباب المعمارية من فتحة معقودة تقع ضمن حجر معقود يكتنفه برجان في شكل نصف دائرة، وإن وجد فرق بين أحجامها..

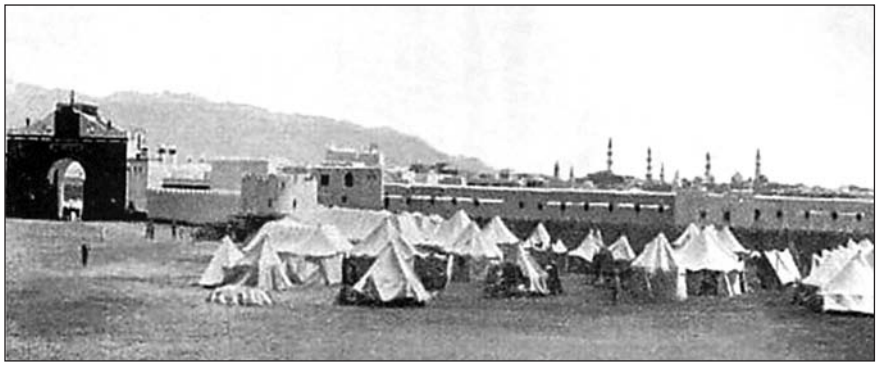

وقد شهدت هي الآخرى في حقبها التاريخية تعميراً، بل وإعادة بناء، وكان كل من التعمير أو البناء مرتبطاً بتعمير وتجديد أسوار المدينة.

فما أن أُعيد بناء السور الأول سنة ٩٣٩هـ ، حتى أعيد بناء بعض أبوابه بالحجر المنحوت المهذب، وبعضها الآخر بالحجر الغشيم، إضافةً إلى تجديدات أخرى في أزمنة أخرى مرت عليه شملت بعض أبوابه، ودونت في نصوص تذكارية على لوحات عملت على بعض هذه الأبواب..

وهكذا السور الثاني، فقد شهد وأبوابه تعميرات وتجديدات حدثت

بعد ذلك، حين لم يبق منه سوى أبراج تحيط بالمنطقة، موزعة على مسافات متساوية، كان ذلك بعد أن أمر محمد علي باشا بعد حروبه مع الدولة السعودية الأولى وبعد سيطرته على الحجاز؛ أن يُبنى سور بين الأبراج أساسه من حجر إلى وجه الأرض وارتفاعه باللبن..

وأما السور الثالث والأخير، فقد شهدت أبوابه هي الآخرى تغيرات في عددها، وما يتوافر عنه من معلومات هو أنه كان يحتوي على أربعة أبواب.[١]

عددها:

فالذي يظهر أنّ أبواب كل من السورين الأول، أو الجوّاني كما أطلقوا عليه، والثاني، وهو البرّاني كما أطلقوا عليه، قد تزايد عدد أبوابهما في حقب زمنية، مرّت عليهما، واختلفت الأقوال في عددها، وهو ما نراه فيما يأتي:

فابن جبير ذكر أنَّ: للمدينة المكرمة أربعة أبواب، وهي تحت سورين، في كل سور باب يقابله آخر، الواحد منها كله حديد، ويعرف باسمه باب الحديد؛ ويليه باب الشريعة ثم باب القبلة، وهو مغلق؛ ثم باب البقيع،.. وقبل وصولك سور المدينة من جهة الغرب، بمقدار غلوة تلقى الخندق الشهير ذكره الذي صنع النبي صلى الله عليه وسلم، عند تحزب الأحزاب..

وعلى شفير الخندق المذكور حصن يعرف بحصن العزاب، وهو خرب، قيل: إنّ عمر رضي الله عنه، بناه لعزاب المدينة.[٢]

ثمَّ أضحت خمسة أبواب في عصر المماليك، وهم سلالة من الجنود حكمت

---

١ . أنظر المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، لمصطفى صالح لمعي: ١٣؛ ومرآة الحرمين، لرفعت إبراهيم١: ٧٦-٧٧؛ وطيبة وفنها الرفيع، لطه حاتم عمر: ٧٦؛ المجموعة المصورة لأشهر معالم المدينة المنورة، لعبدالعزيز بن عبدالرحمن٢: ٣٨٣ وغيرها.

٢ . أنظر رحلة ابن جبير١: ٧٢ـ٧٣.

كلاً من مصر، والشام، والعراق، وأجزاء من الجزيرة العربية، أكثر من قرنين ونصف القرن، وبالتحديد من١٢٥٠ إلى ١٥١٧م، تعود أصولهم إلى آسيا الصغرى؛ وكذا في العصر العثماني الذي استمر لأكثر قليلاً من٦٠٠ سنة، وبالتحديد من سنة١٢٩٩ إلى سنة ١٩٢٣م.

وهناك قول: إنّ عدد أبواب هذا السور صارت تسعة أبواب، قبل أن يهدم مع بقية الأسوار في سنة١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م.

وأبواب السور الثاني، كان عددها أربعة أبواب كما هو حال السور الأول. فيما ذكر إبراهيم رفعت في آخر رحلة له للمدينة المنورة، سنة (١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م) باباً خامساً له. وفي قول آخر أضيف لها ثلاثة أبواب، فصار عددها ثمانية أبواب، وهو ما وجدوه وقت التهديم.

وأما السور الثالث، فقد شهدت أبوابه هي الأخرى تغيرات في عددها؛ وبناءً على ما يتيسّر من معلومات تشير إلى أنه كان يحتوي على أربعة أبواب.[1]

أسماؤها:

هذا وأنّ تلك الأبواب سمّي قسم منها بأسماء بعض الأماكن التي تفتح عليها:

فباب البقيع؛ لأنه يقع في مواجهة مقبرة البقيع ومنه ينفذ إليها.

وباب قباء؛ لأنه يؤدي إلى قباء وما جاورها.

والباب الشامي؛ لأنه يفتح إلى الشمال حيث بلاد الشام، ومنه يدخل حجاج هذه البلاد.

فيما سمّي قسم آخر منها بأسماء بعض الحكام، الذين أمروا ببنائها أوتجديد عمارتها:

---

١ . المصادر السابقة.

فالباب المجيدي، الذي نسب للسلطان عبدالمجيد، الذي جدده عندما جدد عمارة المسجد النبوي الشريف، فيما بين سنتي١٢٦٧ـ١٢٧٧هـ / ١٨٥٠ـ١٨٦٠م.

وباب الحميدية، نسبة للسلطان عبدالحميد الذي جدد عمارته سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٧٧م.[١]

واختلفوا في أسماء هذه الأبواب، بعد أن ذكروا أنها كانت تتوزع على أضلاع الأسوار وقت بنائها كالتالي:

فأبواب السور الأول، وعددها أربعة، هي:

باب شرقي يؤدي إلى البقيع.

باب شمالي يؤدي إلى شهداء أحد.

باب في الناحية الشمالية الشرقية.

باب غربي يؤدي إلى قباء جنوباً.

في حين قال عنها المقدسي:

باب البقيع (شرقاً) وهو يواجه مقبرة البقيع.

باب الخندق، وربما كان يقع في الناحية الشمالية للمدينة المنورة، حيث الخندق ومساجد الفتح.

وباب الثنية في شمال غربي السور حيث يواجه ثنية الوداع، وتقع شمال غربي المدينة المنورة على طريق الشام.

وباب جهينة ويرجح أنه كان في الضلع الغربي لأسوار المدينة.

ويبدو أنّ هذه الأبواب هي التي ذكرها ابن جبير، وإن أطلق على بعضها

---

١ . أنظر رحلة ابن بطوطة١: ١٣٨؛ مرآة الحرمين، لإبراهيم رفعت١: ٤١٣.

أسماءً أخرى.

وأضاف صالح لمعي باباً خامساً، ذكر بأنه كان مسدوداً في تلك الحقبة، استناداً على وصف السمهودي للمدينة في عصره.

وأما في العصر العثماني، فمصادره تتحدث عن توزيع أبواب السور الأول بالتالي:

باب البقيع: وكان يعرف أيضاً بباب الجمعة، وكان يقع في الضلع الشرقي للسور. و كان يؤدي الى البقيع وما حوله.

باب المجيدي: في الضلع الشمالي من السور، وذكر ابراهيم رفعت بأنه (باب محدث). ويقصد بذلك من ناحية بنائه حيث جدد عمارته السلطان عبدالمجيد، عندما جدّد عمارة المسجد النبوي الشريف.

باب الشامي: وهذا الباب كان يقع في أقصى الناحية الغربية للضلع الشمالي، بالقرب من قلعة المدينة المنورة؛ يضاف الى ما سبق أنّ إطلاق اسم الشامي عليه يشير إلى اتجاهه شمالاً حيث بلاد الشام؛ وقد جرت العادة في الحجاز، حتى في الوقت الحاضر، إطلاق اسم (شام) للاتجاه الشمالي، و (يمن) للاتجاه الجنوبي.

الباب الصغير: إلى الجنوب من الباب السابق، كان يقع على الضلع الغربي لسور المدينة.

الباب المصري: إلى الجنوب من سابقه، كان موقعه في الضلع الغربي لسور المدينة.

وعند تهديم الأسوار تشير المعلومات إلى أنها في السور الأول كما ذكرنا، كانت تسعة أبواب على النحو التالي:

باب البقيع، ويعرف أيضاً بباب الجمعة.

باب الوسط، ويذكر بأنه كان يقع عند مثلث السور.

باب الحمام، أو ما كان يعرف بباب ذروان.
باب القاسمية، أو ما كان يعرف بباب الشونة.
باب المصري، أو ما كان يعرف بباب السويقة.
باب الشامي الصغير.
باب الشامي الكبير.
باب بصرى أو بصره.
باب المجيدي.[1]

أبواب السور الثاني: والذي بُني حتى يحيط بضواحي المدينة الغربية والجنوبية.

لعلّ وصف ابن جبير، يُعدُّ أقدم وصف له حيث استفاد بعضهم من قوله: إنّ لهذا السور أربعة أبواب تناظر أربعة أُخر في السور الأول.

فيما بعض مصادر المدينة المنورة في العصر العثماني تقدم وصفاً تفصيلياً لأبواب هذا السور:

ـ باب العوالي من الشرق، ويقصد به هنا الجزء الشرقي من ضلع هذا السور والذي كان يحيط بالضواحي الجنوبية.

ـ باب قباء، إلى الجنوب من الباب السابق، وكان يفتح عى الناحية الجنوبية.

ـ باب العنبرية، وكان في الضلع الغربي للسور.

ـ باب الكومة، وكان في الناحية الشمالية؛ ولا شك أنّ ذلك الباب هو الذي عُرف أيضاً بالباب الشامي الصغير، ومن هذا الباب يتوصل إلى (المساجد

١ . أنظر ابن بطوطة في رحلته١: ١٣٨؛ وأيضاً رحلة ابن جبير؛ ووفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، للسمهودي؛ ورحلة المقدسي؛ ومرآة الحرمين، لإبراهيم رفعت باشا؛ المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، لمصطفى صالح لمعي؛ وغيرهم ممن كتب عن المدينة المنورة.

الأربعة الموضوعة بغربي جبل سلع، عند غار بني حرام، فيكون مروره منه، ومنه يتمُّ إخراج الغنم للذبح، وإدخالها بعد نقل المجزرة من المحل القديم إلى خارج البلدة).[١]

يضيف إبراهيم رفعت باشا للأبواب السابقة باباً خامساً في الناحية الشرقية، ذكر اسمه بصيغة التشكيك، حيث قال عنه: (ولعل الثاني باب الكوفة).

فيما ذكر أنّ هذا السور ضمَّ سبعة أبواب، كانت موجودةً فيه قبيل تهديمه، وهي على النحو التالي:

باب العوالي.
باب قباء .
باب المغيسلة.
باب العنبرية.
باب السكة الحديد.
باب البرابيخ.
باب الكومة.[٢]

أما أبواب السور الثالث:

الذي يبدو أنّ فيه اختلافاً بينهم، أو في تسميته، حيث ذكروا أنه هو الذي يسمى (الهاشمي) ويسمى أيضاً (الحائط الحسيني)، له أربعة أبواب هي: باب الأبارية. باب الصدقة. باب التمار.

---

١ . أنظر وصف المدينة المنورة، لعلي بن موسى؛ ضمن كتاب رسائل في تاريخ المدينة نشر: حمد الجاسر: ٧، ٥٥.

٢ . مرآة الحرمين، لإبراهيم رفعت باشا: ١ ٤١٣؛ المدينة، عبدالعزيز كعكي: ٣٩١.

باب الشهداء. ولم يحدد مواضع هذه الأبواب على هذا السور.[١]

إذن وفي ضوء ما سبق يتضح أنّ هناك من أبواب المدينة ما هو قديم، قدم أسوارها، مثل: باب البقيع، الذي ذكرته المصادر في الحقب التاريخية المختلفة، وباب الشامي الكبير، الذي من المؤكد أنه هو الباب الذي أسماه المقدسي في رحلته بباب الثنية، لأنه يقع في موضع باب الشامي الكبير.. من جانب آخر هناك أبواب أضيفت في مراحل تاريخية لاحقة..

وختاماً، لا بدّ لي من الإشارة إلى أنّ المدينة قد تعرضت في تاريخها إلى محن وفتن عديدة، كان منها استباحتها بعد قيام يزيد بشنّ حملة عسكرية على أهل المدينة الذين خلعوه، سُميت بالحرة عام ٦٣ هجري، وهي منطقة شرقي المدينة. وبلغ جيش الأمويين حوالي ١٢٠٠٠ مقاتل بقيادة مسلم بن عقبة؛ وقتل من أهل المدينة ١٠٠٠ رجل معظمهم من الأنصار والمهاجرين.. عن الإمام مالك: قتل يوم الحرة (٧٠٠) رجل من حملة القرآن، وأرسلت رؤوس القتلى إلى يزيد، وكل هذا كان بعد أن صدر أمر من يزيد بن معاوية لقائد جنده: «فإن ظهرتَ عليهم فأبحها ثلاثاً فما فيها من مال أو سلاح أو طعام، فهو للجند، فإن مضت الثلاث فأكفف عن الناس». فقد تمَّ انتهاك حرمة المدينة، وهي مدينة مقدسة عند الله ورسوله والمسلمين، فلا يحل فيها القتال.. إنَّ ما أصاب المدينة كان خسارة فادحة للأمة.[٢]

واختم قولي بقصيدة الشيخ محمد بن أحمد العمري الواسطي (١٢٨٠ـ١٣٥٠هـ)، التي قالها في فظائع الحرب العالمية الأولى التي شهدتها

١ . أنظر المجموعة المصورة لأشهر معالم المدينة المنورة، لعبدالعزيز كعكي:٣٩١.

٢ . أنظرما كتبه في هذا كل من سيد أمير علي، تاريخ العرب:٧٥؛ ومحمد أبوالفضل إبراهيم، أيام العرب في الإسلام : ٤٢٣؛ و ابن كثير، البداية والنهاية:٢٢٩؛ و محمد الخضري، الدولة الأموية : ٣٢٩.

المدينة ومنها تهجير أهلها وتشتيتهم، ومما جاء فيها:

دارَ الهدى خفَّ منكِ الأهل والسكنُ ... واستفرغت جهدها في ربعكِ المحَنُ
عفا المصلى إلى سلع إلى أحد ... والحرتان، ومرأى أرضها الحسن
أقوى العقيق إلى الجَمّا إلى أحدٍ ... إلى قباءَ التي يحيا بها الشجن
منازلٌ شبَّ فيها الدين واكتملت ... آياته فاستعارت نورها المدن
لأي أرضٍ يشُدّ الرحلَ راكبُه ... يبغي المثوبة أو يشتاقه عطن؟
أبعد روضتها الفيحا، وقبتها الخضراء ... يحلو بعيني مسلم وطن؟
ما غوطة الشام؟ ما نهر الأُبلَّة؟ ... ما حمراء غرناطة ما مصر ما اليمن؟
كل المنى في رحاب المصطفى جمعت ... دنيا ودين فما في مثلها ثمن
منازل نفحت بالطيب واكتملت ... بالنور يأوي لها الفرقان والسنن
ما كنت أعرف ما للشوق من أثر ... حتى ترحل بي عن ربعها البدن
يا راكباً حملت شوقاً مطيته ... نضوا تغوله الأحزان والشجن
قد أرغم الدهر أنفى إذ أفارقها ... مروعاً قد جفاني النوم والوسن

إلى أن يقول:

يا أهل طيبة والآلام عاصفة ... والناعيات يبكين الأولى دفنوا
عودوا إلى الله، علَّ الله يسعفكم ... من فتنة دونها الأهوال والفتن.[1]

١ . أنظر (الشعر الحديث في الحجاز) عبدالرحيم أبو بكر؛ وفي معجم البابطين، لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

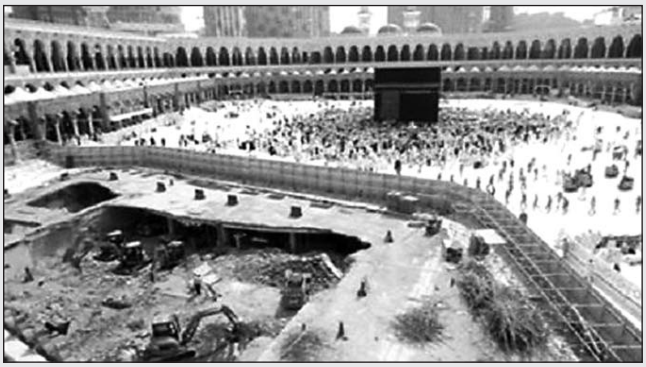

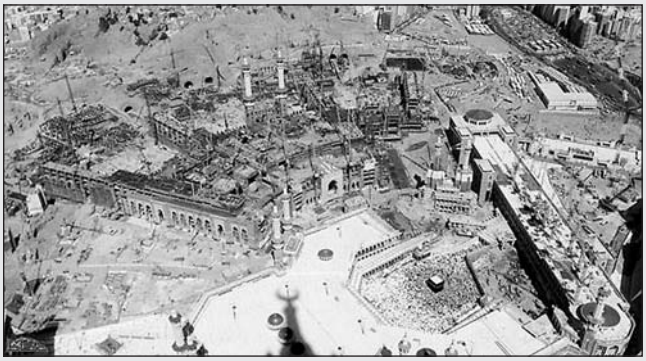

أخبار
من الحرمين الشريفين

١. السديس: فصل ذوي الاحتياجات الخاصة عن المشاة في الحرم

كشف الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشيخ الدكتور عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس عن تنفيذ مشروع فصل حركة ذوي الاحتياجات الخاصة عن حركة المشاة في الحرم المكي الشريف أثناء أدائهم مناسك العمرة أو الحج، وذلك لرفع الطاقة الاستيعابية لصحن المطاف.

وأكد السديس حرص الرئاسة على المحافظة على ملامح العمارة الإسلامية والتاريخية للحرم المكي الشريف. وقال: روعي في المشروع فصل حركة ذوي الاحتياجات الخاصة عن حركة المشاة بشبكة من الجسور والأدوار المتنقلة الخاصة بهم، ويجري حالياً البحث عن بدائل لأنظمة نقل آلية فعالة لطواف وسعي ذوي الاحتياجات الخاصة، مع المحافظة على ملامح العمارة الإسلامية والصورة التاريخية للتوسعات، التي تمت داخل الحرم على مرّ العصور.

وأكد حرص الدولة على أن تكون كافة المواد والأنظمة المستخدمة على أعلى المواصفات ومستوى يضمن سلامة المشروع واستدامته ومراعاة المتطلبات التشغيلية والبيئية، مشيراً إلى أن الرئاسة تتطلع إلى المزيد من التعاون من المختصين والمهتمين وقبول اقتراحاتهم.

من جهة أخرى، حث الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي في كلمة توجيهية للزوار والمعتمرين داخل الحرم المكي الشريف بعد إمامته صلاة عشاء أمس، على الالتزام بالآداب أثناء الصلاة وعدم الانشغال عنها بالتصوير أو بأجهزة الاتصال (الجوالات)، وأوصاهم باستغلال أوقاتهم في الحرم المكي بالعبادة والصلاة وقراءة القرآن الكريم.

كما نوه السديس إلى عدم التزاحم والابتعاد عن أماكنه داخل الحرم المكي الشريف، طالباً من المصلين والمعتمرين

تقديـر جهـود الدولة في تنفيذ المشـاريع وخدمـة الحرمـين الشريفـين وأوصى الدكتـور السـديس النسـاء بالحجـاب والاتجاه إلى الأماكن المخصصة لهن عند الصلوات.[١]

٢. الاستفادة من توسعة صحن المطاف في شهر رمضان

شؤون الحرمين تنشئ مطافاً خاصاً للمعوقين بالحرم المكي

يجـري العمل حالياً على قدم وسـاق في تنفيذ مطاف المعوقين المؤقت في حلقة دائرية تحاذي الرواق القديم بعرض ١٢ متراً، وذلك لفصـل حركة المعوقين عن حركـة الطائفين في صحن الطواف طيلة مدة تنفيذ المشروع.

ويتكون المطـاف المؤقت من طابقين متعامديـن يرتبط أحدهمـا بأروقة الدور الأرضي والآخـر بالـدور الأول الـذي سـيخصص لطواف المعوقين وسيراعى في كافـة عنـاصره المرتبطـة بـه الفصـل الكامـل بـين حركـة المعوقـين وحركـة

١. جريدة العكاظ الثلاثاء ١٤/ ٥/ ١٤٣٤هـ

المشاة في أروقة الدور الأرضي، كما سيراعى ربطه بمسار سعي المعوقين في ميزانين الدور الأرضي حفاظاً على سلامتهم وتسهيلاً لأداء النسك. ويجري العمل على قدمٍ وساق للانتهاء من أعمال المطاف المؤقت قبل موسم رمضان القادم إن شاء الله تعالى.

وأكدت الشركة المنفذة لمشروع خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز لزيادة الطاقة الاستيعابية للمطاف، بأنه سيتم الاستفادة من المرحلة الأولى التي تحتل كامل الجهة الشرقية من الأروقة المطلة على الصحن بالإضافة إلى جزء من الجهة الشمالية والجنوبية، وسيلتزم المقاول بتسليم دور القبو المحاذي لصحن الطواف والدور الأرضي والدور الأول، وقد جرى مؤخراً تحويل الممر الآمن المؤقت الذي يصل بين صحن الطواف والسعي إلى المنطقة المقابلة لمقام إبراهيم عليه السلام، مما أتاح الفرصة لإزالة الجزء الأخير المتبقي من الرواق السعودي والقديم الذي جرى الإبقاء عليه كممر آمن للمسعى منذ بدء أعمال المرحلة الأولى.[1]

٣. تكلفتها مليارا ريال وتنفذ في٣ أعوام

إنشاء ٦٠ألف خيمة مقاومة للحريق في مشعر عرفات

أمر وزير الداخلية رئيس لجنة الحج العليا بدراسة إنشاء ٦٠ ألف خيمة دائمة ومقاومة للحريق في مشعر عرفات، وأسند توجيهه لوزارة الشؤون البلدية والقروية مسؤولية الإشراف على الدراسة وتقدير التكاليف المالية وإنجاز التصاميم المناسبة، واقتراح ما يرونه ملائماً استناداً إلى خبرة الوزارة العريضة في تنفيذ مشاريع المشاعر المقدسة.

وأبلغ «عكاظ» أمس الدكتور حبيب بن مصطفى زين العابدين وكيل وزارة الشؤون البلدية والقروية المشرف على مركز المشروعات التطويرية أن

---

١. جريدة الرياض، العدد: ١٦٣٩٥ ٤/ ٦/ ١٤٣٤هـ مكة المكرمة

الـوزارة تلقـت توجيـه وزيـر الداخلية قبـل نحـو عـشرة أيـام فقـط وبـاشرت فعليـاً في تنفيـذه، ومـن المقـرر بحسـب زيـن العابدين أن تجتمع لجنة في السـابع عشر من الشـهر المقبل تضـم إلى جانب مسـؤولين رفيعـي المسـتوى مـن وزارة الداخليـة، مسـؤولين من الأمـن العام، الدفاع المـدني، وزارة الحج، وغيرها من الجهات ذات العلاقة.

وفيـما توقعـت مصـادر مطلعـة أن تتجـاوز تكلفة المشروع مليـاري ريال، توقع زيـن العابدين أن يتـم إنجاز هذا المشروع الكبير خلال ثلاثة أعوام وعلى مراحـل تدخـل كل مرحلـة الخدمة في موسـم الحـج، وأشـار إلى أن المـشروع سـيوفر بيئـة مثـلى لسـكن الحجـاج، وسيلغي تماماً اسـتخدام الخيام القطنية التـي كانـت سـبباً رئيسـاً للحرائـق في عرفـات، كـما يسـهم في تقديـم الخدمـة لضيـوف الرحمن بجـودة عالية وبمقاييس مناسبة.

وفي شأن مشاريع المشـاعر المقدسة، تدرس وزارة المالية تمويل أربعة مشاريع تتجـاوز تكلفتهـا ١٢,٦ مليـار ريـال، الأول يتعلـق بشـق نفـق مـن السـاحة الغربيـة لجـسر الجمـرات إلى توسـعة المسـجد الحرام بتكلفة تقدر بنحو ٨٠٠ مليـون ريال، ويشـتمل المـشروع الثاني على إنشـاء امتداد طريـق الملك خالد إلى الدائـري الرابـع شـارع ذات النطاقـين بتكلفة تقدر بـ ٨٠٠ مليون ريال.

وبحسـب المصـادر فـإنّ المـشروع الثالـث يتعلـق بالقطـار الشـمالي الـذي يتوقـع أن ينقل نحـو نصف مليون حاج وبتكلفـة تتجاوز ٥ مليـارات ريال، أما المشروع الرابع فهو عبارة عن نفق يشـق منى ومزدلفة وصولاً إلى عرفات بتكلفة ٥ مليارات ريـال ويبلغ عرضه ١٦ متراً وسـيكون مخصصاً بالكامـل للخدمات وسـيارات الخدمـة والتمديـدات وخدمات الإعاشة دون مرور المركبات وسط الكتل البشرية.[١]

---

١. جريدة عكاظ ٢٧/ ٠٥/ ١٤٣٤هـ العدد: ٤٣١٣

٤. وزير الحج: أكثر من ٣ ملايين تأشيرة عمرة تم منحها هذا العام

أوضح الدكتور بندر حجار وزير الحج أنّ عدد تأشيرات العمرة التي منحتها الوزارة منذ انطلاق الموسم غرة شهر صفر الماضي وحتى الآن بلغ ٣,١٠٧,٣٤٢ تأشيرة في حين بلغ عدد القادمين لأداء نسك العمرة ٢,٦٣٤,٩٣٤ معتمراً. مشيراً إلى ما يلقاه قطاع العمرة من مساع حثيثة للرقي به كماً ونوعاً بهدف خدمة المعتمرين، وإنهاء إجراءات قدومهم وخدماتهم منذ وصولهم وحتى مغادرتهم.[١]

٥. زمزم... سرّ غامض حتى قيام الساعة

السُّر الغامض لبئر زمزم يعتبره علماء الجيولوجيا كنزاً كبيراً، ربما يستحيل كشف رموزه إلى أن تقوم الساعة حيث ما من ماء يصل إلى هذا النبع حتى يكتسب خواص ماء زمزم، نقاءه وطهارته. هذه النتيجة ليست نظرية أو غيبية أو منقولة من بطون الكتب القديمة، لكنها خلاصة أبحاث علمية شملت البئر وماءه ودرجة نقائه، وشملت مياه آبار أخرى قريبة جداً منه، وجد أنها لا تتمتع بنفس الخواص.

يفيض الماء منها منذ آلاف السنين دون أن تجف البئر أو ينقص حجم المياه فيها، وكانت مفاجأة مدهشة للعلماء أثناء توسعة الحرم المكي وتشغيل مضخات ضخمة لشفط المياه من بئر زمزم حتى يمكن وضع الأساسات، أن غزارة المياه المسحوبة قابلها فيضان مستمر في الماء، يفور ويمور كأنه أمواج البحر.

فإذا كان العلم يقول هذا ويتعجب منه، فإن بعض المنقطعين للعبادة في الحرم المكي والعاكفين يروون أسراراً لا يجدون لها تفسيراً، فيكتفون باعتبارها من الغيبيات التي توجب الاستنكار أو الدهشة، فماء زمزم الذي يشربونه في انقطاعهم للعبادة تتغير خواصه فيصبح كأنه لبن أو عسل مصفى.

---

١. جريدة كل الوطن ٤ / ١٧ / ٢٠١٣م

ويؤكد الخبير السعودي يحيى كوشك، والذي أشرف على دراسة تاريخية لبئر زمزم في العام ١٤٠١هـ أنه: «لم تخرج بئر زمزم من ساحة الحرم. وهو موجود في مكانه تحت مستوى صحن الطواف منذ توسعة خادم الحرمين الشريفين للمسجد الحرام. وهو محاط بسياج من ألواح الزجاج السميك ليتمكن الناس من مشاهدته قبل المشروع الجديد بهدف منع الروائح النافذه، التي كانت تنتج من اغتسال بعض الحجاج والمعتمرين والمصلين والذين كانوا يستخدمون ماء زمزم بشكل سيئ».

وقديماً كان على البئر بناء تعلوه قبة مساحته ٨,٨٨ متر مربع يحتوى على غرف مستودعات ومستبرد لدوارق ماء زمزم تم هدمه ما بين عام ١٣٨١ـ ١٣٨٨ هـ لتوسعة المطاف. وتم عمل بدروم مكيف أسفل المطاف بمدخل منفصل للرجال والنساء. ويمكن رؤية البئر من خلف حاجز زجاجي شفاف، كما استبدلت أيضاً طريقة الشرب القديمة التي كانت تعتمد على جلب الماء بالدلاء من جوف البئر إلى اعتماد أنظمة حديثة توفر ماء زمزم عبر نظم سقاية حديثة لتوفيره مفلتراً وبارداً ومعالجاً بالأشعة فوق البنفسجية ليكون بأفضل المستويات الصحية.

نقود وأباريق شاي في قاع البئر

ويتذكر الكوشك في حديثه المشار إليه، أنه تم إحاطة البئر بالزجاج لمنع الناس من إلقاء أشياء ومتعلقات وسط البئر طلباً للبركة وغيرها. يقول: وجدنا أثناء عمليات تنظيف البئر نقوداً معدنية وأباريق شاي وقروناً عظمية تحمل نقوشاً وأعمالاً سحرية. وكان من بين ما وجدنا في البئر قطعة من الرخام كتب عليها المجاهد الليبي عمر المختار (ربّ حقّق ما في نفسي).

يضيف الكوشك عن المشروع الجديد: «تم عمل نفق أرضي من خارج الحرم للوصول إلى البئر وهو خاص

بعمليات الصيانة فقط. وكان هناك رأيان حول استخدامات هذا النفق:

الأول: أن يتاح للراغبين في رؤية البئر الدخول منه من دون السماح بالاغتسال فيه. والرأي الآخر: أستبعد ذلك لعدة عوامل منها أن مسافة النفق طويلة (نحو نصف ميل)، ومساحته ضيقة ويحتاج الى أنظمة تهوية وإنارة وإجراءات أمنية».

المصدر الرئيسي تحت الحجر الأسود

ولماء زمزم أسماء تزيد عن (٦٠) إسماً أشهرها زمزم، وسقيا الحاج، وشراب الأبرار، وطيبة، وبرة، وبركة، وعافية. وتمت عدة دراسات علمية بهدف معرفة مصادرها من المياه. وخلصت هذه الدراسات أن بئر زمزم تستقبل مياهها من صخور قاعية تكونت من العصور القديمة، وذلك عبر تصدعات صخرية ثلاثة تمتد من الكعبة المشرفة والصفا والمروة وتلتقي في البئر.

أيضاً ينقل عمر المضواحي عن المهندس فخري بخش مدير مبيعات مياه (أفيان) الفرنسية في شركة البحراوي السعودية قوله: إنّ شركة فرنسية اخترعت جهاز دقيق للغاية في تحليل تركيب المياه، وجاءت إلى السعودية لتسويقه. وقام ممثل الشركة بعرض إمكانيات الجهاز الحديث أمام مندوبي وكلاء المياه المحلاة والمعدنية المستوردة إلى السوق المحلي تبين فيه أن ماء زمزم كان أنقى المياه، التي تم اختبارها في هذا الجهاز.

ويصف المهندس يحيى كوشك وهو يحمل شهادة الدكتوراه في هندسة البيئة من جامعة واشنطن الأمريكية العام ١٩٧١م مصادر مياه بئر زمزم وفق التحديد الذي قام به مع الفريق العلمي الذي رأسه عام ١٤٠٠ هـ ونشر نتائجه في كتابه (زمزم) بقوله: «المصدر الرئيسي فتحة تحت الحجر الأسود مباشرة وطولها ٤٥ سم، وارتفاعها ٣٠ سم، ويتدفق منها القدر الأكبر من المياه. والمصدر الثاني فتحة كبيرة باتجاه المكبرية (مبنى

مخصص لرفع الأذان والإقامة مطل على الطواف)، وبطول ٧٠ سم، ومقسومة من الداخل إلى فتحتين، وارتفاعها ٣٠ سم. وهناك فتحات صغيرة بين أحجار البناء في البئر تخرج منها المياه، خمس منها في المسافة التي بين الفتحتين الأساسيتين وقدرها متر واحد. كما توجد ٢١ فتحة أخرى تبدأ من جوار الفتحة الأساسية الأولى، وباتجاه جبل أبي قبيس من الصفا و الأخرى من اتجاه المروة. ويبلغ عمق البئر ٣٠ متراً على جزئين، الجزء الأول مبني عمقه ١٢,٨٠ متراً عن فتحة البئر، والثاني جزء منقور في صخر الجبل وطوله ١٧,٢٠ متراً. ويبلغ عمق مستوى الماء عن فتحة البئر حوالي أربعة أمتار، وعمق العيون التي تغذي البئر عن فتحة البئر ١٣ متراً ومن العيون إلى قعر البئر ١٧ متراً».

الماء فاض خلال ١١ دقيقة فقط.

ويقول عند حديثه عن ضخ مياه زمزم: «بعد أن وضعت أربع مضخات قوية جداً كانت تعمل على مدار ٢٤ ساعة، وبمعدل ضخ وصل إلى ٨٠٠٠ لتر في الدقيقة. كان منسوب المياه من الفوهة ٣,٢٣ متراً، وكانت القراءة تتم كل نصف دقيقة، حتى وصل منسوب المياه في داخل البئر إلى ١٢,٧٢ متراً، ثم وصل إلى ١٣,٣٩ متراً، وفي هذا العمق توقف هبوط الماء في البئر.

ولما تم توقيف المضخات بدأ الماء يرتفع حتى وصل إلى ٣,٩ متراً خلال إحدى عشرة دقيقة». وسجل مشاهداته بقوله: لن أنسى ما حييت هذا المنظر الرهيب، كانت المياه تتدفق من هذه المصادر بكميات لم يكن يتخيلها أحد، وكان صوت المياه وهي تتدفق بقوة يصم الآذان.

وينفى الكوشك وهو مدير عام سابق لمصلحة المياه بالمنطقة الغربية أن تكون لعمليات حفر الأنفاق في الجبال وحفريات الأساسات العميقة للأبراج السكنية المحيطة بالحرم أي تأثير في التركيب الجيولوجي لمسار مياه زمزم

أو اختلاطها بمصادر أخرى سواء من الآبار أو غيرها.

وقال: هذا لم يحدث أبداً. وشرح مزيداً للتوضيح: وفقاً للدراسات التي قمنا بها وجدنا أنه عندما تهطل الأمطار على مكة المكرمة ويسيل وادي إبراهيم يزداد منسوب مياه زمزم زيادة طفيفة في البئر.

ولكن عندما تهطل الأمطار على المناطق المحيطة بمكة كالطائف وغيرها تزداد المياه زيادة عظيمة في بئر زمزم. ومعنى هذا أنّ المصدر الأساسي للبئر هو الجبال المحيطة بمكة والتصدعات الصخرية الموجودة فيها. وفي كتابي (زمزم) توجد صورة أخذت عبر الستالايت مرفقة بتحليل يبين أن كل هذه التصدعات الصخرية متجهة الى بئر زمزم.

السرُّ يكمن في النبع الأساسي للبئر

أضاف: أعتقد أنّ السّر يكمن في النبع الأساسي للبئر. فأي مياه تنبع من هذا المكان تكتسب خاصية ماء زمزم. والغريب في الموضوع أن هناك بئراً آخر في الحرم اسمه بئر «الداؤدية» وكان موجوداً عند باب إبراهيم ويبعد في حدود ١٢٠ متراً عن بئر زمزم، لكن نتائج تحليل مياهه تختلف تماماً عن تركيبة ماء زمزم وهي النتيجة ذاتها التي توصلت إليها عند تحليل مياه عين زبيدة أيضاً.

يقول المضواحي: من لطائف ما يشاع بين المسلمين في حياتهم الاجتماعية أن يدعو الساقي لشارب الماء بأن يمد الله في عمره ليشرب من ماء زمزم. تماماً كما يتمنون لبعضهم البعض بعد فراغهم من الصلوات بقولهم (حرماً) فيجيب الآخر (جمعاً إن شاء الله)!

ومنذ القدم كان المكيّون يستقبلون ضيوفهم بماء زمزم إظهاراً لتكريمهم والاحتفاء بهم. وهم يتفنون بتقديمه بارداً من دوارق طينية نظيفة مبخرة باللبان (المستكه) لإكسابه نكهة خاصة محببة للشارب منه. ولاتزال هذه العادة

باقية حتى الآن.

لكنهم لا يقدمون في شهر رمضان على موائد الإفطار غير ماء زمزم إلى جانب حبات من رطب التمر. ويحرصون على (تحنيك) مواليدهم حال ولادتهم بماء زمزم وبشق تمرة إقتداءً بالنبيﷺ مع السبطين الحسن والحسين رضي الله عنهما.

كما يحرص المكيّون على جعل ماء زمزم آخر ما يغسل به موتاهم قبل دفنهم رجاء بركته وحسن عائدته.

ومن الطريف أنّ الأمهات في مكة يحرصون على شرب أبنائهم الطلاب ماء زمزم قبيل توجههم إلى الاختبارات الدراسية رجاء أن لا ينسوا ما حفظوه من دروس للاجابة عليها في ورقة الاختبار.

ويألف كل من قدم إلى المسجد الحرام رؤية معظم الحجاج والمعتمرين القادمين من الخارج على غسل قطع طويلة من قماش قطن أبيض اللون وغمرها بماء زمزم، ومن ثم تجفيفها في أروقة الحرم ليحفظوها بعد ذلك لاستخدامها تبركاً كأكفان لهم ولموتاهم في بلادهم.

كما أنه يندر أن يقفل حاج أو معتمر في رحلة العودة إلى بلده دون أن يتزود بكميات منه يتحف بها أهله ومقربيه على سبيل الإهداء والتبرك بها. ويحرص شيوخ الرقى الشرعية على التزود بكميات كبيرة من ماء زمزم ليتولوا قراءة القرآن عليه وتقديمه لقاصديهم من المرضى ومن مسهم الجن لشرب مقدار يحددونه لإتمام العلاج بالرقية.

ويجيب الشيخ الدكتور عبدالله بن بيه وزير العدل الموريتاني الأسبق عن جواز استشفاء غير المسلمين بماء زمزم بقوله: لا أعرف في هذا نصاً. لكن الظاهر لي إذا كان المسلم يعالج غيره، فيمكنه أن يعالجه بماء زمزم حتى يظهر كرامة هذا الماء لغير المسلم، وحتى يكون من باب الدعوة له في دخول الإسلام. وأستدل الشيخ العلامة بقصة تصدي بعض الصحابة

(رضي الله عنهم) لعلاج رجل كافر كان لديغاً، فعالجوه بقراءة الفاتحة عليه. وأقرهم الرسول ﷺ على ذلك كما ورد في الحديث الشريف.

وروى المؤرخ الفاكهي في كتابه (أخبار مكة) قصصاً تشير إلى حبّ علماء أهل الكتاب لماء زمزم. ونقل عن أبي حصين عن مجاهد بن جبر التابعي المكي، شيخ القراء والمفسرين قوله: كنا نسير في أرض الروم، فآوانا الليل إلى راهب، فقال: هل فيكم من أهل مكة أحد؟ قلت: نعم، قال: كم بين زمزم والحجر الأسود؟. قلت: لا أدري، إلا أن أحزره، قال: لكني أدري، إنها تجري من تحت الحجر، ولأن يكون عندي منها ملء طست، أحب إليّ من أن يكون عندي ملأه ذهباً. وروى الشيخ سائد بكداش مصنف كتاب (فضل ماء زمزم) عن محمد بن حرب أنه قال: إنه أسر في بلاد الروم، وأنه صار إلى الملك، فقال له: من أي بلد أنت؟ قال: من أهل مكة، فقال: هل تعرف بمكة هزمة جبريل؟ قال: نعم، قال: فهل تعرف برة؟ قال: نعم، قال: فهل لها إسم غير هذا؟ قال: نعم، هي اليوم تعرف بزمزم. قال: فذكر من بركتها، ثم قال: أما إنك إن قلت هذا، إنا نجد في كتبنا: أنه لا يحثو رجل على رأسه منها ثلاث حثيات فأصابته ذلة أبداً.

نبع باق إلى يوم القيامة

وتروي كتب التاريخ الإسلامي أنّ ماء زمزم نبع باق لا ينقطع إلى يوم القيامة. وأنّ كل المياه تغور قبل يوم القيامة إلا زمزم. وروي عن الضحاك بن مزاحم أنه قال: إنّ الله عزّوجلّ يرفع المياه العذبة قبل يوم القيامة، وتغور المياه غير ماء زمزم.

وروي عن ابن عباس أنه قال: صلوا في مصلى الأخيار، واشربوا من شراب الأبرار. قيل لابن عباس: ما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب (ميزاب الكعبة)، قيل: وما شراب الأبرار؟ قال: ماء زمزم.

حضور غامض لزمزم في قصص الغيبيات

ومن العجيب أنّ المتفحص لقصص (الغيبيات) في الإسلام، يجد حضوراً غامضاً لماء زمزم خلف معظم الحالات. ودائماً ما يرتبط حضور زمزم بدور فريد وفعال في كل حالة.

فبهذا الماء المقدس غسل قلب النبي محمدﷺ مراراً، ودائماً في طست من الذهب وبيد جبريلعليه السلام، توطئة لبعثتهﷺ ثلاث مرات، وتهيئة لمعراجه في طريقه للسماء مرة واحدة.

ويقول الدكتور المهندس «سامي عنقاوي» رئيس مركز أبحاث الحج لـ «العربية. نت» عندما كنا نحفر في زمزم عند التوسعة الجديدة للحرم كنا كلما أخذنا من ماء زمزم زادنا عطاء، فقمنا بتشغيل عدد من المضخات لكي نرفع الماء حتى يتيسر لنا وضع الأسس وكلما نشفط المياه التي وصلت إلى واحد وعشرين ألف لتر في الدقيقة تضخ مرة أخرى.

الأبحاث العلمية أكدت خلوه تماماً من الجراثيم

وأضاف: قمنا بدراسة لماء زمزم من منبعه لنرى هل فيه جراثيم، فوجدنا أنه لا يوجد فيه جرثومة واحدة.. فهو نقي طاهر ليس فيه أدنى شيء لكن قد يحدث نوع من التلوث بعد ذلك في استعمال الآنية أو أنابيب المياه أو الدلو فيأتي التلوث من غيره. ومن خصوصية ماء زمزم أيضاً أنك تجده دائماً فهو يعطي ويفيض منذ آلاف السنين إلى اليوم.

٦. مهبط للطائرات في توسعة خادم الحرمين للمسجد الحرام

يشهد موقع مشروع خادم الحرمين الشريفين لتوسعة المسجد الحرام حالياً ورش عمل مكثفة على مدار الساعة لإنجاز أكبر قدر ممكن من توسعة الساحات الشمالية والجنوبية ودورات المياه الجديدة، ويتضمن المشروع الجديد إنشاء شبكة طرق حديثة مخصصة لمركبات النقل منفصلة تماماً عن ممرات المشاة.

كما يتضمن المشروع مهابط للطائرات لعمليات إخلاء المرضى ونقلهم إلى المستشفيات، بعيداً عن اختناقات الشوارع في وقت الذورة، وتحديداً في موسمي رمضان والحج، ويتضمن المشروع أنفاق داخلية مخصصة للمشاة مزودة بسلالم كهربائية تتوفر فيها جميع معايير الأمن والسلامة، وسط منظومة متكاملة من الخدمات التي تساعد على سهولة الحركة والانتقال من وإلى الساحات الشمالية والغربية، بعيداً عن الحركة المرورية، ما يوفر مصليات جديدة واسعة.

وتلبي التوسعة جميع الاحتياجات والتجهيزات والخدمات التي يتطلبها الزائر مثل مبردات المياه لزوار بيت الله الحرام، فضلاً عن تطبيق الأنظمة الحديثة للتخلص من النفايات وأنظمة المراقبة الأمنية إلى جانب تظليل الساحات الشمالية.

وكشفت لـ«عكاظ» مصادر أنّ سطح مبنى التوسعة الجديدة لمشروع خادم الحرمين الشريفين للمسجد الحرام والساحات الشمالية، يتضمن مواقع لمهابط الطائرات المروحية.

وبينت المصادر أنّ التوسعة تتضمن آخر ما توصلت إليه التقنيات الحديثة في كافة الأنظمة الكهربائية والميكانيكية والإلكترونية، وأنظمة التكييف والتخلص من النفايات بشكل آلي،

الاعتماد بشكل أساسي على التقنيات الحديثة في تشغيل وصيانة ونظافة التوسعة الجديدة، مشيرة إلى أنّ المشروع يوفر ١٥ ألف دورة مياه مجهزة بأحدث التقنيات والأنظمة للمحافظة على البيئة والموارد الطبيعية وترشيد استخدام الطاقة.

وعن المواد المستخدمة في مشروع التوسعة كشفت ذات المصادر أنها من أفضل أنواع المواد والتكسيات الرخامية الفاخرة، وتشتمل التوسعة على بناء محطة للخدمات على مساحة تقدر بـ ٧٥ ألف متر مربع، تضم معدات التكييف ونظام التخلص من النفايات ومحطات الكهرباء الاحتياطية التي تغذي التوسعة وكافة مرافقها عبر أنفاق أنشئت لهذا الغرض.[١]

٧. إنهاء صرف تعويضات ٢٣٠٠ عقار لصالح التوسعة الشمالية للحرم

انتهت لجنة تقدير عقارات الساحات الشمالية للحرم المكي الشريف من تقدير وإنهاء إجراءات صرف مستحقات تعويض لـ ٢٣٠٠ من أصحاب العقارات المزالة لصالح توسعة الحرم المكي الشريف بمراحلها المختلفة.

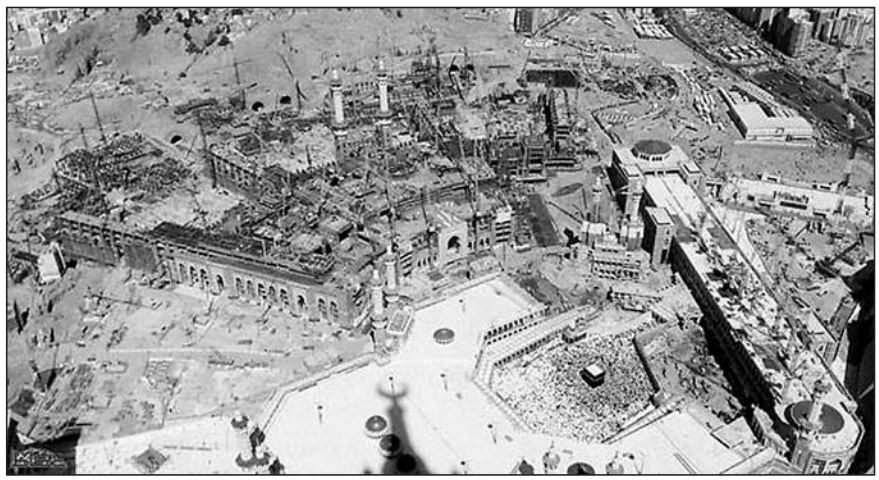

١. جريدة عكاظ، الأربعاء ٢٤/ ٠٤/ ١٤٣٤ هـ العدد: ٤٢٨٠

وكان أمين العاصمة المقدسة وعضو اللجنة الإشرافية العليا لمشروع تطوير الساحات الشمالية الدكتور أسامة بن فضل البار، قد أوضح أنه تم حصر ٢٣٠٠ عقار بعد أن قدرت من لجنة تقدير العقارات، لصالح مشاريع الساحات الشمالية بمراحلها الثلاث الأولى والتكميلية والثانية ومشروع الأنفاق الأرضية الثلاثة المؤدية إلى الساحات الشمالية للحرم المكي الشريف ومشروع محطة الخدمات المركزية.

يشار إلى أنّ توسعة الساحات الشمالية مساحتها أكثر من ثلاثمائة ألف متر مربع، وتشمل مباني التوسعة والساحات المحيطة بها والجسور المعدة لتفريغ الحشود، وتتوفر فيها جميع التجهيزات والخدمات التي يتطلبها الزائر مثل نقاط الشرب، الأنظمة الحديثة للتخلص من النفايات، أنظمة المراقبة الأمنية، وتشتمل التوسعة تظليل الساحات الخارجية الشمالية، وترتبط بالتوسعة السعودية الأولى والمسعى من خلال جسور متعددة لإيجاد التواصل الحركي المأمون من حيث تنظيم حركة الحشود، وستؤمن التوسعة منظومة متكاملة من عناصر الحركة الرأسية، بما تشمله من سلالم متحركة وثابتة ومصاعد روعي فيها أدق معايير

الاستدامة من خلال توفير استهلاك الطاقة والموارد الطبيعية.

ويعد مشروع توسعة المسجد الحرام والساحات الشمالية والشمالية الغربية للمسجد الحرام أكبر توسعة في تاريخ المسجد الحرام، وتستوعب بعد اكتمالها أكثر من مليون ومائتي ألف مصل تقريباً، بمساحة إجمالية مضافة إلى ساحات المسجد الحرام وبعد تنفيذ مشروع التوسعة ستكون ٣٠٠ ألف متر مسطح تقريباً، ما يضاعف الطاقة الاستيعابية للمسجد الحرام وتواكب زيادة أعداد المعتمرين والحجاج وتساعدهم في أداء نسكهم بكل يسر وسهولة بحيث يستوعب المسجد الحرام المكي الشريف بعد ذلك حوالى مليونين وخمسمائة ألف مصل وتبلغ التكلفة الإجمالية للمشروع أكثر من ٨٠ مليار ريال بما فيها قيمة تعويضات العقارات لصالح المشروع.[١]

٨. تسارع وتيرة العمل في المشروع توسعة صحن المطاف وزيادة أدوار المسجد الحرام إلى ٦

تسارعت وتيرة العمل في مشروع خادم الحرمين الشريفين لتوسعة الحرم المكي الشريف، وتتضمن توسعة صحن المطاف، توسعة الحرم من ناحيتي المسفلة وأجياد، وزيادة أدواره إلى ٦، وتشغيل مبنى التكييف المركزي لمشروع وقف الملك عبدالعزيز، وإنشاء ٦٣ برجاً فندقياً في أطراف ساحات الحرم وتوسعات أخرى، واتضحت أولى معالم هذه التوسعة التاريخية للحرم بالجهود الكبيرة للشركة المنفذة للمشروع.

وكشفت لـ «عكاظ» مصادر مطلعة أنّ العمل ينفذ خلال ثلاث محاور رئيسية:

الأولى: التوسعة ذاتها للحرم المكي، ليتسع بعد التوسعة لمليوني مصلّ.

الثانية: الساحات الخارجية وتحوي دورات المياه والممرات والأنفاق

---

١. جريدة العكاظ/ الثلاثاء ١٦/ ٠٤/ ١٤٣٤ هـ/ العدد: ٤٢٧٢

والمرافق الأخرى المساندة والتي تعمل على انسيابية الحركة في الدخول والخروج للمصلين والمعتمرين والحجاج. والثالثة: منطقة الخدمات والتكييف ومحطات الكهرباء ومحطات المياه وغيرها وتصل مساحة التوسعة إلى٠٠٠/ ٧٥٠ / ٢م، ويشمل المشروع على توسعة ساحات الحرم من جهة الشامية، تبدأ من باب المروة وتنتهي عند حارة الباب وجبل هندي بالشامية، وعند طلعة الحفائر من جهة باب الملك فهد وهذه التوسعة عبارة عن ساحات فقط ومقترح إنشاء ٦٣ برجاً فندقياً عند آخر هذه الساحات.

كما يتضمن المشروع توسعة صحن المطاف بهدم التوسعة العثمانية وتوسيع الحرم من الجهات الثلاث وقوفاً عند المسعى، حيث أنّ المسعى ليس من الحرم وتوسيع الحرم من جهة أجياد، كما تتم تعلية أدوار الحرم لتصبح ٤ أدوار مثل المسعى الجديد حالياً؛ ثم تعلية دورين مستقبلاً ليصبح إجمالي التعلية ٦ أدوار، وتشمل توسعة الحرم من ناحية المسفلة بهدم فندق الإطلالة وفندق التوحيد إنتركونتيننتال.

ومن المقرر بعد تشغيل مبنى التكييف المركزي لمشروع وقف الملك عبدالعزيز تغذية تكييف الحرم من هذا المشروع وهدم المبنى القديم للتكييف وتوسعة الحرم من ناحية أجياد.

وكان خادم الحرمين الشريفين قد وافق على تنفيذ مشروع لتوسعة الساحات الشمالية للمسجد الحرام تشمل إضافة ساحات شمالية للحرم بعمق (٣٨٠) متراً تقريباً وأنفاق للمشاة ومحطة للخدمات بمساحة ٣٠٠ ألف متر مسطح يدخل الحرم المكي الشريف مرحلة تاريخية جديدة في بنائها.[١]

٩. إزالة الرواق العثماني والطابق الثاني من التوسعة الأولى للمطاف

تتسارع وتيرة العمل في هذه الأيام لضمان الوفاء بالجدول الزمني

١. جريدة العكاظ، العدد ٤٢٥٥، ٢٨/ ٣/ ١٤٣٤هـ

المحـدد بعـد مـرور الشـهر الثـاني عـلى انطلاقـة العمل في تنفيـذ المرحلة الأولى مـن مـشروع خـادم الحرمـين الشريفين الملـك عبـدالله بـن عبدالعزيـز لزيـادة الطاقـة الاسـتيعابية للمطـاف، حيـث بـدأت الشركـة المنفـذة لمشروع توسـعة المطـاف بإزالـة قبـب الـرواق العثـماني مـن الناحيـة الشرقيـة للمسـجد الحرام كامـل المنطقة حفاظاً عـلى سرعة العمل وإنجازه.

وتم إزالة الطابق الثاني من التوسـعة الأولى للجهـة الشرقيـة للمطـاف، وبـدأت المعدات والآليات في التكسـير وإزالة الجزء الأول من التوسـعة الأولى للمطـاف، ولوحظ خلال الشـهر الثاني مـن انطلاق مشروع التوسـعة مضاعفة

وقامت الشركـة بأعمال الهدم للتوسـعة من الناحية الشـمالية مـن الركن الشرقي للمسـعى وحتى المكبرية الواقعة بالجزء الشـمالي مـن الحـرم، وتـم عـزل منطقة العمل بشـكل كامل في الـدور الأرضي والأول بالحواجز والسـواتر التي غطت أعـداد العمال والمعـدات العملاقة لرفع المخلفـات والوصـول إلى الطوابـق العلويـة، ومن ثم رفع مخلفات الهدم إلى الساحة الشرقية. كما بدأت وتيرة العمل تتضاعـف مـع البـدء في دخول موسـم العمرة وذلك لإكمال المشروع في المرحلة

الأولى منه قبل دخول شهر رمضان القادم والذي تتضاعف فيه أعداد المعتمرين والزوار، حيث تضمنت خطة التوسعة وحسب ما أكده الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف الدكتور عبدالرحمن السديس الاستفادة من الجزء الشرقي من توسعة المطاف في موسم العمرة في شهر رمضان القادم.

وأشارت مصادر في المشروع المنفذ للتوسعة بأنّ الفترة الزمنية الحالية كافية لإتمام التوسعة في الجزء الشرقي، وهي تسير وفق ما خطط له حيث يعمل أكثر من ألفي عامل على مدار ٢٤ ساعة في الرواق القديم والتوسعة السعودية الأولى من أجل سرعة إنجاز العمل.

وأوضح الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف عبدالرحمن السديس، أنّ العمل في التوسعة يسير وفقاً لما هو مخطط له، والشركة تواصل عملها على مدار الساعة، لإنجاز المرحلة الأولى من التوسعة، والتي ستزيد الطاقة الاستيعابية للمطاف بما يتناسب مع الزيادة الكبيرة لأعداد الحجاج والمعتمرين.

وأكد الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشيخ عبدالرحمن السديس، أنّ أعمال الإزالة الحالية ستشمل الجزء الشرقي من التوسعة السعودية الأولى المحاذي للمسعى والجزء الشمالي المقابل لباب الفتح، كما ستشمل إزالة الجزء الشرقي الخرساني المكمل للرواق التاريخي، مشيراً إلى أنه سيتم الحفاظ على المقتنيات التاريخية التي نتجت عن توسعات المسجد الحرام والمسجد النبوي السابقة، والتي أنشئ لها معرض عمارة الحرمين الشريفين عام ١٤٢٠هـ بجوار مصنع كسوة الكعبة المشرفة.

فقد تم توجيه الإدارة العامة للمشاريع والدراسات بإعداد الدراسات اللازمة لتوسعة المعرض لاستيعاب القطع الأثرية والنقوش الكتابية التي جرى حصرها وتوثيقها

بكافة وسائل التوثيق العلمية.[١]

١٠. معاناة أهل الموتى في المدينة المنورة

بالتأكيد توقفتم كما توقفت أمام مأساة تلك المرأة المتوفاة التي عجز أهلها من الحصول على قبرٍ لها في جدة لأنّ ذلك اليوم لا تستطيع كل مقابر جدة العديدة استقبالها، لأن العدد المسموح بدفنه لغير السعوديين قد تم؛ هذا ما ذكره صديقنا الحبيب خالد السليمان في عكاظ قبل يومين.

لقد توقفت أمام هذه الحكاية وإن لم أستغرب حدوثها، لأن هذا يحدث مثله في المدينة المنورة أو قريب منه ومع مواطنين؛ وليس مع أقصد غير سعوديين أجانب تحت «كما يقال مع الأسف» أعذار عديدة ليس لها من الواقع ما يمنطقها أما عملية نقل من توفاه الله خارج المدينة المنورة، فهذا دونه خرط القتاد فعلى أهله أي «المتوفى» عليهم أن يثبتوا أنه من أهل المدينة أولاً وأنه يملك منزلاً في المدينة المنورة ثانياً؛ وإذا تمت الموافقة على دفنه، فإنه يوجه إلى مقابر أخرى غير بقيع الغرقد في الغالب!!

وهذا أمر يشكل غصة في نفوس أهل المدينة المنورة، خصوصاً عندما يتم دفن من هو غير سعودي، ويكون قد توفاه الله خارج المدينة في بقيع الغرقد تحت أي ظرف أو حجة.

إن ما يعانيه أهل المدينة في هذا الخصوص أمر مرير لا يحس به وبمرارته إلاّ من عاش ذات يوم هذه المعاناة أبعد الله عنكم كل مرارة ومعاناة.[٢]

١١. تغيير قفل الكعبة المشرفة لأول مرة منذ ٦٠ عاماً

لأول مرة ومنذ قرابة ٦٠ عاماً تم تغيير قفل الكعبة المشرفة، بعدما قام أمس الأمير خالد الفيصل، أمير مكة المكرمة، بتغيير القفل الداخلي على نفقة

١. جريدة العكاظ العدد:٤٢٢٠ ٢٣/ ٢/ ١٤٣٤هـ

٢. علي محمد الحسون صحيفة البلاد السعودية٣١/ ١٢ / ٢٠١٢م

العاهـل السـعودي بقفـل مصنـوع من الذهب الخالص.

وتم ذلك أثناء مراسـم غسل الكعبة المشرفـة، التـي تتم مرتـين سـنوياً، وقد شـارك في هـذه المراسـم الأمـير وعـدد كبير من الأمراء والرئيس العام لشـؤون المسجد الحرام وعدد من أعضاء السلك الدبلوماسي الإسـلامي المعتمدين لدى المملكة.

وقـال الدكتـور يوسـف الوابـل، وكيـل الرئيس العام المسـاعد لشـؤون الخدمات: الغسـل يتـم مرتين في العام، المـرة الأولى في ١٥ محـرم، والثانيـة في غرة شـعبان، مضيفاً أنه تم تحديد غسل الكعبـة في هـذه الأوقـات، نظـراً لعدم وجود ازدحـام في الحـرم بحيث يكون الوقت مهيأ للغسل.

وكما هـو معـروف أنّ مفتـاح القفل الجديد سـلم لكبـير عائلة السـدنة وهم أسرة آل الشـيبي من أسر مكة الشهيرة، والتـي عرفـت بأنهـا تحمل شرفـاً عظيماً اختصّهـا الله عزّوجـلّ بـه منـذ أكثر من ١٤٠٠ عام إلى أن تقوم الساعة، وتوعّد كل مَن حـاول حرمانهم منـه بأن يكون من الظالمين.

والقصة في التاريـخ معروفة ومروية عندما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لجدهم عثمان بن طلحة: «خذوها يا بني طلحـة بأمانة الله سـبحانه واعملوا فيها بالمعـروف خالدة تالـدة لا ينزعها منكم إلا ظالم».

وأفـاد عبدالقـادر الشـيبي عميـد الأسرة حاليـاً: أحتفـظ بالمفتاح في كيس خـاص تتـم صناعتـه يدويـاً في مصنـع كسوة الكعبة المشرّفة، وهو في مكانٍ آمن ولم يسـبق أن فقدناه إلا أن كتب التاريخ تشـير إلى أن أحـد الأشـخاص حـاول سرقته في أحد العصور الإسلامية ولكن تم العثور عليه.

تاريخ القفل والمفتاح

وتـبرز أهـم المراجـع التاريخيـة التي رجعـت لها «العربية.نـت» عن ذلك إلى أن خلفـاء وسـلاطين العـصر العبـاسي

والعصر المملوكي والعصر العثماني كانوا يرسلون هذه الأقفال والمفاتيح لاستخدامها في غلق وفتح باب الكعبة، وذلك أثناء ترميم الكعبة أو في بعض المناسبات الأخرى.

وأصبحت الأقفال تصنع من الحديد ويكتب عليها بالذهب والفضة بطريقة التكفيت ثم تفنن الصانعون باستخدام الزخارف الكتابية بخطوط عربية في غاية الجمال خصوصاً مع التزام السلاطين والحكام باستمرار الأقفال.

وآخر قفل ومفتاح في العصر العثماني لباب الكعبة المشرفة هو قفل ومفتاح أمر بصنعهما السلطان عبدالحميد خان في سنة ١٣٠٩هـ، وقد بقي هذا القفل والمفتاح على باب الكعبة إلى العهد السعودي، إلى أن تم استبدال الباب بأمر الملك خالد بن عبدالعزيز، وذلك في سنة ١٣٩٨هـ.

وكذلك تم استبدال الفقل والمفتاح تبعاً للباب وهو الذي كان موجودا قبل استبداله أمس.

ولقد تمت صناعة القفل الجديد بنفس مواصفات القفل القديم، والذي يعود إلى عهد السلطان عبدالحميد سنة ١٣٠٩هـ، وذلك بما يناسب التصميم الخاص بالباب الجديد ومع زيادة ضمانة الإغلاق دون الحاجة إلى صيانة.

يذكر أنّ الكثير من النماذج تباع في أماكن متفرقة من العالم، وسبق وبيع مفتاح للكعبة المشرفة يعود إلى القرن الثاني عشر بـ٢ , ٩ مليون جنيه إسترليني (١٨ , ١ مليون دولار) مسجلاً بذلك رقماً قياسياً جديداً لعمل فني إسلامي يباع في مزاد.

والمفتاح منقوش عليه عبارة تقول: إنّ هذا ما تم عمله لبيت الله الحرام خلال حكم الإمام ابن الإمام المقتدي أبي جعفر المستنصر أبي العباس عام ٥٧٣ هجرية.

وذكرت وكالة «رويترز» أنّ هناك ٥٨ مفتاحاً مسجلاً للكعبة كلها معروضة في متاحف، منها ٥٤ في متحف «توبكابي» في اسطنبول واثنان في

مجموعة نهاد السعيد، و واحد في متحف اللوفر بباريس، و واحد في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

آل الشيبي والتشريف السماوي

إنّ مهام السدانة هي مهام شريفة ولدى أسرة الشيبي حملة المفتاح تنظيمات وترتيبات بين أفراد هذه الأسرة، حيث تعطى السدانة للأكبر سناً وله حق التوكيل والتفويض عند الظروف المختلفة.

من جهته يقول عبدالقادر الشيبي كبير سدنة الكعبة المشرّفة، إنّ الإعداد لغسل الكعبة يتم قبل شهر على الأقل من الموعد المحدّد لهذا الإجراء المتعارف عليه، فيما تتم كسوة قبلة المسلمين بثوب جديد في التاسع من ذي الحجة سنوياً.

وعن بعض التفاصيل: الكسوة الداخلية للكعبة تأخذ حالياً اللون الأخضر، وتسمى «الكسوة الخضراء»، بعد أن كان لونها أحمر حتى بداية عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز، الذي تغيّر في عهده لون الكسوة الداخلية إلى اللون الأخضر حتى الآن.

ويصف الشيبي الكعبة من الداخل: بأنها «عبارة عن أرض على شكل مربع من الرخام وكذلك جدارها، والنصف الأعلى من الجدار مُغطى بثوب حرير أخضر وتحتوي على ثلاثة أعمدة حمراء بوسطها، ومعلق بها بعض الهدايا المقدمة من الخلفاء والسلاطين سابقاً، ثم بعد ذلك الكسوة الخضراء التي تغطي باقي الجدران والسقف كذلك ويعلق على جدرانها الداخلية ما يقارب ١٥ فانوساً قديماً، وبداخل الكعبة يشعر الإنسان براحة كبيرة ومعظم الذين يدخلونها يسجدون ويبكون فوراً من شدة الخشوع ونخرجهم منها بصعوبة شديدة».

وحول المواقف يؤكد أنهم يواجهون الكثير من الإحراجات، نظراً لكثرة الزوّار والراغبين في دخول الكعبة والطريقة المعتادة هي أن تقوم إمارة مكة المكرّمة بالترتيب مع كبير السدنة لعمل

تصاريح للدخول.[١]

١٢. توسعة المطاف لا تؤثر على أداء المعتمرين١٥٠ ألف طائف في الساعة.

دشن الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الدكتور عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس ورشة العمل الممهدة لانطلاق مشروع

خادم الحرمين الشريفين، لزيادة الطاقة الاستيعابية لصحن المطاف، بحضور نائب الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام الدكتور محمد بن ناصر الخزيم، وبعض قيادات الرئاسة، وقيادات من قوة أمن المسجد الحرام، والدفاع المدني، ومجموعة بن لادن السعودية.

وأكد السديس، في كلمته، ضرورة المواءمة بين تنفيذ المشروع وأداء الطائفين والمصلين شعائرهم على أكمل وجه، مؤكداً على أنه ينبغي أن لا تؤثر مسيرة المشروع في أداء المعتمرين نسكهم من الطواف والسعي والصلاة بكل طمأنينة ويسر.

وركز السديس على الحرص والالتزام بأعلى معايير الأمن وأدق نظم

١. جريدة الوطن ١/ ١٢/ ٢٠١٢

السلامة، مشدداً على ضرورة المحافظة على نظافة المطاف وصيانته من الأتربة والغبار، ومحاولة إنجاز المشروع في المدة التي وجه بها خادم الحرمين الشريفين.

وبين السديس أنّ الطاقة الاستيعابية للمشروع ستصل إلى ١٥٠ ألف طائف، مشيراً إلى أنّ المشروع يمرّ بثلاث مراحل كل عام مرحلة، ويشتمل على إنشاء مستويات فوق التوسعة السعودية الأولى، وإنزال مستوى الأروقة إلى المستوى الذي عليه صحن المطاف حالياً، وإيجاد مساحات خاليه من العوائق داخل الأروقة.

وأبان السديس أنّ المشروع يشتمل على منظومة متكاملة لطواف وسعي ذوي الاحتياجات الخاصة، بالإضافة إلى منظومة شبكة جسور المشاة الخارجية، التي ستسهم في تنظيم حركة الحشود داخل المسجد الحرام.

كما يتضمن المشروع العديد من الأنظمة الأساسية والتكميلية التي ستحدث بإذن الله نقلة نوعية كبرى في منظومة الخدمات التي سيستفيد منها كل قاصد للمسجد الحرام. وكان السديس في بداية الورشة قد رفع شكره والعاملين في الرئاسة لمقام خادم الحرمين الشريفين لانطلاق هذا المشروع الذي يؤمل أن يسهل انسيابية حركة الطائفين في ذروة الزحام، وأن يمكن الحجاج والمعتمرين والطائفين من أداء مناسكهم بكل يسر وسهوله وانسيابية.

يذكر أنّ المرحلة الأولى للمشروع ستبدأ من الناحية الشرقية التي تمثل عنق زجاجة، وهي التي تحاذي المسعى، وستشمل هذه المرحلة النصف الشمالي الشرقي من المسجد الحرام، وتنتهي في الناحية الجنوبية مقابل سلالم الصفا الكهربائية.[1]

* * *

١. جريدة العكاظ/ السبت ٠٣/ ٠١/ ١٤٣٤ هـ العدد: ٤١٧١